مجلة الدراسات الافريقية



العدد السادس عشر ١٩٩٤

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



العدد السادس عشر ١٩٩٤

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

ترسل المقالات والابحاث على العنوان التالى :

الأستاذ الدكتور سليمان عبد الستار خاطر
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة
ص.ب ١٢٦١٣ أورمان / جيزة
(ج.م.ع)

كلمة رئيس التحرير

آمل أن يصدر هذا العدد رقم ١٦ وقد استقر معهد البحوث والدراسات الافريقية فى مبناه الجديد بعد تزويده بالتجهيزات والأثاث الجديد بداية لانطلاقة جديدة فى سبيل تعميق وتأصيل الدراسات الافريقية .

ومما يساعد على ذلك أن النية متجهة نحو تحديث مكتبة المعهد بادخال المراجع المختلفة والرسائل فى الحاسب الآلى لتسهيل الفائدة وتعظيمها ، وفى نفس الوقت فقد استقر الرأى على انشاء مركز افريقى للمعلومات كوحدة ذات طابع ذاتى لخدمة كل من يطلب أى معلومة عن القارة الافريقية بجانب تدريب العاملين فى المعهد وفى غيره على دورات الحاسب .

هذا فضلا عن الاتجاه نحو عقد المحاضرات العامة الاسبوعية على مستوى المعهد بجانب حلقات النقاش العلمى على مستوى الأقسام الستة .

وفى نفس الوقت فان المعهد يتلمس طريقه حثيثا للاتصال بالهيئات المختلفة التى تهتم بالشئون الافريقية داخل مصر وخارجها لنسج الخيوط التى تربطه بهذه المؤسسات .

وبالاضافة الى ما سبق يعد المعهد الندوات التى تتناول أوضاع القارة وتأصيلها علميا فقد أعد هذا العام ١٩٩٤/١٩٩٥ م ندوة عن (الجذور التاريخية للمشكلات الافريقية المعاصرة) بالاشتراك مع لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، وندوة أخرى بمناسبة يوم أفريقيا فى يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٩٥ م وهو اليوم الذى انبثقت فيه منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣ كبداية لعهد أفريقى جديد يعمل من أجل التنمية ويوطد أركان السلام ، وكان موضوع الندوه (الاتجاهات الحديثة فى البحوث والدراسات الافريقية) .

وهكذا فان المعهد يفتح ذراعيه لكل هواء نقى يأتى من أى اتجاه طالما أن هذا الهواء سوف يقوى بنيانه ويمده بالقوه والنماء .

ونأمل أن يأتى اليوم ويكون الوعى الافريقى لدى الجميع سواء فى مصر أو غيرها من الدول ، تلك القارة المليئة بالخيرات والموارد ولكنها تنادى عمن يقدم لها يد العون لاستغلال هذه الثروات ليس لفائدة دولها فقط ولكن للعالم أجمع .

وفقنا الله لما فيه خير مصرنا العزيزة وقارتنا السمراء البكر ، انه على كل شيء قدير ،،

عميد الكلية
« أ.د. / السعيد ابراهيم البدوى »

المحتـويات

بيى بوريه وثورة التمن ضـد البريطانيين

(١٨٩٨)

د. عبد الله عبد الرازق ابراهيم
استاذ مساعد بمعهد البحوث
والدراسات الافريقية

المحتويـات :

BAI BUREH AND THE TEMNE
REVOLUTION AGAINST BRITAIN (1898)

By : Dr. ABDALLAH ABD EL RAZEK IBRAHIM

Britain bought an area on the west coast of Africa to provide a shelter for liberated slaves. On this area the foundations of the colony of Serra Leone were established by Britain.

Relations between the Africans of this Colony and the British grew tense conducing to the flare-up of a revolution against British administation led by Bai Bureh, who belonged to the Temne tribe. The said revolution was the first of a series of disturbances that took place against Britiain in 1898.

Causes of Revolutiton :

Scholars hold different viewpoints about the causes of the revolution. Some of them attribute it to the attempt by Africans to realise their independence, while others see the causes in the light of the hut tax levied by Britain on the Africans. The present paper believes that the causes are interconnected and multifarious, and that the hut tax coupled with malpractices of British governors in the Colony and the bad system of administration are the most eminent causes of the revolution.

Life History of Bai Bureh :

Viewpoints differ concerning his life history. It is well known that he spent his childhood in the town of Rogoblan, which forms Part of Kasseh Privince. His father was one of the Professional warriors. The father sent the son for training on the art of war in which Bai Bureh showed a master ability. He gained such a wide reputation that made the council of elders of Kasseh elect him to the post of chief of the tribe,

It is believed that though he apparently belonged to the Temne tribe. his roots are traced back to the Loko. Bai Bureh adoped Islam and was influenced by its teachings that spread from the north. He had a number of assistants who had a knowledge of Arabic language. Besides he developed amicable relations with the Islamic Teacher Bukhara.

Bai Bureh abided by terms of treaties concluded with the British since 1871. However, differences erapted between him and the British because of their interference in disputes among local chiefs. His relations with the British Party gravely deterriorated, and as a consequence he came to challenge the authority of British officials at Kasseh.

Development of the rift between Britain and Bai Bureh :

The rift between Britain and Bai Bureh developed because of british interference in local differences in Serra Leon, on the Pretext of the right given to her by virtue of its treaties with local chiefs. Differences reached a climax when British governor Frederiek Cardew recalled Bai Bureh to his office. Bai Bureh declined to go though he accepted to Pay the fine levied on him by the British governor.

On August 14 th 1896 Britain declared the protectorate on Serra-Leon. Captain Sharpe was appointed British representative there. He imposed the hut tax on Africans paving the way for the revolution.

Bai Bureh's struggle against the British :

Bai Bureh stood against Britian when it tried to impose by force its rule on Kassah, and collect the taxes it levied. Britain made use of the west India battalion which was led by Richard Norris to reinforce Kasseh Police troops. Bai Bureh's troops successfully attacked the town of Port Locke and Bai Bureh used the espoinage intelligence strategy to amass information about his enemies.

The Britsh troops faced fierce resistance and Britian was compelled to recall military reinforcements to conquer Bai Bureh troops. Britain followed scorched land strategy and raided secure villages. John Marshall later seized Kasseh; and Bai Bureh asked the missinoary Elba to mediate between him and the British who insisted on his unconditional surrender.

The battle with the British continued until he fell in captivity of the British forces on November 11 th, 1898. He was put under house arrest in one of the subrubs of Freetown for some time. Later on he was exiled to Gold Coast where he remained till 1905 when he was permitted to return to Kasseh he died in 1908.

اهم الاختصارات الواردة فى البحث

ADLB : Aborigines Department Letter Book.

ADMP : Aborigines Department Minute Papers.

C. O. : Colonial Office.

ECM : Executive Council Minutes.

GCDSS : Governor's Confidential Despatches to Secretary of State for Colonies.

GDSS : Governor's Despatches to the Secretary of State for Colonies.

NALB : Native Affairs Letter Book.

NAS : National Archives of Senegal.

P.R.O. : Public Record Office.

SLA : Sierra Leone Archives.

ـ مقدمـــة :

من الأمور المعروفة أن بريطانيا وهى تحارب تجارة الرقيق ، وجدت أنه لابد من البحث عن مكان على الساحل الافريقى لايواء الرقيق الذين تم تحريرهم من المستعمرات البريطانية وكانت منطقة فريتون بسيراليون هى أنسب مكان لتحقيق هذا الهدف ، واشترت الحكومة البريطانية قطعة من الارض على الساحل الغربى لافريقيا ، صارت فيما بعد نواه لمستعمرة سيراليون .

ورغم أن هذه المستعمرة نشأت خصيصا للرقيق المحرر ، ورغم أن بريطانيا أخذت تتوسع تدريجيا من الساحل الى الداخل كلما زاد عـدد الرقيق الوافد الى المنطقة ، ورغم أن بريطانيا أقامت علاقات حسنة مع سكان الساحل وخصوصا حول فريتون ابتداء من عام ١٧٨٧ وحتى اعلان المحمية فى عام ١٨٩٦ ـ رغم كل هذا فان ثورة كبرى نشبت بين البريطانيين وبين سكان سيراليون بزعامة أحد الحكام المحليين من قبيلة تمن (Temne) فى الشمال يدعى بيى بوريه (Bai Bureh) ، وتلتها ثورة أخرى فى عـام ١٨٩٨ هى ثورة الماندى (Mende) واضطرت بريطانيا الى توجيه الحملات لقمع الثورتين ، بل انهمكت عام ١٨٩٨ كله فى حروب مستمرة مع سكان سيراليون فى الداخل حتى قضت على هذا التمرد .

ما هى أسباب ثورة بيى بوريه وقبيلة التمن ضد البريطانيين ؟ ومن هو هذا الزعيم الافريقى ؟ وما هو الدور الذى لعبه فى مقاومة التوسع البريطانى داخل سيراليون ؟ ، وكيف تطورت الحرب بينهما حتى اخماد هذه الثورة الأفريقية .

نحاول من خلال هذا البحث القاء الضوء على هذه التساؤلات لاعطاء صورة متكاملة عن شخصية أفريقية لعبت دورا فى مقاومة التوسع الأوربى فى القارة ، ورغم هذا الدور الواضح الذى أزعج القوات البريطانية فى محمية سيراليون الا أن الكتابات عن هذا الزعيم لاتزال محدودة ، ولا تتفق مع حجم الثورة التى قادها من أجل مقاومة الاستعمار البريطانى ـ انها محاولة لكشف النقاب عن شخصية أفريقية سجلت صفحات رائعة من المقاومة الوطنية الأفريقية ضد أقوى الدول الاستعمارية فى القرن التاسع

اولا : اسباب ثورة التمن

اختلف المؤرخون حول الأسباب التى أدت الى ثورة بيى بوريه ضد الوجود البريطانى فى سيراليون ، واعترف الحاكم البريطانى فى سيراليون ويدعى فريدرك كارد (Fredrick Cardew) بأن الرغبة فى الاستقلال كانت الدافع الحقيقى وراء هذه الثورة (١) .

وهناك من رأى أن الثورة كانت بسبب ضريبة الكوخ التى أدت الى ثورة الأهالى ضد الوجود الأجنبى بشـكل عام ، وأكد هـذه المقولة تشامبرلين فى مجلس العموم البريطانى بعد اندلاع ثورة بيى بوريه (٢) .

ان الأسباب الرئيسية لهذه الثورة الأفريقية كثيرة ومشعبة ، ولم تكن بسبب ضريبة معينة كما رددوا أو اجراء محدد ، بل هى تراكمات تجمعت وتصرفات أو اجراءات بريطانية أتخذت ، وقـوانين للحد من سـلطات الرؤساء أخذت تتسرب الى الداخل فأحس الرؤساء الأفارقة أن نفوذهم بدأ يتقلص ، فكان عليهم التصدى للأوربيين حفاظا على حقوقهم التقليدية وعاداتهم التى ورثوها عبر أجيال خلت ، ويمكن أن نحدد أسباب الثورة فى النقاط التالية :

١ ـ عندما احتل البريطانيون سيراليون عام ١٧٨٧ قامت علاقات من الود بين البريطانيين وسكان هذه المنطقة ، وظل التعاون قائما حتى عام ١٨٩٦ (وهو عام اعلان المحمية فى سيراليون) ـ حيث كان الرؤسـاء يحتفظون بمناطق نفوذهم ، ويمارسون سلطاتهم على أتباعهم ، وكانوا على اتصال مباشر بالمسئولين البريطانيين والحـاكم العام البريطانى بل كانوا يجتمعون فى عواصم الولايات لحل مشكلاتهم ، وقد قبل الرؤساء المفوضون الدخول فى معاهدات مع البريطانيين على أمل الحصول على بعض الامتيازات التجارية فى خلال تعبيد الطرق المؤدية الى الداخل (٣) .

---

(١) P.R O. C.O. / 267/438 Telegram of 10 May 1898, Governor to the Secretary of State.

(٢) Hansard 4 th Series LVII, 5 May 1898.

(٣) Michael Crowder : West Africa under Colonial Rule, Lonodon 1979, p. 233.

وفى مقابل هذه الخدمات كان الرؤساء على استعداد للسماح لحكومة سيراليون بالتحكيم فى المنازعات بل واتخاذ القرار النهائى بشأن الصراعات التى ربما تنشب بينهم ، وخــلال الفترة من أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضى اضطرت الحكومة البريطانية الى ممارســة المزيد من الســلطة على المناطق الشمالية الداخلية خــوفا من محاولة الفرنسيين احتلالها على أساس عدم وجود نفوذ بريطانى فعلى ، واضطرت حكومة المستعمرة الى اختراع مؤسســات تضمن لها السيطرة ، وابقاء الطرق مفتوحة لكل المسافرين ، وحاولت بريطانيا منع الرؤساء من شن حروب عبر الحدود المتنازع عليها مع الفرنسيين . وفى عام ١٨٩٠ اتخذت بريطانيا أول خطوة فى هــذا المجــال بتعيين اثنين من المندوبين المتنقلين أحدهما للجزء الداخلى الشــمالى والآخر للجزء الجنوبى ، وفى نفس الوقت أنشأ البريطانيون قوة حدود بوليسية للدفاع عن المنطقة ، وكانت كل هذه الاجراءات عاملا فى تقليص نفوذ الرؤساء الذين أعلنوا الثورة لاسترداد مكانتهم السابقة .

٢ ــ بعــد اعلان الحماية البريطانية فى ٣١ أغسطس ١٨٩٦ قامت بريطانيا بتسوية مشكلاتها مع فرنسا فى العام التالى ، ووقعت الدولتان اتفاقيات لرســم الحدود بينهما ، وكان على بريطانيا أن تفرض سيادتها داخل المناطق التى استولت عليها ، فنص قــانون المحمية على تقســيم سيراليون الى خمســة أحياء (مناطق) ، وعينت لها مندوبا بريطانيا له سلطات كاملة ، وقد أدى هذا الى وجود نظام جديد يختلف عن النظم السابقة ، هذا بالاضافة الى تغييرات سياسية فى النمط التقليدى لهيكل نظام الحكم ، وكانت هذه التنظيمات الجديدة سببا فى انزعاج السكان ورؤسائهم وقيامهم بالثورة .

٣ ــ قامت الحكومة بانشاء ثلاثة أنواع من المحاكم تضــم محكمة لمندوب الحى ، وأخرى لرئيس المنطقة ، وثالثة برئاسة الزعيم الأفريقى ، ووجد الرؤســاء الأفارقة أن كل سلطاتهم قد سلبت منهم خصوصــا فى

القضايا المتعلقة بالأرض ، والصراعات القبلية ، وقضايا الاجرام والسلب والنهب وغيرهـا (١) .

وأدرك الرؤساء الأفارقة أن كل هذه التنظيمات تعنى المزيد من أحكام قبضة الحكومة من خلال مندوبيها ، وتقليص سلطة الرؤساء الافارقة ، وكان رد الفعل الطبيعي اعلان الثورة .

٤ ـ قامت حكومة المستعمرة ـ بناء على مرسوم المحمية ـ بالاحتفاظ بحقوق استغلال المناجم ، وموافقة الحاكم على كل الأراضي التي منحت من أجل جمع محصول المطاط أو زيت النخيل ، هذا بالاضافة الى سيطرة الحكومة على ما أسمته بالأراضي البور (Waste land) ، والمعروف أن الأراضي فى نظر الأفـارقة تمثل جزءا أساسيـا من كيانهم ولم يعترفوا بما يسمى بالأرض البور لأنها مزارع لنباتات برية من زيت النخيل أو أراضي مقدسة بها شجيرات الجمعيات السرية ، أو مدافن مقدسة للرؤساء السابقين ، وكان هذا التغيير والسيطرة على هذه الأراضي ذات الطبيعة الخاصة واعتبارها أرضا بورا من أسباب ثورة الرؤساء ضد هذا الوجود الأجنبي (٢) .

٥ ـ ومن أهم الأسباب التي أدت الى قيام ثورة الرؤسـاء بزعامة بيي بوريه ضد الوجود الأجنبي فى سيراليون ـ تلك الضريبة التي فرضتها الحكومة على المنازل ، وكانت فى الأصل عبارة عن خمس شلنات فى العام للمنزل المكون من غرفتين ، وعشر شلنات للمنزل الأكثر من ذلك ـ لكن صارت خمس شلنات لكل المنازل بصرف النظر عن مساحتها ، ولذا أطلق عليها ضريبة الكوخ (hut-tax) ، وقد تحدد الأول من يناير ١٨٩٨ موعدا لجمع هذه الضريبة فى ثلاثة أحياء هي حي رونيتا (Ronietta) وحي بانداجوما Bandajuma) وحي كارين (Karene) (٣) .

---

(١) Hargreaves, J.D. : The Establishement of theSierra Leone Protectorate and the Insurrection of 1898, Cambridge Historical Journal, XII. (1956) pp. 63-6 .

(٢) Parliamentary Papers 1899, LX. Report on the Insurrection in the Sierra Leone Protectorate (Chalmer's Report. I. II.

(٣) Chalmers Report, Vol. II, Evidence of W.T.G. Lawson, Paragraph 1753.

وقد اتحد التجار ورجال الصحافة والرؤساء المحليين من أجل معارضة هـذه الضريبة على اعتبار أن هـذه الضريبة قد حرمتهم من ادارتهم التقليدية ، وفهم الرؤسـاء أن هذه الضريبة تعنى أنهم لابد أن يدفعوا للحكومة عن الأماكن التى ينامون فيها ، وأنهم لم يعودوا يتحكمون فى منازلهم ، وأدركوا أن دفع الضريبة يعنى حرمانهم من السيادة والسلطة فى أوطانهم (١) .

لقد كان ضياع حق الرؤسـاء يعنى ضـياع السلطة والهيبة التى يتمتعون بها بين شعوبهم ، ولذا فانهم اتحدوا من أجل استعادة نفوذهم ، وأصبحت ضريبة الكوخ هى الشرارة التى أشعلت نار الثورة .

٦ ـ عندما سيطرت بريطانيا على المناطق الداخلية من سيراليون ـ بدأت فى توطين الرقيق المحررين ، وكان عليها الغاء هـذه التجارة على الساحل وفى الداخل ، ورغم الدافع الاقتصادى وراء هذا القرار ، ورغم ما فى الغاء الرق من عوامل انسانية ـ فان هذه التجارة كانت تشكل مصدر رزق لعدد من الرؤساء ، ولذا فانهم ثاروا عندما قامت الحكومة بالغاء الرق وتحرير الرقيق المنزلى ، وعلى هذا يمكن القول أن اجراءات اعادة توطين الأفارقة والقضاء على تجارة الرقيق ـ كانت من عوامل قيام الثورة لاعادة هذه التجارة (٢) .

وباختصار يمكن القول أن عوامل عديدة تشابكت وتفاعلت ولكن أهمها جميعا هى فقدان الرؤساء لسيادتهم ، وقيام بريطانيا بالغاء الرق وفرض السـيادة البريطانية على المناطق الداخلية ، وحرمان الرؤسـاء الأفارقة من حقوقهم التقليدية ، وهذا ما ساعد على ازدياد شعور الكراهية نحو بريطانيا ، ونحو قوة البوليس التى أنشأتهـا . وقد لخص كاردو أسباب هذه الثورة فى رسالة بعث بها الى تشامبرلين فى ٢٨ مايو ١٨٩٨ جاء فيها : « ان الأسباب الحقيقية كانت الرغبة فى الاستقلال والابقاء على الأوضاع القديمة مثل غارات الرق ، انها تمرد الرؤساء الذين انكمشت

---

(١) Crowder, M. : Colonial west Africa, collected essays, Chapter 4, Lonodon 1978, p. 73.

(٢) Sierra Leone Archives, Governor's Confidential Despatches to the Secretary of State, Cardew to Chamberlain, 28 May 1898.

سلطاتهم ، والذين عانت ثرواتهم من جراء الغاء الرق ، ان الرؤساء رأوا فى النظام الجديد ضياعا لسلطاتهم ، وخافوا من تعليم أبنائهم فى مدارس الارساليات أساليب جديدة لاتتفق والنظم المحلية ، وفوق كل هذا فان ضريبة الكوخ كانت بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير ، وبعدها الثورة .

وبعد فرض الضريبة كتب عدد من الرؤساء وعلى رأسهم بيى بوريه سلسلة من الالتماسات الى الكابتن ولفرد شارب (Wilfred Sharpe) الذى تولى مسئولية حى كارين ، واشتكى الرؤساء من الادارة الجديدة ، وذلك بعد ثلاثة أشهر من اعلان مرسوم المحمية (١) .

وقد أعد الرؤساء الالتماس بعد أن حضر ممثل الحكومة الى مدينة بورت لوكو (Port Loko) ليشرح المرسوم الجديد ، اجتمع عشرة رؤساء للتشاور وفوضوا أحدهم وهو فودى يونس (Fodi Yunis) رئيس بورت لوكو لكتابة الالتماس وتقديمه وقدم الرؤساء التماسات أخرى الى الحاكم البريطانى فى فريتون ، وانتظروا حضوره من لندن ، ولما التقى بهم حاول اقناعهم بضرورة فرض الضريبة للدفاع عنهم ، وطالب الرؤساء بتخفيف ضريبة الكوخ (٢) .

وأمام اصرار الزعماء والرؤساء الأفارقة وافق كاردو على منح بعض الاعفاءات على أن تؤجل الضريبة للعام التالى (أى عام ١٨٩٨) وأن تكون خمس جنيهات على كل المنازل ، وتجاهل كاردو باقى مطالب الأفارقة ، وأعرب عن عدم استعداده لتغيير قانون المحمية ، ولما أحس تشامبرلين وزير المستعمرات بقسوة كاردو ـ طالبه بالاستجابة لبعض المطالب الوطنية ، فرد عليه كاردو يؤكد أن قانون (مرسوم) المحمية يطبق بشكل هادىء ، وأن أحرج الفترات هى فترة جمع الضريبة ـ لكنه أخبره أن عددا بسيطا من الضباط البريطانيين يكفى لجمع الضريبة دون أية اضطرابات (٣) .

---

(١) Chalmers Report, Vol. II Appendix XIV, Petition of Temne chiefs to Captain Sharpe 17 December 1898.

(٢) Hargreaves, J.D. : Op. cit., p. 66.

(٣) HSLA/GCDSS 18/97 Governor to Secretary of State, 23 March 1898.

ولم تجد الالتماسات أية استجابة من الادارة البريطانية ، وكان باركز (Parkes) وهو أحد مندوبى الأحياء هو الذى طالب بالصبر والأناة عند جمع هذه الضريبة حتى لا يفقد الناس ولاءهم للحكومة البريطانية (١) .

ورغم المعارضة العامة لهذه الضريبة وغيرها ، لم يقبل الحاكم كاردو الغاء الضريبة ، وتمسك بمبدأ دفع المحكومين ضرائب للحاكم مساهمة فى الدفاع عنهم ، وتأمين حياتهم والعمل على رخائهم وادخالهم فى سلم الحضارة (٢) .

لقد كان رؤساء التمن أكثر الزعماء تأثرا بهذه الاجراءات الجديدة وكانوا لا يرغبون بأى حال من الأحوال فى أن تؤول سلطاتهم الى الحكام البريطانيين ، ورغم أن رغبتهم فى التخلص من الحكم البريطانى لم تكن واضحة قبل فرض الضرائب عليهم ــ الا أنهم كرهوا مبدأ التبعية للحكم الأجنبى ، وكان عليهم اما الاستسلام وقبول الأمر الواقع وبالتالى ضياع سيادتهم واما الثورة ، ونفض هذا الكابوس القابع على رؤسهم ، وكانت كريبة الكوخ هى التى عجلت بالاتجاه الى طريق الثورة (٣) .

من هو زعيم هــذه الثورة ؟ وما هــو دوره فى وقائع الصراع مع البريطــانيين ؟

---

(١) SLA/NALB 211/97 Parkes to Col. Secretary 14 Sept. 1897.

(٢) P.R.O. CO. / 267/438 Ghvernment's Conf. Desp. of 28 May 1898.

(٣) P.R.O. C.O. 267/439 Gov.'s Conf. Desp. 28 July 1898.

ثانيا ـ نشأة الزعيم بيى بوريه وتوليه القيادة

اختلفت الآراء حول نشأة الزعيم بيى بوريه ، ولازالت شخصيته يكتنفها الغموض بسبب قلة المصادر التى كتبت عنه ، وما تزال حياة بيى بوريه فى حاجة الى المزيد من الدراسات حتى تتضح معالم هذا الزعيم وأهم أعماله خصوصا أن الدور الذى قام به فى نشر الدين الاسلامى أثناء العمل مع المجاهد بخارى لا يقل عن دوره فى مقاومة الوجود والتوسع الأوربى فى داخل سيراليون •

قضى بيى بوريه أيام طفولته فى مدينة (Rogbolan) التابعة لولاية كاسيه (Kasseh) تلك الولاية أو المقاطعة التى تشمل مساحة صغيرة جنوب التقاء فرع نهر سكارسز مع أنهار مابول (Mabole) (١) •

وكان والده من المحاربين المحترفين ، ولذا فانه أرسل ابنه حسب تقاليد العائلة الى مركز مشهور للتدريب على فنون الحرب والقتال فى بندمبوجوا هون (Pendembu Gwhun) ، وقد أظهر الشاب نبوغا وتفوقا أثناء التدريب لدرجة أن المشرفين أطلقوا عليه لقب كيباليا (Kebalai) أى المحارب الذى لا تمتلىء سلته قط بسبب عدد الرجال الذين قتلهم فى المعارك • ونظرا لأن بيى بوريه هو اللقب الرسمى لرئيس اقليم كاسية ـ وليس لقبا شخصيا ـ فانه أصبح مشهورا به بعد أن أصبح رئيسا لهذا الاقليم فى مايو ١٨٨٧ (٢) •

ونظرا لشهرة هذا الرجل ، فان مجلس الشيوخ فى اقليم كاسيه استدعاه لتولى منصب الرئيس ، ورغم أن التقاليد الملكية تعارض ذلك ، لكن فى حالة عدم وجود مطالب وراث للعرش فان هذه الخطوة كانت مقبولة ، وسمح البريطانيون لهذا الزعيم بتولى المنصب لأن هذا أفضل فى نظرهم لأنه تنقصه الحقوق الوراثية الملكية ، وصار بيى بوريه رئيسا

---

(١) انظر الخريطة شكل رقم (١)

(٢) Fyfe Christopher : History of Sierra Leone. London 1962, p. 501.

حربيا أى يقدم خدمات ومساعدات الى الرؤساء المجاورين لمساعدتهم أثناء الحروب ، وفى مقابل هذه الخدمات يحصل على بعض الحقوق مثل حقه فى استبعاد المسجونين الذين يقعون فى الأسر .

وقد قاد بيى بوريه جماعات التمن ضد البريطانيين لدرجة أن الناس ادعوا أنه من هذه القبائل ، بينما رأى آخرون أنه من جماعات اللوكو (Lokko) وأنه كان ينوى استعادة مكانة هذه الجماعة فى منطقة بورت لوكو (١) .

وقد زاد الأمر غموضا حول أصله خصوصا أنه هو نفسه أخبر الحاكم البريطانى كاردو قبل نفيه أنه من جماعات التمن (٢) .

ويحاول كريستوفر فايف (Fyfe) التوفيق بين الرأيين ، فيرى أنه جزئيا من أصل اللوكو (٣) .

وكما اختلفت الآراء ، وتشعبت الاتجاهات حول أصل هذا الزعيم نجد أنه هناك اختلافا حول الديانة التى اعتنقها ، وهذا يوضح الغموض الذى يحيط بهذه الشخصية الأفريقية ، والتى تحاول المصادر الأوربية التقليل من أهميتها ، حيث يرى البعض أنه كان يعتنق احدى الديانات التقليدية ، وأنه كان عضوا فى جماعة سرية تدعى كيفا (Keia) أو كيفونج (Kefung) وهى التى تمنح أعضاءها قدرات خاصة مثل القدرة على التخفى ، والعيش تحت الأرض أو تحت الماء لفترات طويلة (٤) .

ويرى آخرون أنه تأثر بالدين الاسلامى الذى جاء الى المنطقة مع قبائل السوسو (Susu) والفولانى والماندنجو (Mandingo) تلك القبائل التى هاجرت الى انهار سكارسز والمناطق الشمالية من سيراليون خلال القرن التاسع عشر ، وتزاوج أعضاء من هذه القبائل من جماعات التمن واللوكو واللمبا ، وصار الدين الاسلامى يسيطر على حياة الناس فى هذه

---

(١) Hirst, E. and Kamara, I. : Benga, London 1958, p. 39.
(٢) SLA/GCDSS 43/99 Cardew to Secr. of State 10 Feb. 1899.
(٣) Fyfe, Christopher : Op. cit., p. 432.
(٤) Crowder, M. : Op. cit., p. 74.

المناطق ــ ويرى أصحاب هذا الرأى أن بيى بوريه عندما صار رئيسا تأثر بالدين الاسلامى فى أمور كثيرة ، وأنه قد تأثر بعمق التطورات الاسلامية القادمة من الشمال ، وأنه احتفظ بالموظفين الذين يكتبون باللغة العربية ، وأن معظم مراسلاته مع قسم الشئون الوطنية كانت بهذه اللغة ، كما يرى أصحاب هــذا الرأى أن بيى بوريه كان على علاقة بأسرة من التجــار المسلمين الذين هاجروا الى أرض التمن (١) •

ورغم كل هذه الأعمال التى تنم عن ارتباط وثيق بالدين الاسلامى فان أصحاب هذا الرأى لم يقروا صراحة أنهاعتنق الدين الاسلامى ، وهذا مما يزيد الأمر تعقيدا • والتساؤل البديهى كيف يواصــل بيى بوريه اعتناقه احدى الديانات المحلية وهو الذى شارك الزعيم الدينى فى حركة جهاده ، لنشر الدين الاسلامى •

فقد قامت ثورة ضد الزعيم المسلم بخارى فى عام ١٨٧٦ بسبب اصرارا على فرض تعاليم الدين الاسلامى ، بل وقام الناس بقتل الامام الرئيسى وطردوا بخارى من المنطقة (٢) •

وقد بحث بخارى عن مكان يلجأ اليه فى منطقة النفوذ البريطانى فى كامبيا (Kebalai) وهناك التقى بأحد الزعماء العسكريين ويدعى كيباليا (Kebalia) ورتب بخارى معه على أن يقوم كيباليا بالتوجه الى المناطق المجاورة الداخلية من أنهار سكارسز ، والى منطقة يونى (Yonni) لتجنيد الشباب المحارب (٣) •

وقام كيباليا بجمع جيش ضخم من الشباب بلغ أكثر من أربعةآلاف مقاتل ، وفى يناير ١٨٢٨ قاد بخارى هذا الجيش فى محاولة للجهاد ضد رعاياه ــ لكن الفرنسيين عينوا دودا (Dowda) قاضيا لمدينة فوريكاريا فى

---

(١) Hirst and Makara : Op. cit., pp. 13-17.

(٢) NAS / 76/21/7135/ Letter of Bokhari to Gov Havelock 26 January 1882.

(٣) SLA/ADMP 32/82. W.B. Harding to Gov. Havelock 28 January 1882.

مكانه ، وأثمرت جهود بخارى وكيباليا لكن الفرنسيين اتهموا البريطانيين بمســاعدة بخــارى ، وطالبوا بالقبض عليه ، وكان الرد البريطانى أن معاهداتهم مع حكام أنهار سكارسز مجرد معاهدات صداقة وليست حماية رسمية ، وبالتالى ليس فى مقدورهم القبض على الأشخاص (١) •

وبعد رسم الحدود بين مناطق النفوذ البريطانية والفرنســية طلب انبريطانيون من السكان طرد بخارى من المنطقة ، وفعلا تم طرد هــذا المجاهد الاسلامى ، وظلت مشكلة تولى السلطة فى كاســيه قائمة حتى استشهاد بخارى فى عام ١٨٨٥ ، وبعدها تولى كيباليا المنصب رسميا فى عام ١٨٨٧ واتخذ لقب بيى بوريه لأنه طوال فترة حروب بخارى والتى امتدت لأكثر من عشرين عاما ــ كان كيباليا من أنجح القــواد الذين جذبوا الأتباع (٢) •

ويتضح من ارتباط بيى بوريه مع الزعيم الدينى بخارى ، وقيامه بجمع المحاربين الشباب لنشر الدعوة الاســلامية ، ثم توليه المنصب فى كاسية بعد مصرعه ــ ان الرئيس الجديد كان مسلما قلبا وقالبا ، وانه لم يكن من الذين ظــلوا على ديانتهم المحلية ، وبالتالى فنحن أمام زعيم مسلم ، ومجاهد من أجل نصرة الدعوة الاسلامية فى هذا الجزء من شمال سيراليون وهو بذلك لا يختلف عن زعماء الجهاد الذين ظهروا فى المنطقة بل وفى نفس الفترة أمثال ساموری توری فى غينيا ، والشيخ محمد الأمين ، والزعيم المجاهد الحاج عمر الفوتى التكرورى فى بلاد السنغال ، وأيضا رابح فضل الله فى اقليم تشاد (٣) •

وعندما صار بيى بوريه رئيسا لكاسية التى تبعد حوالى خمسة وعشرين

---

(١) SLA/GLLB - 81/82 Gov. Havelock to Barc .. March 1882.

(٢) La Ray Benzer : Op. cit., p 246.

(٣) لمزيد من الدراسة حول هذه الزعامات الاسلامية انظر :
عبد الله عبد الرازق ابراهيم : المسلمون والغزو الأوربى لأفريقيا ،

ميلا عن بورت لوكو تعهد بالابقاء على شروط المعاهدات مع البريطانيين والتى وقعت فى عام ١٨٧١ ، وكان عليه أن ينفذ الاتفاقيات ، وقرارات المحاكم التى أصدرها الحكام السابقون ، كما كان عليه أن يحفظ الطرق فى ولايته مفتوحة أمام كل التجار ، وأن يحول أية منازعات مع الرؤساء الى مدينة فريتون للتحكيم ، وفى مقابل هذا يحصل على معاش سنوى قدره عشرة جنيهات من الحكومة .

ولم يناقش بيى بوريه شروط المعاهدة ، أو السلطات المخولة له لكن بمجرد توليه السلطة ظهر له أنها لا تعنى الكثير بالنسبة له ، وفى أواخر عام ١٨٨٨ حدث نزاع حول الأرض بين بيى بوريه وزعيم آخر مجاور له هو بيى انجا (Bai Inga).

وعندما علم البريطانيون بالمشكلة ، حذر القائم بالأعمال فى فريتون الرئيسين بضرورة الالتزام بشروط المعاهدات مع البريطانيين وأفادهما بأن الحاكم الجديد ، ويدعى السير جيمس شوهاى (James Shaw Hay) سوف يحل المشكلة فور وصوله (١) .

وعندما وصل الحاكم الجديد استدعى الرئيسين الى فريتون ، وناقش معهما المشكلة ووافق الرئيسان على عرض الأمر على ثلاثة من الرؤساء البارزين للتحكيم (٢) .

وأدرك بيى بوريه أن الحكم ليس فى صالحه ، ورفض قرار المحكمين وخول الحاكم فى اصدار القرار النهائى ، وجاء قرار الحاكم مخيبا لآمال بيى بوريه الذى أخذ يستعد للحرب ، وأرسل اليه الحاكم تحذيرا بتوقيع أشد ألوان العقاب عليه اذا لجأ الى أسلوب القوة ، وقبل بيى بوريه الأمر الواقع لكن المرارة من الحكم لأوربى أخذت تتسرب الى نفسه .

---

(١) SLA/ADLB 88/88 Maltby to Bai Inga 30 October 1888.

(٢) SLA/ADMP 7/88 Memo from Lawson to Gov. 23 Nov. 1888.

وبعد ستة أشهر دخل بيى بوريه فى صراع جديد مع البريطانيين عندما وصلتهم الأنباء بأنه يعد جيشا لمساعدة رؤساء منطقة لمبا (Limba) [١] •

وكان الموقف قد تدهور عندما قاد كاريمو (Karima) أحد زعماء قبائل السوسو جيشا واستولى على عدة مدن فى لمبـا ، وطلب الرؤساء من بيى بوريه المساعدة فى طرد الغزاة من مناطقهم ، وفعلا قاد تحالفا من اللمبا واللوكو والتمن ضد السوسو ، وخشى البريطانيون من اتساع نطاق الحرب داخـل مجال النفوذ الفرنسى ، وحـاول باركز ـ المقيم البريطانى حسم النزاع ، ودعا الرؤساء الى مباحثات سلام لكن بيى بوريه لم يحضر ، وكذلك الثائر كاريمو ، ولما أرسلت قوات الشرطة لاحضـار بوريه لم تجده فى المدينة [٢] •

ورغم تهديدات باركز بضرورة حضور بيى بوريه ، ورغم تحطيم قوة خصمه كاريمو ـ الا أنه رفض الحضور ، وواصل الحرب ، واضطر باركز الى التهديد باستخدام القوة اذا لزم الأمر [٣] •

وفى منتصف سـبتمبر ١٨٨٩ ذكر رجال الشرطة أنهم لم يجـدوا بيى بوريه فى مدينة رويالان ، ولذا أرسل الحاكم (هاى) مجموعة أخرى للبحث عنه ، وكلف فى نفس الوقت الضابط المسئول بأن يتصل به ويخبره بأن التقارير الواردة عنه سيئة ، وأنه لابد من حضوره للدفاع عن التهم الموجهة ضده ، والا اعتبر مخالفا للمعاهدة مع بريطانيا [٤] •

ورغم كل هذه التهديدات لم يستجب بيى بوريه ، وواصـل تحديه للحكومة البريطانية لمدة ستة أشهر ، وكل ما فعله الحاكم هاى هو تكليف

---

(١) SLA/ADLB 397/79 Parkes to Alimami Bomboh Lahai, 14 October 1889.

(٢) SLA/ADLB 432/89, Parkes to Garrett 6 Nov. 1889.

(٣) Crowder, M. Op. cit , p. 78.

(٤) SLA/ADLB 639/90 Gov. to Acting Insp. General of Police, 15 September 1890.

قوة الشرطة بالقبض عليه دون أية مخاطرة ، ولما أدرك بيى بوريه الأخطار الكامنة وراء تهديدات الحكومة ـ أرسل خطابا الى المقيم باركز شرح فيه موقفه ، ورد عليه باركز بأن هذا ليس كافيا ، وأنه غير مقتنع بما ورد فى خطابه وأنه لابد له من الحضور الى أى مكان يوجد فيه ممثل بريطانى ليشرح له الموقف بنفسه ، وهدد باركز بأنه اذا لم يحضر فانه سوف يعامله كعدو ، وبالتالى سيتخذ اجراءات فعالة ضده (١) .

ومرة ثانية لم يتأثر بيى بوريه بهذه التهديدات ، ولم يحدث كلام الحاكم أية تأثيرات بل على العكس أفادت التقارير أنه يجمع الشباب ، ويعد المحاربين لشن هجوم جديد على ساندا العليا (Upper Sanda) وأصدر الحاكم تعليماته الى قوة الشرطة فى هذه المنطقة بأن تكون على أهبة الاستعداد ، وأن تقوم بحملات هجومية اذا تطلب الأمر ، وأن تطلب من بيى بوريه التوجه الى فريتون (٢) .

وأمام هذا الاصرار والتحدى من جانب بيى بوريه أدرك الحاكم هاى ـ أنه يواجه خصما عنيدا فشلت المساعى السلمية فى احضاره ، ولذا عرض فى عام ١٨٩١ على المجلس التنفيذى للمستعمرة كل ما يتعلق بالاضرابات فى سندا ، وأوضح أنه من الضرورى استعراض القوة حتى تتفرق قوات بيى بوريه ، ووافق المجلس بالاجماع على استخدام القوة لوضع نهاية لهذا الرئيس المعاند والذى يرفض الامتثال لأوامر الحكومة البريطانية لكن الحاكم رأى أن ضرورة ارسال قوات عسكرية فى الوقت الحالى صعب بسبب اقتراب موسم الأمطار ، وأجل الفكرة الى ما بعد ذلك .

ويتضح من هذا أن الحكومة قد عجزت بوسائلها التقليدية ، وأسلوبها الدبلوماسى فى اقناع بيى بوريه على الحضور ، وأنها اضطرت الى استخدام القوة بسبب عنف وصلابة هذا الرئيس الافريقى الذى يواصل تحديه للسلطة البريطانية خصوصا عندما واصل بيى بوريه عملياته العسكرية فى ساندا العليا ، وحطم المدن داخل منطقة بيى انجا (Bai Inga)

(١) SLA/ADLB 223/91 Parkes to Bai Bureh 2 April 1891.

(٢) SLA/ADLE 253/91 Gov. to Insp. General of Police 15 April 1891.

لقد كان اصرار بيى بوريه على تجاهل أوامر الحكومة البريطانية ، وقيامه بغزو المناطق المجاورة يعنى استخدام القوة ، والدخول فى صراع مع القوات البريطانية ، فكيف تطورت الأحـداث ، وما هـو موقف بيى بوريه من هذا الصراع والتحدى لسلطة الحكومة البريطانية •

ثالثا ــ بيى بوريه والصراع مع القوات البريطانية

أمام هذه التهديدات المستمرة من جانب قوات بيى بوريه للمناطق المجاورة قررت حكومة فريتون ارسال حملة عسـكرية على أن يكون شباب المحاربين مجندين وطنيين بها وأن تستعين الحملة ببعض محاربى بيى بوريه حتى لا يحدث شك فى أعين الافارقة ــ لكن حكومة لندن رأت أن تشـارك فى الحملة فرقة من قوات الهند الغربية بقيـادة الكولونيل أنفرد بيردن اليس (Alfred Burden Ellis) وقد نجحت هذه الحملة ، وتحقق السلام بشكل تدريجى ولكنه كان سلاما مؤقتا ، ووافق الرؤساء فى منطقة أنهار سكارسز بمن فيهم بيى بوريه على الامتثال لأوامر الحكومة البريطانية (١) •

وفى أوائل عام ١٨٩٤ أفادت التقارير الواردة الى فريتون أن بيى بوريه يستعد للهجوم على موريا وكان على الحاكم الجديد السير فريدرك كاردو (Frederick Cardew) أن يقدم له تحذيرا بعدم القيام بهذا الهجوم (٢) •

وفى الثالث من مارس تحالف بيى بوريه مع سوراكاتا (Surakata) أحد رؤساء السوسـو والذى كان يحارب الفرنسيين ولجأ الى مناطق النفوذ البريطانى ، وسمح له البريطانيون بالاستقرار فى كامبيا بشرط عدم شن غارات على مناطق النفوذ الفرنسى (٣) •

ولما حدث هـذا التحالف مع بيى بوريه قرر الحـاكم كاردو طرد سوراكاتا ، والقبض على بيى بوريه ، وفعلا قامت قوة من الشرطة بقيادة الكابتن شارب ، والكابتن الكسندر تاربت (Alexander Tarbet) بالتوجـه الى منطقة بيى بوريه ، وعندما وصـلت القوة الى روبالان

---

(١) SLA/ECM. 20 April 1892

(٢) SLA/GCDSS encl. I to Conf. Desp., 37/94 Police Report from Kambia, 24 April 1894.

(٣) SLA/ECM 28 May 1894.

اكتشفت أنه قد رحل تاركا عددا من الشباب المحارب والذى قاوم هذه هذه القوة البوليسية • وخشى كاردو من أن يؤدى الفشل فى القبض على بيى بوريه الى ترك آثار سيئة فى حى لوكو (Loko) مما جعل الناس ينظرون باحتقار الى قوات الشرطة ، واقترح وضع مجموعة من فرقة الهند الغربية فى بورت لوكو ، وكتب الى بيى بوريه يطالبه بالاستسلام دون شروط والا فانه سيوقف الاتصال معه ويقبض عليه عندما تسمح الظروف بذلك (١) •

ورد بيى بوريه على كاردو مفيدا أنه لم يرفض الحضور الى بورت لوكو ــ لكن البوليس عندما جاء الى مدينته ، قام بالسلب والنهب ، وحمل عددا من زوجاته ، وذكر أنه مستعد للحضور للدفاع عن نفسه لكنه يخشى الحضور فى الوقت الحاضر من بعض الأعمال الشريرة (٢) •

وبعد أن ضمن كاردو سلامة بيى بوريه تم تحديد لقاء بينهما ، وفى أثناء اللقاء طالب كاردو أن يدفع بيى بوريه غرامة قدرها خمسين بندقية خلال شهر والا قبض عليه وعزل من منصب الرئاسة لفترة معينة (٣) •

ودفع بيى بوريه الغرامة ، وتخلص من العقوبة التى كانت مدبرة له ، وظلت علاقة بيى بوريه مع البريطانيين محدودة حتى اعلان الحماية على سيراليون فى أغسطس ١٨٩٦ ، وظل يحصل على معاشه السنوى ــ لكن بعد الحماية وتقسيم سيراليون الى خمسة أحياء اكتشف أن مقر الحى الذى تقع فيه كاسيه هو كارين (Karene) على الشاطىء الأيسر لنهر مابول (Mabole River) • وجاء فرض ضريبة الكوخ على السكان بمثابة الشرارة التى أشعلت نار العداء من جديد بين بيى بوريه الذى تزعم تحالف الرؤساء ضد البريطانيين ــ وبين البريطانيين ، وهنا تبدأ مرحلة جديدة من الصراع بين الأفارقة والبريطانيين ، لكن طابعها فى هذه المرة سيشهد عنفا ، وكفاحا مسلحا لن يتوقف الا بالقبض على هذا الزعيم العنيد •

---

(١) SLA/GCDSS No Number Gov. to Sec. of State, 13 June 1894

(٢) SLA/NALB. 5 and encl 94 Bai Bureh to Parkes, 31, May 1894.

(٣) SLA/GCDSS, No Number 94 Governor to Secretary of State 13 June 1794

وفى أواخر يناير عام ١٨٩٨ ، وبعد فترة قصيرة من تولى الكابتن شارب منصب مندوب الحى ـــ بدأ فى جمع الضريبة من حى كاريين ، وقام بجمعها أيضا من رجال الشرطة الذين احتجوا على أساس أنه من غير المعقول اجبارهم على دفع ضرائب على منازل اضطروا لاستئجارها نتيجة فشل الحكومة فى اعطائهم منازل مناسبة لهم ولأسرهم ، وانتشرت الاشاعات بأن بيى بوريه قد استعد لمعارضة هذه الضريبة وأنه ينوى مهاجمة حصن كاريين ، وهذا ما أثار قلق الكابتن شارب الذى حاول جمع الضريبة من بورت لوكو ، ورفض التجار دفع الضريبة خوفا من هجوم المعارضين لها عليهم ، وقام شارب بالقبض على الرئيس الأعلى للمدينة ويدعى بخارى بامب (Bokari Bamp) وحذره من العواقب الوخيمة اذا أساء شعبه للتجار ؛ وأطلق سراحه بعد تعهده بالقيام بما طلب منه ـــ ولما رفض بعض التجار الدفع ، قام شارب بالقبض عليهم ، واستدعى بخارى بامب مع عدد من الرؤساء الذين رفضوا التعهد بعدم تعرض الأهالى للتجار ، كما رفضوا مساعدة الحكومة فى جمع الضريبة ، وكان رد شارب هو القبض عليهم وارسالهم الى فريتون ، وتعيين رئيس جديد هو سورى بونكى (Sorie Bunki) (١) •

ووسط هذه التغييرات ـــ انتشرت الاشاعات بأن بيى بوريه ينوى مهاجمة بورت لوكو فى الوقت الذى رفض فيه الرؤساء دفع الضريبة ؛ وهرب عدد كبير من السكان خارج المدينة واتصل شارب بالحاكم العام وأخبره بأنه لا يستطيع مغادرة المدينة المهجورة خوفا من هجوم بيى بوريه، وطلب من الحاكم ارسال عشرين رجلا لمساعدته فى القبض على بيى بوريه الذى صار يشكل خطرا على المنطقة (٢) •

واستعدت القوة البوليسية بقيادة تاربت وتحرك مع شارب وستة وأربعين من رجال الشرطة نحو اقليم كاسيه ، وعلى طول الطريق كان شباب بيى بوريه المختبىء وراء الاعشاب يمطر رجال الشرطة وابلا من الحجارة ، ورد تاربت باطلاق النيران عليهم ، وبادلهم الشباب المحارب بالقاء كرات اللهب المشتعل ، وكان هذا يعنى بداية الحرب واللقاء المسلح بين الرئيس بيى بوريه وقوات الشرطة البريطانية •

---

(١) La Ray Denzer : Op. cit., p. 252.

(٢) SLA/GCDSS encl. to 15/98 Gov. to Major Norris.

وهنا نجد أنفسنا أمام السؤال :

هل كان بيى بوريه قادرا على المواجهة مع هذه القوات البريطـانية المدربة على أحدث الاسلحة ؟

لقد استخدم بيى بوريه نظام التحالف مع جماعات التمن فى الشمال، وكان يجمع المحاربين ، وينظمهم داخل جيشه ، كما اتفق مع الرؤسـاء على منع أية تحركات فى الانهار واقامة المتاريس على طول الطرق البرية، واعتمد بيى بوريه على نظام الجواسيس الذين كان يرسلهم الى القرى المجاورة لتفقد خطوط الدفاع ، ومعرفة عدد السكان ، وكيفية الهجوم أثناء الاشتباكات ، وكان من السهل على رجال بيى بوريه الاقتراب من الحمالين البريطانيين والوقوف على مدى استعـداداتهم ، وكان بعض المرشدين للقوات البريطانية من رجال بيى بوريه ، ولذا فانهم كانوا يقودون القوات البريطانية فى أماكن مجهولة أو يضللونهم حتى لا يعرفون مواقع القرى ، وكان لاحتكاك بيى بوريه بالقوات البريطانية أثره فى معرفة الكثير عن خططهم ، وهذا ما ساعده عندما دخل فى حروب معهم ، ولم تتمكن هذه القوى المدربة على أحدث الاسلحة من القبض عليه بسهولة، بل تكبدت الكثير من الخسائر الى أن تم القبض على هـذا الـرئيس الافريقى .

وسوف نستعرض تطورات الحرب بين القوات البريطانية وبيى بوريه .

رابعا — مقاومة بيى بوريه للبريطانيين

عندما وصلت القوات البريطانية الى كارين ، كانت قوات التمن لملاقاتها ، وهاجمت القوات القادمة ، ووجد تاربت أن المدن مهجورة وأن الرؤساء قد انضموا الى بيى بوريه ، فأدرك شارب وتاربت أن استقرار الادارة البريطانية لن يتحقق الا بازاحة بيى بوريه ، والقضاء على تحالف التمن الذى استولى على معظم القوارب فى الانهار وقطع الاتصالات بين كارين وبورت لوكو ووجد تاربت أيضا أن قوات بيى بوريه تحمـل أسلحة اكثر تطورا مما يحمله البريطانيون ، ولذا فقـد طلب قـوات اضافية من فريتون .

وعلى الفور جمع الحاكم كاردو مجلسه التنفيـذى الذى طـالب باستعراض القوة لاجبار الاهالى على الولاء للبريطانيين ، كما وافق المجلس على ارسال فرقة الهند الغربية الى كارين لتدعيم القوة البوليسية هناك ، وفى نفس الوقت أرسل الحاكم الى وزير المستعمرات يحيطه علما بالموقف ، وبأن هناك مقاومة مسلحة ضد جمع الضريبة لكنه أعرب عن تفاؤله بحسم الأمر فى غضون شهر واحد (١) •

وفى ٢٤ فبراير ١٨٩٨ اتصـل تاربت بالحاكم كاردو وأخبرها أن الموقف يزداد سـوءا وأن المحاربين من قوات بيى بوريه يواصـلون غاراتهم وأن أعوانه يزدادون يوما بعد الآخر وأن التمن قاموا بالقبض على حليف بريطانيا سورى بونكى وقتلوه وأن الخراب قد انتشر فى مدينة بورت لوكو والمناطق المجاورة ، وأخيرا طالب بالمزيد من القوات لاحتلال كل هذه المنطقة ووقف عمليات الارهاب •

وعلى الفور تحرك الميجور ريتشارد جوزيف نورس (Richard, J. Norris) قائد قـوات الهند الغربيـة مـن فريتون ، ومعه تعليمات بالبقاء فى كارين ومساندة قوات الشرطة التى تعمل فى حى كاسيه للقضاء على المتمردين ، والقبض على بيى بوريه • ولما وصل نورس أنزل قواته فى روبات على أنهار سكارسز ، وتقدم سيرا الى كارين ولم يتعرض له أحد ، وعندما وصل الى حامية كارين ، وجد الجنود فى حالة من التوتر ويتوقعون الهجوم فى أى لحظة ، كما أن كميات المؤن لديهم غير كافية •

وأدرك نورس أن المناطق المحيطة بالحامية تحت سـيطرة قوات بيى بوريه ، وأن نقص المؤن سيجعل من المستحيل البقاء لأكثر من ثلاثة أيام فى كارين ، واقترح الجلاء وترك المنطقة ولكن الحاكم كاردو عارض هذا الجلاء لأن ذلك سوف يظهر ضـعف الحكومة ويزيد من اندلاع الثورة وتوسعها فى حى كارين بل وربما فى كل أجزاء المحمية (٢) •

---

(١) P.R.O. C.O. 267/437 Comf. Desp. 22 Gov. to Sec. of State, 22 Feb., 1898.

(٢) SLA/GCDSS encl. 4 to 15 198 Report from Capt. Sharpe to Col. Sec. 2 March 1898.

ولما ازداد الموقف خطرا فى حى كارين طلب شارب من نورس اعلان الأحكام العرفية فى الحى وأن يتولى مسئولية كل من بورت لوكو وكارين (١) •

وبعد اعلان الأحكام العرفية تحرك نورس الى بورت لوكو فى محاولة لابقاء الاتصال مع كارين ، وعلى طول الطريق كان شباب المحاربين يقذفون القوة بالحجارة من داخل المخابىء واضطرت القوة على مدى عشر ساعات أن تقصف المدن والقرى حتى توقف هجوم المحاربين وأخيرا وصلت الى بورت لوكو ، وعلى الفور طلب نورس امدادات عسكرية جديدة من فريتون ، وبمجرد تلقى كاردو تقرير نورس حتى أجرى مشارات مع الكولونيل ارثر بورسوث (Arthur Bosworth) قائد القوات فى غرب أفريقيا ، وتم اتخاذ قرار بأن الموقف ليس خطيرا ولا يحتاج الى أكثر من فرقة واحدة •

فى ذلك الوقت هاجمت قوات التمن بقيادة بيى بوريه مدينة بورت لوكو وذلك بعد ثلاثة أيام من اعلان الأحكام العرفية ، وشبت النار فى منزل مجاور لمقر جمعية الكنيسة التبشيرية ، وبعدها أطلق الشباب النار على المدينة من اتجاه بورت لوكو القديمة واستمر القصف لمدة أربع ساعات ونصف وردت القوات البريطانية على هذا الهجوم ، ولم يتوقف القتال الا بعد تقهقر القوات الغازية ، وقامت القوات البريطانية بتوسيع نطاق الحرب وازالة الكثير من الأعشاب المجاورة بل وتحطيم كل الألواح داخل المنطقة •

ولما وصلت التعزيزات من فريتون بقيادة مستر فوكس (Fox) قامت القوات المشتركة باطلاق النيران على شباب التمن حتى تم طردهم من بورت لوكو لكن فى اليوم الثامن من الاشتباكات قام شباب بيى بوريه بمهاجمة كارين وتصدت لهم قوات الشرطة ، وأمام ازدياد عنف الهجوم ـ وصلت تعزيزات جديدة بقيادة الكابتن ستانسفيلد (Stansfield) الذى قام على الفور باشعال النيران فى مناطق الأعشاب

---

(١) Sla/GCDSS enc 1.4 to 15 198 Report from Capt. Sharpe to Col. Sec. 2 March 1898.

المجاورة لمقر مركزه ، وفى ذات الوقت أرسل كاردو بناء على التقارير التى وصلته يطالب بالقبض على بيى بوريه بأسرع ما يمكن •

ومنذ بداية الاشتباكات وحتى الأول من ابريل ١٨٩٨ كان بيى بوريه وشبابه من المحاربين يسيطرون على الموقف حيث كانت المبادرة فى أيديهم ، وكانت عملياتهم بسيطة ومؤثرة على القوات البريطانية التى لم يعرف قادتها الكثير عن طبيعة المنطقة أرض المعركة ، وحاول بيى بوريه تجنب المواجهة المباشرة وفضل الغارات المفاجئة والهجوم من خلف أسوار محصنة (١) •

وباختصار كان بيى بوريه يستخدم الجواسيس لمعرفة تحرك البريطانيين وكان ينفذ أسلوب الكر والفر ، وهو أسلوب يناسب التعامل مع القوات البريطانية التى تتحرك ببطىء على طرق وممرات لا تعرف عنها شيئا وكان هذا الهجوم المستمر والعنيف من جانب قوات بيى بوريه قد أجبر القيادة على ارسال المزيد من التعزيزات ، وكان الهدف النهائى هو القبض على زعيم هذه الثورة واعادة الأمور الى نصابها ، وفى أول ابريل ١٨٩٨ تحركت قوة بريطانية من ستة ضباط وتسعين جنديا وحوالى ٦٤٠ من الحمالين بقيادة الميجور بك (Major Buck) ، وكانت هذه القوة تشعل النيران فى القرى التى تمر عليها ، ولم تكن مقاومة بيى بوريه عنيفة طوال تحرك هذه القوة وظل بيى بوريه يقود قواته ، ويطلق النار من خلف ستائر وحواجز حصنه ولكن بك استطاع السيطرة على مدينة بوتن (Butien) ، ومع استمرار القصف من جانب رجال بيى بوريه اضطر البريطانيون الى ترك المدينة بعد اشعال النيران بها واتجهوا نحو (كاجينتاما) حيث دارت معركة أخرى بين الطرفين وتفوق شباب التمن بعد اشتباكات عنيفة (٢) •

ولقد واجهت القوات البريطانية مقاومة عنيفة أثناء تقدمها نحو مدينتى رومارون (Komaron) وكاتينيا (Katenia) وهما من أقوى حصون بيى بوريه ، واستخدم البريطانيون أبشع الوسائل من الحرق

---

(١) Crowder, M. : Op. cit., p. 89.

(٢) انظر على الخريطة هذه المواقع شكل رقم (١) •

والابادة للقضاء على مقاومة الشباب لدرجة أن الحاكم كاردو انزعج من أسلوب حرق المدن والقرى وطالب فقط بحرق المدن التى تقاوم القوات البريطانية •

واستمر الدعم البريطانى كما استمر توافد التعزيزات بسبب عنف مقاومة شباب بيى بوريه ، وغادر بوثورت الى بورت لوكو مع قوة من ثمانية ضباط و ٩٢ جنديا و ٣٠٠ من الحمالين وذلك لاعتقاده أن هذه المدينة أفضل كقاعدة من كارين ، ولما تلقى كاردو تقريرا من بوثورت عن خطورة الموقف صمم على التوجه بنفسه الى بورت لوكو •

وتوضع كل هذه الاستعدادات والتحركات والتقارير المتصلة حقيقة هامة هى أن بيى بوريه كان حتى هذا الوقت خصما عنيدا للبريطانيين ومحاربا قويا وشخصية لاتلين أمام التحديات وكلما زادت التعزيزات كلما ازداد اصراره على التحدى والمواجهة وهذه سمات القيادة المدربة والمخلصة لقضية وطنها •

وفى الخامس والعشرين من مارس بدأ كارسميث (Carr Smith) رحلة العودة الى بورت لوكو لكن قوات بيى بوريه اعترضته ودارت معارك عنيفة خارج مدينة ماتيتى (Matita) واضطر سميث الى العودة الى كارين بعد أن جرح هو نفسه مع ضابط آخر ، وتولى أحد الضباط قيادة الحملة (١) •

وما أن سمع الكولونيل بوثورث بهذه الأنباء حتى تحرك الى كارين لانقاذ الحامية واختار مائة من الجنود وأربعة ضباط وبعض المعدات ، واجه هو الآخر مقاومة قوية من جانب رجال بيى بوريه فى كل من ملال (Malal) ورمينى (Rpmini) وقد تمكن فى النهاية من الوصول الى كاجينتاما ــ لكن المعارضة كانت أشد والهجوم أكثر عنفا لدرجة أن القوات البريطانية اصيبت بالاعياء وحل عليها التعب واصيب بوثورث نفسه وسقط مغشيا عليه وفارق الحياة بسبب الحمى (٢) •

---

(١) La Ray Denzer : Op. cit., 259

(٢) P.R.O. C.O. 267/438 Conf. Desp. 39 Gov to Sec. of State 31 March 1898.

وحل جون مارشال (John Marshall) محل بوثورث ووجد انه من الضرورى فتح الطريق الى كارين وقرر انشاء حامية احتياطية فى روميني ، واخذ مارشال بقية الأربعين جنديا الى بورت لوكو حيث وصل الى هناك فى اول ابريل بعد مقاومة عنيفة وجرح عدد كبير من جنوده ، وانخفضت الروح المعنوية لديهم واصيب الضباط بارهاق شديد من جراء الحروب المستمرة •

وقام مارشال ببناء مركزين مابين لوكو وكارين،وقسم المسافة بينهما الى ممرات قصيرة حتى يضمن سلامة ارسال الامدادات ، وان يجهز القواعد للقوارب المتنقلة ، كما وضع فى كارين امدادات تكفيها لمدة خمسة عشر يوما وبدأ أسلوب وسياسة الأرض المحروقة ، وكانت هذه الخطة الجديدة من جانب مارشال بداية النهاية للمقاومة الوطنية بزعامة بيى بوريه وهى مرحلة جديدة من النضال والمقاومة التى استمرت حتى سقوط هذا الزعيم الأفريقى العنيد الذى دوخ القوات البريطانية لمدة عام كامل وأجبر بريطانيا على ارسال المزيد من التعزيزات والمزيد من القوات لوقف نشاط هذا المجاهد الأفريقى والمناضل الوطنى ضد الوجود الأجنبى على التراب الافريقى •

خامسا ــ المرحلة الأخيرة من المقاومة

بعد أن اتبع مارشال سياسة الأرض المحروقة أخذ يشن الغارات على القرى التى تقاوم تقدمه أو تعترض طريقه ، واستطاع فى فترة وجيزة أن يسيطر سيطرة كاملة على الطريق مابين بورت لوكو وكارين وترك حاميات فى كل من روميني وكارين للحفاظ على القوات الحكومية وليمنع بناء أية حصون محلية وانتقل بعد ذلك الى توسيع نطاق الحرب فى كل المنطقة ، وتحرك هنا وهناك محطما كل القرى التى تعترض طريقه ورغم كل هذا فان مقاومة بيى بوريه لم تضعف بل على العكس ازدادت عنفا مع ازدياد أساليب البريطانيين الوحشية وخاضت قوات التمن بزعامة بيى بوريه ثلاث معارك عنيفة كانت أشدها المعركة التى وقعت بالقرب من مدن كاتينيا وماتيتى فى الحادى عشر من ابريل ١٨٩٨ كما دارت

معارك أخرى فى مدن كاجبنتاما فى الثالث عشر، وفى مافورى (Mafouri) فى الخامس والعشرين من نفس الشهر (١) .

ويتضح لنا من هذا العرض للمعارك ، والتواريخ المتقاربة بينها أن قوات بيى بوريه كانت تضاعف من هجومها على القوات البريطانية التى تستخدم أبشع وسائل القتال ، كما توضح هذه الحقائق أن بيى بوريه لايزال يسيطر على الموقف وأن قواته لاتزال تكبد القوات البريطانية المزيد من الخسائر فى العتاد والأرواح كما تبين هذه الحقائق قوة ايمان الأفارقة بقضاياهم ويقينهم أن هذا المستعمر ماجاء الا ليفرض سطوته ويستغل خيراتهم وكان هذا من أهم عوامل الصمود والمقاومة حتى النهاية .

وبعد أن سيطر مارشال على اقليم كاسيه أخذ يوسع العمليات الحربية فى اقليم سندا وكان يدمر كل مدينة أو قرية تعترض طريقه ، وكان يجمع الأهالى ويشرح لهم أن الهدف الأساسى من حملاته هو القضاء على بيى بوريه ، وخلال الأسبوعين الأخيرين من ابريل ١٨٩٨ ضاعف البريطانيون من حملاتهم ، ورغم أنهم سيطروا على كل المنطقة تقريبا الا أنهم فشلوا فى الاقتراب من بيى بوريه أو القبض عليه لأنه كان قد انتقل الى الولايات المجاورة وكان يجمع المحاربين ويدعم صفوف المقاومة الوطنية (٢) .

وكان على مارشال أن يواجه هذه المقاومة الوطنية التى اندلعت فى أجزاء أخرى من المحمية ، وقد عبر عن هذه الجهود التى يقوم بها مارشال فى خطاب أرسله الحاكم الى وزارة المستعمرات شرح فيه خطط مارشال وأنه يتحمل المشاق بل وأنه يضطر فى بعض الأحيان الى تدمير بعض القرى والمدن لكى يتمكن من القضاء على هذا الرجل الذى صار يقلق مضجع البريطانيين .

وطوال هذه العمليات العسكرية كان بيى بوريه هو المحرك لكل أعمال المقاومة الوطنية ، وظل على مسرح الأحداث يوجه العمليات ضد البريطانيين لكنهم عجزوا تماما عن السيطرة على الموقف أو القبض عليه لأنه كان دائما يخدعهم ، مما اضطر مارشال الى عرض مكافأة مالية شخصية لكل من يرشد عن مكانه ولكن دون جدوى .

---

(١) انظر هذه المواقع فى الخريطة شكل رقم (١)

(٢) La Ray Denzer : Op. cit., p. 251.

ورغم أن مارشال استخدم كل الوسائل المتاحة له ، ورغم أنه دمر العديد من المدن والقرى وسيطر على اقليم كاسيه . الا أن بيى بوريه ظل على قيد الحياة وبالتالى استمرت المقاومة التى لم تتوقف الا بالقبض عليه ، ومـع ذلك فان عملية القبض عليه تأخرت حتى انتهاء موسـم الأمطار التى جاءت كثيفة بدرجة تعوق العمليات العسكرية (١) .

وعندما أدرك بيى بوريه أن البريطانيين مصممون على القبض عليه ، ونتيجة للدمار الذى حل بالقرى والمدن بسبب السياسة الغاشـمة التى انتهجها مارشـال فى حرق المدن والقرى . قام بعرض الوسـاطة على بريطانيا لانهاء الحرب والتوصل الى شروط للسلام ، واستعان بيى بوريه بأحد رجال التبشير ويدعى السير البا (Sir Alba) الذى عرض عليه بيى بوريه نقل رسالة شفوية للحاكم البريطانى توضح رغبته فى السلام لكن جاءه الرد بأنه لا وساطة الا باستسلام بيى بوريه دون قيد أو شرط (٢) .

ورفض كاردو كل المحاولات من أجل الوساطة على أمل أن يستلسم بيى بوريه ، وأرسل المسـلمون فى فريتون خطابات من بيى بوريه الى السير دونالد (Donald Chalmers) المندوب السامى عبر فيها عن رغبته فى السلام وطلبوا التحقيق فى اسباب النزاع ، لكن فشلت وساطة شالمرز الذى بعث الى بيى بوريه من خلال وزير الشئون الوطنية رسالة تحمل تحياته الحارة وطلب منه أن يستمع الى اقتراحات الحاكم الذى يرفض كل عروض الوساطة وهكذا أضاع البريطانيون فرصة تحقيق السـلام مع زعيم وطنى كبدهم الكثير من المعاناة ، فكان لابد من جولة أخيرة تحسم هذا الموقف المعقد .

وفى ١١ نوفمبر ١٨٩٨ تمكنت فرقة بريطانية من تعقب بيى بوريه فى منطقة كثيفة الحشائش ذات مستنقعات كثيرة وقاوم بيى بوريه لكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلا أمام هذه القوات البريطانية وحاول رجلان من التمن الهرب من أرض المعركة لكن ضـابطا من سـيراليون تابعا

(١) P R.O.C.O. 267/438 Conf. Desp. 39 Gov. to Sec. of State 27 May 1898.

(٢) SLA/Local Letter Book 405/98 Gov. to A. Elba, 10 June 1898.

للقوات البريطانية تعقبها واستطاع القبض على أحدهما ، وكا هو بيى بوريه نفسه (١) .

وهكذا سقط هذا الزعيم الأفريقى بعد حوالى عام من النضال والكفاح ذاق فيه البريطانيون الذل والهوان ، وما أكثر القيادات التى تعاقبت والأموال التى أنفقت والأرواح التى أزهقت وما أشد الدمار الذى حل بالمنطقة من أجل اخماد صوت الحرية وصموت التحدى لهذا المستعمر البريطانى .

لقد جاءوا لنشر الحضارة وتمدين الأفارقة كما ادعوا فاذا بهم يحولون الأرض الأفريقية الى ميدان للصراع والدمار وما سياسة الأرض المحروقة التى اتهجها البريطانيون فى سيراليون ، والألمان فى تنجانيقا الا وسيلة لجلب الخراب وتدمير الحضارة الأفريقية التى عاشت وترعرعت فى هذه القارة منذ قدوم الاسلام اليها فى القرن السابع الميلادى .

لقد سقط هذا الزعيم بعد مرحلة طويلة من الكفاح وما أشبه سقوطه بسقوط الزعيم عمر المختار فى ليبيا والذى أذاق الايطاليين الهوان على مدى تسع سنوات ، وهكذا تكون نهاية الأبطال الذين يناضلون حتى آخر لحظة من حياتهم غير مبالين بالمال والحياة فى سبيل الدفاع عن أوطانهم وفى سبيل الحفاظ على بلادهم أمام هذه الموجة الاستعمارية العنيفة التى اجتاحت القارة فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

وبعد القبض على بيى بوريه قررت الحكومة محاكمته فى كارين لأنها شعرت أن المحاكمة اذا تمت فى فريتون فربما يثير ذلك سخطا شعبيا كبيرا نظرا لما يتمتع به بيى بوريه من مكانة فى نفوس الشعب السير اليونى . وكانت خطة شارب أن ينتقم من هذا المجاهد الوطنى الكبير بتقديمه الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى (٢) .

---

(١) P R O. C.O. 267 end. to Conf. Desp. 273 Report of Capture of Bai Bureh from It. Col. Cunningham.

(٢) SLA/CMP. 149/98 District Commissioner (Karene to Col. Sec. 14 November 1898.

وكتب كاردو الى وزير المستعمرات يفيد الرغبة فى محاكمة بيى بوريه بتهمة الخيانة العظمى لكن الوزير طلب تأجيل هذه الاجراءات ، وهكذا تم حجز بيى بوريه فترة الى أن تصل التعليمات بشأنه من لندن ، وفى هذه الفترة حاول أحد الحراس من التمن مساعدته على الهروب لكن المحاولة فشلت ، وبعدها تقرر نقله الى فريتون وهناك كان يحصـل على غذاء خاص ، وكان يعيش بمعزل عن بقية المسجونين .

وأخيرا توصل مندوب وزارة المسـتعمرات الى قرار أعلن فيه أن بيى بوريه نموذجا لها حتى تحقق الاستقلال التام لهذه المستعمرة البريطانية البريطانيين ، ولأنه لم يقدم الى محاكمة من قبل ، وهكذا نجى بيى بوريه من هذه التهمة التى حاول شارب بكل وسيلة أن يلصقها به .

وأقام بيى بوريه فى منزل فى ضواحى فريتون فى أوائل ابريل ١٨٩٩ ، وكان يقيم بالقرب من ملك الأشانتى المعزول برمبه الأول ، وظل تحت الحراسة المشددة لأن الناس توافدوا على هذا المنزل لالقاء نظرة أخيرة على زعيمهم الذى صمد طويلا وعلى هذا الخصم العنيد والمتحدى الأعظم للسيادة البريطانية ، وبعد القبض على هذا الزعيم توقفت حركة المقاومة الوطنية الى حين ، ونعم البريطانيون بسـلام نسبى بعـد انهاء مقاومة بيى بوريه ــ لكن الحركة القومية اندلعت من جديد متخذة من صمود بيى بوريه نموذجا لها حتى تحقق الاستقلال التام لهذه المستعمرة البريطانية فى الستينيات من هذا القرن .

وسيظل نضال بيى بوريه ، وتحديه للسـلطات البريطانية ووقوفه بشجاعة واقدام ضد كل الاجراءات البريطانية وضد ضريبة الكوخ بشكل خاص ، سيظل صمود هذا الرجل علامة مضيئة فى التاريخ القومى الأفريقى الذى يحتاج الى مزيد من الدراسات حول هذه الشخصيات التى لم تجد من الأوربيين الا التجاهل التام ، والصاق تهم المجون والمخمورين والمجانين عليهم ، لقد ظل نضال بوريه مجهولا لفترة طويلة لكن بالبحث فى سجلات وزارة المستعمرات البريطانية نجد الكثير عن هذه الزعامات التى وقفت وصمدت وتحدت الوجود الأجنبى .

لقد رفض الحاكم البريطانى عودته الى بلاده حتى لا يكون ذلك علامة ضعف بل ورأى أن ينقل الى ساحل الذهب مع عدد من الرؤساء

المعارضين للوجود البريطانى ، وفعلا نقل بيى بوريه الى ساحل الذهب (غانا حاليا) وظل هناك حتى سمح له أخيرا بالعودة الى وطنه فى عـام ١٩٠٥ ، وعاد الى منصبه ـ لكنه كان قد بلغ من العمر عتيا ، فعاش فى حياة مسـالمة ولم تحدث أية اضطرابات حتى وافاه الأجـل المحتوم فى عـام ١٩٠٨ .

سادسا - الخاتمة

من هذا العرض لنضال وكفاح بيى بوريه وتحديه للسلطات البريطانية نجد أنفسنا أمام زعيم من أبرز زعماء الصمود والتحدى للسيادة الأوربية على أرض أفريقيا ، وهو فى نضاله وصموده لا يقل كثيرا عن زعماء آخرين قاموا بأدوار بطولية أمثال ساموري تورى ، ومحمد الأمين والحاج عمر الفوتى ، وأحمد شيخو ، ورابح فضل الله ، واذا كان هؤلاء الزعماء قد وجدوا حظا من المؤرخين الذين سردوا جزءا من نضالهم فان بيى بوريه رغم مهاراته الخاصة لم يجد من الكتاب القدر الذى يليق بالدور الذى قـام به .

لقد تجاهله الكتاب بل ، ومن أشار الى نضاله حاول اسدال الغموض حول أصله وتربيته ودوره النضالى ، بل وحدثت عدة اختلافات حـول عقيدته الدينية ، وأنكر بعضهم أنه يدين بالاسلام رغم الأعمال العديدة التى تجعله أقرب الى الدين الاسلامى من غيره من الديانات المحلية لكن كان المقصود من هذا التضليل هو الحط من قدر هذا الزعيم ، والتقليل من جهاده بالرغم من الدور الذى قام به على مدى عشرين عاما كأعظم قواد الزعيم الدينى بخارى بالرغم من توليه القيادة بعد استشهاد هـذا الزعيم .

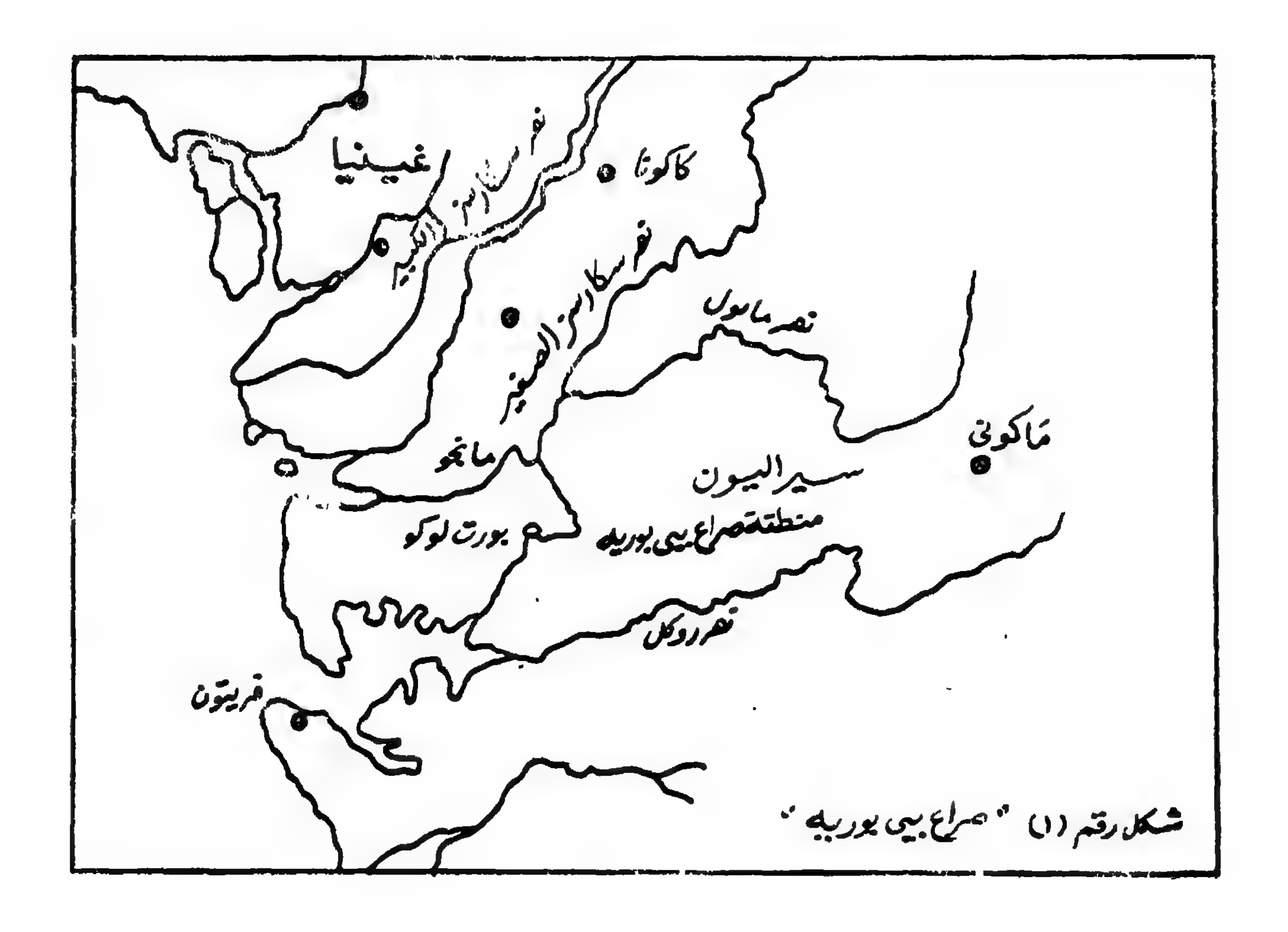
لقد كان بيى بوريه زعيما من طراز خاص له طبيعة تختلف عن غيره من الزعماء فى مختلف أجزاء القارة الأفريقية . ذلك لأن سيراليون كانت منذ البداية من أوائل المستعمرات التى استقرت فيها بريطانيا بعد الغاء تجارة الرقيق وبعد تزعمها حركة توطن الرقيق فى بلاده الأصلية ـ فقد كانت سيراليون هى الملاذ لتنفيذ هذه السياسة وبالتالى فهى منطقة استقرار بريطانية دائمة بعكس بقية المستعمرات التى تم الاسـتيلاء عليها ابان

مرحلة الصراع على القارة بعد مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤/١٨٨٥ لكل هذا لم تتضح صورة جهاد بيى بوريه بسبب طبيعة المستعمرة الخاصة ولأن البريطانيين حاولوا طمس معالم هذا الصراع واعتبروه مجرد قائد وطنى ثائر ضد ضريبة الكوخ •

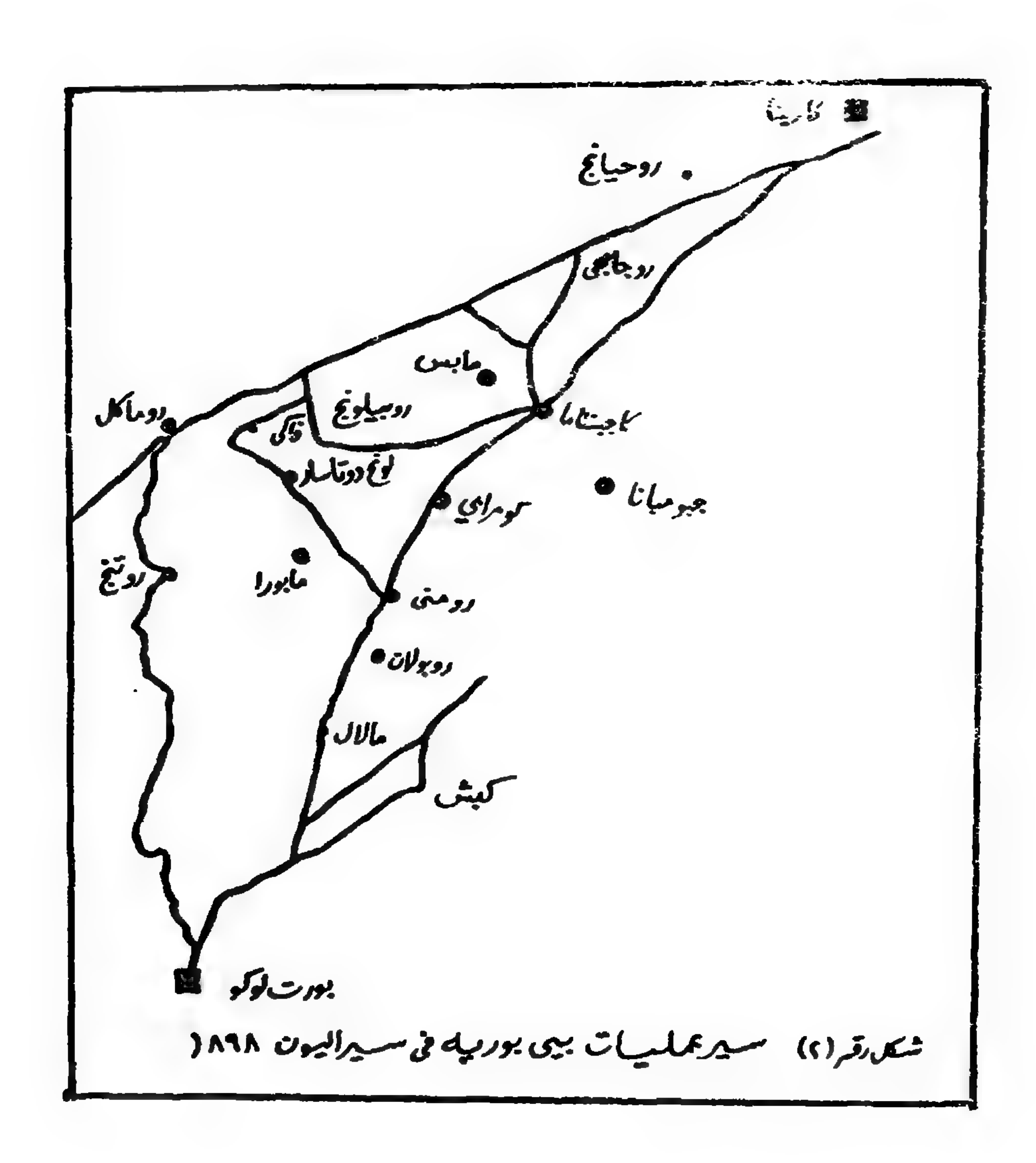
وبالرغم من أن المصادر البريطانية حاولت التقليل من نضال بيى بوريه واتهمته بأنه رجل مخمور ، وركزت على مهارة الرجل الأبيض وقدرته على التخطيط والمناورة ــ لكن عنف المقاومة والتحدى للسلطات البريطانية على مدى عام كامل أثبت أنهم أمام محارب عنيد يعرف فنون الحرب الحديثة ، ويعرف كيف يتعامل مع عدو أكثر منه عنادا وتقدما فى التسليح ويعرف كيف يجاريه ويوقع به الخسائر دون أن يصاب اصابات مباشرة ، لقد اعترف البريطانيون الذين تعاملوا معه بأنه كان محاربا من الطراز الأول وأنه كان يشرف بنفسه على عملياته العسكرية وأنه كان يجيد فن الضرب والاختفاء ، وهذا جعل المقاومة تستمر فترة طويلة وأجبر بريطانيا على ارسال المزيد من القوات على أمل انهاء هذا الثائر لكنه صمد وقاوم وناضل ، ولم تستطع بريطانيا ــ بقياداتها المتعددة وبأسلحتها المتطورة وبرجالها من قوات الحدود وقوات غرب أفريقيا ــ أن تنال من هذا الزعيم الا بعد أن لجأت لأسلوب الحرق والدمار أى أسلوب الأرض المحروقة التى تقضى على الأخضر واليابس ، وهذا أسلوب لا يتفق مع ما ادعاه الرجل الأبيض من أنه جاء الى القارة حاملا مشعل الحضارة الأوربية •

لقد ظل بيى بوريه يقاتل ويحارب فى نفس الوقت الذى عرض فيه شروط السلام للحفاظ على وطنه ــ لكن المستعمر لم يقبل هذه الشروط وطالبه بالاستسلام دون قيود ، فرفض بيى بوريه وظل يقاوم حتى سقط أسيرا على أرض المعركة وهذه سمة الأبطال الأفارقة الذين قاوموا حتى آخر قطرة من دمائهم •

ان دراسة حياة ونضال بيى بوريه تجعلنا أمام بطل أفريقى قوى صمد وقاوم وتحدى أقوى دولة فى العالم فى القرن التاسع عشر ومن يفتش فى التاريخ الأفريقى سيجد كثرين من الزعماء أمثال بيى بوريه الذين قدموا أرواحهم رخيصة فى سبيل الحفاظ على أوطانهم وعلى حضارتهم الأفريقية وعلى استقلال بلادهم وحريتها •



شكل رقم (١) "صراع بيى بوريه"



شكل رقم (٢) سير عمليات بيي بوريه في سيراليون ١٨٩٨

المصادر والمراجـع

اولا - الوثائق الاصلية باللغة الانجليزية

1. **Public Record Office (P.R.O.)**

   C.O. 266 / 437

   C.O. 267 / 438

   C.O. 267 / 439

2. **Sierra Leone Archives (SLA) :**

   SLA / Governor's Confidential

   Despatches to Secretary of state for colonies (CCDSS).

   SLA / Native Affairs Letter Book (NALB).

   SLA / Aborigines Department Minute Papers (ADMP).

   SLA / Governor's Local Letter Book (GLLB).

   SLA / Aborigines Department Letter Book (ADLEB).

   SLA / Executive Council Minutes (ECM).

3. Parliamentery papers 1899, LX Report on the Insurrection in the Sierra leone protectorate (Chalmers Report) I. II.

4. Hansard 4th Series LVII, 5 May 1898.

ثانيا : مراجع باللغة العربية :

ـ عبد الله عبد الرازق ابراهيم : المسـلمون والاستعمار الأوربى لافريقيا ، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ١٩٨٩ .

ثالثا ـ مراجع باللغة الانجليزية :

1. Hargreaves, J.D., : The Establishment of the Sierra Leone Protectorate and the Insurrection of 1898, Cambridge Historical Journal XII (1956).
2. Hirst, E. and Kamara, I.; Benga, London 1958.
3. Fyfe, Christopher; History of Sierra Leone, London 1962.
4. Michael Crowder; West Africa under Colonial Rule, Colonial West Africa. London 1978.

الطعــام ، الثقــافة ، السـكان

(دراسـة فى أنثروبولوجيــا الطعــام)

مع أمثلة من أفريقيــا *

اعـــداد

دكتور / توفيــق الحسينى عبـده

بقسم الانثروبولوجيــا بالمعهــد

مقدمـــة :

يرجع الفضل الى علماء الانثربولوجيا الاوائل فى القاء الضــوء على مكونات الثقافة السائدة فى المجتمعات وايضاح الدور الذى تؤديه كل منها فى حياة الشعوب . وقد نال موضوع الطعام وما يتصل به من نظم اجتماعية وعادات وتقاليد عناية كثير من الباحثين الانثربولوجين . وبخاصة اؤلئك الذين تخصصوا فى دراسـة الانثربولوجيا الاقتصادية من أمثال مالينوفسكى Malinowski وريموند فيرث R. Firth وهرسكوفيتز Herskovits . وتظرا للاهمية المتزايدة لموضــوع الطعام فى الوقت الحاضر ، فأن الحاجة ماسة الى انشاء فرع جديد من الانثربولوجيا يسمى « انثروبولوجيا الطعام » يجمع كل ما يتصل بالطعام سواء أكانت نظم انتاج او استهلاك او توزيع وكذلك يشمل ايضـا العادات والتقاليد المتصـلة بالطعام ولا سيما ان هذا الموضوع بدأ يجذب باحثين وعلماء من تخصصات اخرى مثل علماء التغذية والبيئة والانثربولوجيا الطبية . وقد اثمرت كل هذه المحاولات تراكم عدد هائل من الدراسـات المتفرقة التى يمكن أن تكون لها قيمة علمية كبيرة لو وجدت المسار العلمى المحدد الذى توجهه مبادىء وأسس نظرية ، تمهيدا لارساء تعميمات مقبوله بناء على دراسات مقارنة لمشكلات الطعام فى عدد كبير من المجتمعات . ولا سيما وقد تبين

ان الطعام ليس مجرد عامل اشباع بيولوجي بقدر ما هو عنصر ثقافى مقبول أو غير مقبول تبعا للثقافة السائدة فى هذا المجتمع او ذاك .

ولن يكون للبحث فى مجال « انثربولوجيا الطعام » مجرد فائدة نظرية او اكاديمية فقط ، بل ان مجالاته التطبيقية ستكون اعم واشمل . وستتضح الابعاد الاجتماعية والثقافية لمشكلات الطعام فى الدول النامية — كما هو الحال فى مجتمعات افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية — من خلال تناول التنوع الهائل للعادات والتقاليد والمعتقدات والنظم المتصلة بالامور الغذائية والطعامية عند هذه الشعوب ، ولا سيما بعد تعرض الكثير منها للنقص الشديد فى موارد الطعام التقليدية وذلك نتيجة لظروف وعوامل مختلفة ، واعتمادها على استيراد مواد الطعام من بلدان وثقافات تختلف عنها فى الثقافة والعقيدة والنظم الاجماعية .

وحتى نتعرف على الجوانب المختلفة لمشكلات الطعام فى الثقافات المختلفة وبخاصة فى قارة افريقيا ، فان هذه الدراسة ستحاول القاء الضوء على بعض هذه الجوانب ، وهى تتألف من ثلاثة فصول وخاتمة ، يتناول الفصل الاول وسائل انتاج الطعام فى البيئات الطبيعية المختلفة واستعراض لانواع النشاطات التى يمارسها السكان لاستخلاص مقومات معيشتهم فى صورة حرف أو انشطة انتاجية متنوعة كالجمع والالتقاط ، والصيد والقنص ، وصيد السمك ، والرعى ثم الزراعة ، اما الفصل الثانى فيناقش الى اى حد ترتبط هذه الانشطة بالتنظيمات الاجتماعية وبخاصة التنظيم القرابى ، وكيف تتخذ المجتمعات نظما قرابية معينة تتناسب مع طبيعة النشاط القوتى الممارس وكيف توزع ايضا على اعضاء المجتمع ، ويتناول الفصل الثالث استعراضا للعادات والتقاليد والعقائد المتصلة بالطعام لنتعرف على مقدار تباينها وتنوعها فى ثقافات الشعوب ونظمهم الاجتماعية وتختتم الدراسة بأهم النتائج التى توصلت اليها .

الاطار النظرى :

يعد البحث فى مجال الحاجات البشرية وبخاصة فى ميادين الغذاء والطعام او المأكل كحاجة بشرية لازمة الاشباع ، قديما جدا منذ عصر

فلاسـفة اليونان القدماء ، فمن مجمل آراء افلاطـون (١) الاقتصـادية والسياسية ان الدولة تنشأ اساسا لتقوم بتلبية حاجات بني الانسـان ، اذ لا يوجد فرد يستطيع ان يكفى نفسه بنفسه ، لان حاجات الانسان كثيرة تستلزم عدة اشخاص لكى يمدونا بها ، ثم ينتقل افلاطون بعد ذلك الى مناقشة تقسيم العمل الذى يرى فيه ضرورة من ضرورات الحيـاة الاجتماعية والاخلاقية الكثيرة التى يجنيها المجتمع من سيادة مبدأ تقسيم العمل ـ وذلك على غرار ما سيفعل دور كايم فيما بعد ـ فتقسيم العمل ضرورى للانسان من مطالب كثيرة اهمها المأكل والمسكن والملبس .

وقد طور برنسلاو مالينوفسكى الذى يعد ابو الانثربولوجيا الوظيفية دعوة افلاطون للبحث فى الحاجات الانسانية فى شكل نظرية ثقافية وزاد عليها اربع حاجات اخرى .

وتتلخص نظرية الحاجات Needs عند مالينوفسكى فى ان البشر فى كل مكان عليهم ان يشبعوا سـبع حاجات بيولوجية اسـاسية لكى يعيشوا.وهذه الحاجات السبع هى الحاجة الى الغذاء ، والتناسل ،والراحة، والامن والحركة ، والنمو ، والصحة . ويوجد فى كل مجتمع فى العالم نوع من الاستجابة الثقافية لكل من هذه الحاجات .. وتؤدى الاستجابة الثقافية للاحتياجات البيولوجية الاساسية بدورها الى خلق بعض الحاجات الثانوية وهى ثقافية اكثر منهـا بيولوجية ، وتتميز هى الاخرى بأنهـا مشتركة بين ابناء البشرية جميعا ، ولتوضيح هذا يمكن ان نقارن بين حاجة الجسم الى الغذاء ، التى تتم مواجهتها ببعض اساليب الحصـول على الطعام ، وبين الحاجة الثانوية الى تدريب ابناء ثقافة ما على الاستخدام السليم والانتفاع بهذه الاساليب ومن الواضح ان مثل هذا التدريب ليس اقل ضرورة للوجود الانسانى من عملية الحصـول على الطعـام نفسـه (٢) .

---

(١) حسن شحاته سعفان ـ تاريخ الفكر الاجتماعى . مطبعة دار التاليف ـ القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٠ .

راجـع :

(٢) Beals, R. & Hoijer, H. : An Introduction to Anthropology, Mac Millan Company, N.Y. 1967, P. 723.

ترجمة د. محمد الجوهرى ـ الفصـل العاشر ـ فى كتاب التغير الاجتماعى . دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٢ ص ٢٦٩ .

وسوف يقتصر هذا البحث على دراسة الحاجة الى الغذاء من خلال نظرية مالينوفسكى المشار اليها ، فكما تبين ان كل الاغذية تخضع لانتقاء ثقافى لاختيار انواع الطعام المرغوبة من بين الموارد المتاحة فى الاقليم او كما يسميها مالينوفسكى انها حاجة ثقافية اكثر منها بيولوجية ،والهدف من هــذا هو التعرف على مدى عموميتها فى المجتمعات والثقافات المختلفــة وبخاصة الثقافات الافريقية التى تتنوع بشكل يسمح بعقد المقارنات بين الانماط المختلفة من نشاط الانسان فى محاولاته لتأمين مصادر ومقومات حياته ، والى اى مدى تســتخدم اساليب الحصــول على الطعام وهى ما تعنيه النظرية بالحاجة الثانوية للافراد •

المنهج المتبع فى الدراسة :

تحدد طبيعة الموضوع نوع المنهج الملائم للدراسة لذلك فســوف تسير الدراسة على اساس المدخل الثقافى الوظيفى Functional Cultural Approacn الذى يستلزم ان ينظر الباحث الى العناصر الثقافية فى المجتمع على انها متكاملة ومترابطة • فالطعام كأحد العناصر الثقافية يعد عنصرا ثقافيا له محدداته وصلاته مع العناصر الاخرى ، كما يعتبر ايضا حاجة بيولوجية يسعى الانسان فى كل الثقافات الى اشباعها تبعا لما يتوفر فى البيئة من موارد •

وحيث ان الطعام يرتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة السائدة فى مجتمع ما ، فقد حدد علماء الانثربولوجيا الطبية الفرق بين الغذاء والطعام من منظور ثقافى ، فالطعام كظاهرة ثقافية ليس منتج عضــوى يتألف من عنــاصر بيو كيماوية يمكن ان تستخدمه كائنات حية بما فيها الانسان للبقاء على قيد الحياة ، انما تحدد الثقافة فى كل مجتمع انسانى ما يعد كطعام صالح للاســتخدام البشرى وما ليس كذلك • وهنا تحتاج المــوارد الغذائية المتاحة فى الاقليم الى موافقة ثقافية حتى تصبح طعاما مقبولا ، كما ان اى مجتمع بشرى مهما كانت درجة تقدمه او بساطته لا يمكن له ان يستهلك

---

(١) Malinowski, B. : A Scientific Theory of Culture and other Essays, 1944.

(٢) Malinowski, B. : The dynamics of Change, 1945.

الاشارة الى الترجمة العربية .

كطعام كل المصادر الغذائية المتوفرة فى البيئة المحيطة • فبسبب المحرمات الدينية او العقائدية او العادات المرعية تستبعد بعض انواع الاغذية من قائمة الطعام • لذلك يتعين التمييز بين « الاغذية » و « الاطعمة » فالغذاء هو مفهوم بيوكيماوى او مادة عضـوية تغذى الكائن الذى يستهلكها وتبقيه فى صحة جيدة ، اما الطعام فهو ثقافى انسـانى تحدده معتقداتنا عما يصلح كطعام أو ما لا يصلح من انواع الاغذية المتاحة (١) •

ويصنف العلماء (٢) البيئات الطبيعية التى يمكن ان تكون مجـالا لانتاج الطعام الى ثمانية اقسام رئيسية هى :

١ ـ **الاراضى الجافة** : (الصـحراء) : ويتراوح متوسـط المط السنوى الساقط عليها بين صفر ـ ١٥ بوصة مع الاختلاف فى درجـة الحرارة وهى مناطق نادرة النباتات محدودة الحياة الحيوانية ، اما موارد المياه الجوفية ان وجدت فهى موزعة بغير انتظام وتؤثر بشكل مباشر على توزيع الحياة الحيوانية والبشرية ، وتشكل الواحات مناطق الاستقرار الوحيدة ، حيث يوجد شكل بسيط من اشكال زراعة الحدائق والرعى المحدود • وتوفر البيئة الصحراوية مجالا بسيطا للرعاة وجامعى الطعام •

٢ ـ **الغابات الاستوائية المطيرة** : وتقع حـول خط الاسـتواء حيث الامطار الغزيرة ودرجة الحرارة المرتفعة مما يؤدى الى نمو غزير للنباتات والاشجار المرتفعة بشكل يعوق احيانا الحياة الحيوانية والبشرية ، والمطر شبه يومى فى هذه المناطق ، وليس هناك فصول واضحة للسنة حيث تزهر النباتات على مدار السنة ، ونادرا ما يخترق شعاع الشمس كثافة الاشجار ليصل الى ارض الغابة •

٣ ـ **نباتات البحر المتوسط** : وهى المحصورة بين الصحراء والبحر ويفصلها عن الصحراء سلسلة من الجبال حيث تقع فى المنطقة المعتدلة ، وتتمتع بأمطار شتوية متوسطة وصيف حار جاف ، مما يساعد على نمو

---

(١) Foster, George M. & : Medical Anthropology. Anderson, Barbarag. John Wiley & Sons N.Y. 1978., P. 265.

(٢) Hoebel, Adams : MAN, In the Primitive World, MC GRaw-Hill Books Company, Inc. N.Y. 1958, P. 178.

الاشجار ونباتات المنطقة المعتدلة ، وهى وفيرة ، ورغم انهـا محدودة المساحة الا انها كافية لامداد نماذج مختلفـة من المجتمعات الانسـانية بالطعام الكافى •

٤ ـ **نباتات المنطقة المعتدلة** : وهى غزيرة المياه دائمة الخضرة والانبات صيفا وشتاء ، ولكن النباتات البرية الصالحة للغذاء الادمى محـدوده ويمكن ممارسـة البستنه فيها ، ولكن تتطلب كثيرا من العمـل لتهيئة الارض للزراعـة • ونباتات المنطقة المعتدلة ملائمة لنوع الاسـتيطان البدائى ، ولقد وفرت الغذاء لانسان الحضارات الاولى منذ فجر التاريخ ، اما فى الوقت الحاضر فقد شهدت المنطقة غزوا هائلا واصبحت مأوى لاكثر من نصف سكان العالم •

٥ ـ **نباتات المنطقة المتجمدة** : نباتات هذه المنطقة تمر بشتاء طويل قارس وصيف قصير ، مما يجعل حصول الانسان على الطعام امرا شاقا اللهم الا بعض الصـيادين الذين يعيشـون على لحوم الحيوانات التى يصيدونها ويتخذون من جلودها ملابس لهم •

٦ ـ **المنطقة القطبية والتندرا** : وهى مساحات هائلة من الاراضى المتجمدة او المكسـوة بالجليد تنمو عليهـا أحيانا بعض الشجيرات او الحشائش الفقيرة التى تتغذى عليها الحيوانات القطبية •

٧ ـ **اراضى الحشائش** : وهى مناطق البرارى والاستبس ، وهمـا نموذجين مثالين للاراضى شبه الجافة التى تتخلل المناطق المعتدلة ، وعندما يقل الارتفاع تنمو على هذه الاراضى الحشائش الاسـتوائية المعروفة بالسفانا حيث يجود الرعى وتكثر الحيوانات البرية والمستأنسة ، كما هو الحال فى حيوان البيسون فى امريكا ، والانواع العديدة من الحيوانات فى دول شرق افريقيا والسودان ، وهى بيئة مناسـبة لسكنى الشـعوب البدائية حتى ولو لم تعتمد على استئناس الحيوان ، وهم يعيشـون فى جماعات صغيرة كصيادين رحل او كزراع حـدائق فى أودية الانهار • اما الرعاة ، فانهم يفضلون هذه البقاع كمصدر دائم ووفير بمواد الطعام

المختلفة ، ومن نماذج سكان هذه المناطق هنود السهول فى امريكا الجنوبية والماساى فى شرق افريقيا •

٨ ـ **المناطق الجبلية :** فيما عدا المناطق المتجمدة الشمالية والمناطق القطبية ، فان المناطق الجبلية يمكن ان تمثل مناطق جغرافية متميزه تنمو عليها نباتات وزراعات المرتفعات ، وقد استطاع الانسان ان يتكيف مع ظروف الارتفاع ويحصل على طعامه من زراعة المرتفعات ، كما امكن قيام حضارات وثقافات مختلفة على هذه الجبال والمرتفعات رغم صعوبات النقل والاتصال والمثل البارز لثقافة الجبال هو قبيلة الانكا Inka فى بيرو •

الفصــل الأول

وسائل انتاج الطعــام

تعتمد مصادر المعيشة المتاحة للشعوب على ثلاثة عناصر اساسية هي : البيئة الطبيعية ــ الثقافة ــ السكان ــ فإما البيئة الطبيعية فتعيش على مواردها بصورة مباشرة ، الشعوب التى تحترف جمع والتقاط الطعــام المكونة من الجذور والدرنات والحبوب والحشرات • أما الشعوب التى تحترف الزراعة والانبات ورعى الحيوانات ويلمون فى الوقت نفسه بطرق طهى واعداد الطعام لتكون نافعة ومستساغة فهم يعتمدون بدرجة اقل على البيئة الطبيعية وهكذا كلما تقدمت وسائل انتاج الطعام قل الاعتماد على موارد البيئة الطبيعية وتحرر الانسان من قيودها ، وكلما ازدادت معرفة السكان بالوسائل الثقافية لتوفير الطعام كلما ازداد عددهم وابعدوا شبح المجاعة والفاقه عنهم •

ولا تحدد البيئة الطبيعية ــ لسكان مجتمع ما ــ بشكل قاطع كما يذهب الى ذلك انصار الحتمية البيئية نوعية الطعام المنتج كما ونوعا فى كل الاحوال بل انه يمكن ان يتغلب الانسان على صعوبات البيئة ويتكيف مع الظروف المحيطه به ، وذلك باستخدام الوسائل والطرق الثقافية مثل استصلاح واستزراع اراضى الصــحارى والقفار لتزهر وتخضر وتثمر الثمار المتنوعه ، وكما فعل الافريقيون بتطهير اراضى الغابات من الحشائش واحلال المحاصيل والزراعات القومية التى يحتاجون اليها وســاعد على ذلك الالمام بالطرق التقنية فى الزراعة •

ان اى شعب مهما كانت درجة تقدمه او تأخره فى سلم التطور البشرى لا يمارس نشاطا اقتصاديا واحدا ، او وسيلة انتاجية بعينها او حرفة دون غيرها ليستخلص طعامه عن طريقها • لذلك فعندما نستخدم الاصطلاحات الحرفية او المهنية مثل الجمع والالتقاط ، والصيد والقنص ، وزراعــة الحدائق وزراعة الفأس والزراعة البسيطة والمتقدمة ، والرعى واستئناس الحيوان ، فان هدفنا هو تسهيل التحليل والمقارنة ، كما ان تصنيف هذه الفئات من الشعوب أو الثقافات يعنى مجرد وصف الوسائل المعيشية الغالبة

على نشاط سكان هذا المجتمع او غيره فانشطه الانسان متنوعه ، وكثيرا ما يجمع الشـعب الواحد ــ وبخاصـة فى المجتمعات التقليدية ــ بين وسيلتين او اكثر من وسائل انتاج الطعام كالزراعة والرعى مثلا • وحتى ما يسمى بالرجل المتحضر فى العصر الصناعى الحديث ، فانه يمارس احيانا الفلاحة فى حديقة منزله او فى مزرعته الخاصة ، ويخرج فى نزهة للصيد البرى او صيد السمك ، واحيانا اخرى يجمع الثمار البرية ، وقد يحتفظ ــ بجانب كل هذه المناشط ــ بقطيع من الحيوانات • وأهم وسـائل انتاج الطعام التى تتخذ شكل حرف هى :

الجمع والالتقـاط :

وتعد حرفة الجمع والالتقاط من اولى الحرف التى مارسها الانسان منذ فجر التاريخ الانسانى واكثرها بدائية كوسـيلة للحصـول على الطعام ، وهذا النشاط فى ابسط اشكاله لا يحتاج الى ادوات او معدات ، مجرد ايدى تلتقط الطعام واذرع تحمله الى الفم مباشرة ، ويسـمونها حضارة « من اليد الى الفم » From hand to mouth ولازالت هذه الوسيلة تمارس فى المجتمعات البدائية البسـيطة حتى الآن ، كما هو الحال عند جماعات الاقزام فى الغابات الاستوائية ، وقبائل البشمن فى صحراء كلهارى بجنوب غرب افريقيا •

ومن الناحية التاريخية فان حرفة الجمع والالتقاط تعد قديمة قدم الانسان نفسه على هذه الارض • ويذكر عالما الانثروبولوجيا الثقافية بيلز وهويجر ان الانسان كان جامعا للطعام خلال معظم فترات تاريخه ، فمنذ العصر الحجرى القديم ، وايضا ما يقرب من ثمانية الى عشرة الاف سنة فى العصر الحجرى الحديث ، لم يكن اى مجتمع بشرى يمارس اى شكل من اشكال انتاج الطعام وانتشر على مساحة واسعة من الارض ، ووضع بذلك الاسس العريضة للحضارة الانسانية • ولقد اعتمد الانسان الاول فى غذائه على خليط من الاطعمة تتألف من لحوم الحيوانات وبعض النباتات مثلما تفعل كل الشعوب المتحضرة ، فيما عدا بعض الجماعات او الطوائف التى لديها تحريمات ذات طبيعة دينية أو عقائدية ، وكل الشعوب غير الزراعية لديها ادوات واسلحة كافية للصيد البرى والصيد

نسمك ، الا ان مجتمعات جمع الطعام تتشابه فى جوانب الثقافة الاخرى (١) ٠

ويلخص المؤلفان الخصائص العامة المشتركة فيما يلى :

١ ـ الكثافة السكانية فى مجتمعات جمع الطعام قليلة عادة ، واستثناء من هذه القاعدة يزيد عدد السكان فى المجتمعات التى تقع على شاطىء المحيط الهادى أو السهول العظمى لامريكا ٠

٢ ـ مجتمعات جمع الطعام تكون عادة معزولة ، وغالبا تنتقل باستمرار او على فترات من مكان الى آخر بحثا عن النباتات البرية والحيوانات ، فهم يميلون الى ان يكونوا رحلا ، بعكس المجتمعات المنتجة للطعام فهى اكثر استقرارا ٠

٣ ـ جماعات جمع الطعام منظمة بصفة اساسية كجماعات عائلية مكتفية ذاتيا أو فى معظم الاحيان كأسر غير مترابطة ، لذلك فان فعالية الضبط الاجتماعى والتفاعل بين اعضائها مبنى الى التنظيم القرابى اكثر منه على التنظيم السياسى ٠

٤ ـ يوجد جامعو الطعام اليوم فى الغالب الاعم فى مناطق منعزلة او هامشية وقد انتقلوا الى هذه المناطق تحت ضغط الجماعات المنتجة للطعام وهى الاقوى والاكبر ٠

ويجب الا يظن ان الشعوب الجامعة للطعام اقل منزلة من غيرها . او انها غير قادرة على التفكير بحيث تعجز عن اكتساب ثقافة اكثر تقدما ٠

الا ان الجمع والالتقاط لا يمكن ان يكون هو النشاط الاقتصادى الوحيد وان كان هو النشاط الغالب ، فقد يجمع بين جمع الطعام وقليل من صيد الحيوانات الصغيرة أو الطيور واحيانا يقوم مبدأ تقسيم العمل بين الجنسين فى سد النقص فى احتياجات الاسرة الغذائية ، اذ بينما يقوم الرجال بالتجول بعيدا او فى داخل الغابة لصيد هذه الحيوانات الصغيرة تقوم النساء بجمع الخضر والثمار الساقطة من الاشجار حول مقر الاسرة

(1) Beals, Ralph & Joijer, H. : Op. Cit., P., 386 f.

والشكل الغالب لمجتمعات الجمع والالتقاط هو ما يوجد فى افريقيا فى صحراء كلهارى وغابات الكونغو حيث تنضوى جماعات الجمع والالتقاط تحت حماية او فى كنف جماعات زراعية او رعوية حيث تتعاون او تتكامل الجماعتان فى توفير الموارد الغذائية .

الصيد والقنص (*) :

اما الشعوب التى تعتمد على الصيد والقنص فى الحصول على طعامها فانها تجمع بين ما تجود به البيئة الطبيعيه من ثمار برية ودرنات ويستخدم السكان وسائل وأدوات متنوعة مثل الحراب والشباك وبين وسيلة أكثر تقدما وهى قنص الحيوانات التى تتوفر فى البيئة ، والاسلحة البدائية ، وأحيانا اخرى يلجأون الى استخدام الحراب المسمومة والشراك الخداعية للايقاع بالفريسة والتغلب على سرعتها وقوتها .

ولازالت جماعات البوشمن والهتنتوت فى صحراء كلهارى بجنوب غرب افريقيا وكذلك الاقزام فى الغابات الاستوائية الافريقية تعيش على هذه الحرف البسيطة ويعيش السكان فى جماعات منعزلة بحيث لا يشكل التنظيم الاجتماعى وحدات قرابية كبيرة من حيث عدد الافراد ، ويقابل هذه البساطه فى التنظيم الاجتماعى انماط غاية فى البساطة من الحياة الاقتصادية عند هذه الجماعات ، فالعائلة تعتبر وحدة انتاجية واستهلاكية فى نفس الوقت ، مع قدر قليل من البادل مع الجماعات الاخرى المجاورة . ومع ذلك يوجد نظام لتقسيم العمل بين الجنسين فى وسائل الحصول على الطعام .

فعند البوشمن تجمع المرأة جذور النباتات والدرنات والثمار البرية وتقوم بصيد الحشرات والضفادع والسحالى وتحضر خشب الوقود والماء مستخدمة بيض النعام وامعاء الحيوانات كأوعية لحفظ الماء ، وتخرج

(*) يمكن التفرقة بين الصيد والقنص من حيث الوسيلة التى يتم بها الظفر بالحيوان كفريسة ، فالصيد يتم باستخدام ادوات معينة كالحراب والسهام والاقواس او بأى ادوات اخرى ، اما القنص فيتم بدون ادوات ولكن تلعب الحيل والافكار دورا كبيرا فى نجاحه ، حيث يفكر الناس فى وسيلة للايقاع بفريسته وذلك بحفر حفرة ويغطيها بفروع الاشجار للتمويه او مفاجئة الحيوان بالقفز عليه من اعلى شجرة او نصب الشراك الخداعية او التخفى وغير ذلك من الحيل .

يوميا فى جولات قصيرة المسافة حول المسكن ومعها عصا الحفر لتعاونها فى التنقيب فى الارض الجافة عن اى مادة تصلح كطعام ، اما الرجل فان مهمته الاساسية هى صيد الحيوانات البرية مهما كان نوعها ، ويخرج يوميا بمفرده حاملا رمحه وسهامه المسمومه ـ وقد يصطحب معه ابنه بهدف التدريب ـ ويلجأ الى بعض الحيل لاقتناص الفريسة ، كأن يتخفى فى جلد نعامه ويمكث بجوار مورد للماء فى انتظار قدوم بعض الحيوانات للشرب وبمجرد ان تقترب منه احداها يصوب اليها سهامه فى مقتل ويحملها عائدا الى اسرته (١) .

ويجب ان يؤخذ فى الاعتبار درجة تخصص كل جماعة من الجماعات الممارسة لحرفة الصيد والقنص ، فيوجد درجة معينة من التركيز على مصدر بروتينى واحد دون غيره من مصادر البيئة الطبيعية ، مثل صيد الحيوانات البرية فى اقليم البوشمن ، وصيد البقر فى السهول الغربية الامريكية والرنة البرية فى اقاليم آسيا وامريكا الجنوبية والثدييات فى القطب الشمالى .

وحيث ان حيوانات الصيد كانت توجد بجانب بعضها البعض ، فقد استلزم ذلك قيام تعاون وثيق بين السكان عند خروجهم للصيد ، وكان هذا التعاون من الامور التى ساعدت على توثيق الروابط بين الجماعات للحصول على الطعام اذ ان كثيرا من الحيوانات الكبيرة الحجم وقطعان الحيوانات لا يمكن ان يصاد عدد كبير منها ، الا اذا خرج عدد من الصيادين معا متعاونين مع بعضهم (٢) .

صيد السمك :

يشكل السمك والمأكولات البحرية الاخرى ، الطعام الرئيسى لدى معظم سكان السواحل والجزر البحرية وبصفة خاصة فى مجتمعات اسيا وشمال اوربا والامريكتين ، والى حد اقل فى مجتمعات افريقيا . وتكاد حرفة صيد السمك ان تكون هى العماد الرئيسى لاقتصاديات دول باسرها كاليابان والملايو واندونسيا والنرويج والدانمرك .

---

(١) Forde, Daryll : Habitat, Economy, and Society, Methuen & Co. Ltd. London, 1946, P. 28.

(٢) رالف لينتون : شجرة الحضارة ـ الجزء الاول ، ترجمة الدكتور احمد فخرى ـ مكتبة الانجلو ـ القاهرة ١٩٥٨ ـ ص ١٤٧ .

ومن الدراســات الانثربولوجية الرائدة لاقتصاديات حرفة صــيد السمك واثرها على البناء الاجتماعى عموما ، هى الدراسة التى قام بها ريموند فيرث (١) R. Firth فى مجتمع الملايو . فقد نبه الاذهان الى الاهتمام بمثل هذه الاقتصاديات القروية لانها تشــكل مصــدر الرزق الرئيسى لاعداد كبيرة من السكان وتكمن اهميتهم ليس فى مجرد عدد الصيادين الممارسين لهذه الحرفة ، ولكن فى كونهم مساهمين اساسيين فى الاقتصاد الغذائى للمجتمع . فالسمك سواء كان طازجا أو مجففا او مدخنا هو الملازم المعتاد للارز فى وجبة القروى فى اغلب اقطار الشرق الاقصى . وفى الملايو يعتمد عليه حتى العامل المهاجر اعتمادا اساسيا ، فما دام اللحم عزيزا او غالى الثمن ــ حتى لو وجد ــ فان السـمك يعطى الجزء الرئيسى عالى القيمة الغذائية من البروتين الحيوانى بالاضافة الى سهولة هضمه ــ وكتغيير عن السمك او بديلا عنه يؤكد الجمبرى والكابوريا والاطعمة البحرية الاخرى .

وقد حلل فيرث بطريقة بارعة اقتصاديات صيد السمك من منظور اجتماعى ، واظهر ان مفهوم راس المال لدى الفرد فى المجتمعات التقليدية يختلف عنه فى المفهوم الغربى ، وان احــد الاختيارات امام صــاحب القارب لاســتثمار رأس المال الفائض لديه يمكن ان ينفق على طــاقم الصــيد دون اى عمل ، وذلك بامدادهم بالطعام اللازم لهم ولاسرهم طوال فترة الكساد الموسمى (فترة توقف الرياح) الى ان يحين موسم صيد السمك .

واذا كانت مجتمعات بأسرها فى قارتى آســيا واوروبا تعيش على السمك كطعام معيشى رئيسى ، بل وتصدر ما يفيض عن انتاجها السمكى كمنتج نقدى بعد تصنيعه بالتخفيف او التمليح او التعليب ، فعكس ذلك نجده فى قارة افريقيا حيث لا يشــكل السمك جزءا كبيرا من الطعــام الافريقى ، اللهم الا فى مصر وبصفة خاصة فى المحافظات البحرية .

انما تمارس حرفة صيد السمك بسواحل افريقيا على نطاق ضيق ، ولا تتعدى بعض القوارب الصغيرة التى تعمل امام السواحل مباشرة ويستهلك معظمه محليا .

---

(١) Firth, Raymond : Malaya Fishermen, Their Peasant Economy, Kegan Paul, London 1946, Passim.

اما فى الانهــار الكبرى كالنيل والكونغو والزمبيزى وايضــا فى البحيرات العظمى فهناك حركة صيد من الاســماك النهرية على نطاق أوسع ، ولكنها لا تتناسب مع ذلك القدر الهائل من المسطحات المائية . وقد يرجع ذلك الى عدم وجود تقليد حرفى او تخصص مهنى من احد الجماعات او القبائل الافريقية ، وقد يرجع ايضا الى عدم استساغة لحم السمك كطعام مقبول او كبديل عن اللحوم التى هى الطعام المفضل لدى معظم الجماعات الافريقية سواء أكانت زراعية ام رعوية ، مما ادى الى الاحجام عن ممارسة حرفة صيد السمك لأنها لا تضفى على من يمارسها مكانة اجتماعية عالية كما هو الحال فى الرعى مثلا .

وهناك بعض القبائل القليلة التى تستفيد من صيد النهر ، فقد كانت قبيلة الجوامبى ــ القاطنة شمال اتحاد جنوب افريقيا ــ تعيش قرب مورد كبير للسمك ، ولكنها لم تعتن بصيده او بأكله ، ويبدو انها لم توجه اى اهتمام الى اســتغلال الانهار التى كانت تعيش بحمازاتها ، وذلك بخلاف قبيلة التونجا المجاورة لها التى كان اقتصــادها يرتبط بصيد السمك بجانب مناشطها الاقتصادية الاخرى (1) .

الرعى :

تعتبر حرفة الرعى من اهم محاولات الانســان للتحرر النسبى من سيطرة البيئة على موارد الطعام ، اذ يمكن للرعاة ان ينتقلوا بدوابهم من مكان الى مكان اذا اقفرت البيئة او افتقرت الى توفير العنــاصر الغذائية الكافية للانسان والحيوان الذى يرعاه . ومنذ ان استأنس الانسان حيوان الرعى فقد وسع من محيط مجتمعه ، وانتقل الى اقاليم يتوفر فيها الكلأ والماء ليكتشف افاقا جديدة ، وادى هذا النمط من النشاط الاقتصادى الى ظهور اشكال جديدة من التنظيمات الاجتماعية تلائم الطبيعة المتميزة للرعى كوسيلة لتأمين موارد الطعام .

وتنقسم مجتمعات الرعاة تبعا لحيوان الرعى الى عدد من الاقســام فهناك جماعات تعيش على رعى الماشية وبصفة خاصة الابقار وتنتشر فى

---

(1) وليم باسكوم ، ملفيل هرسكوفيتز : الثقافة الافريقية . ترجمة عبد الملك الناشف ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ١٩٦٦ ، ص ٢٥٣٠ .

آسيا وافريقيا واشـهرها القبائل النيلية كالنوير والشيلوك والدنكا ، والنيلية الحامية فى شرق افريقيا كالناندى ، والماسـاى وغيرها . بينما تعيش جماعات البدو الرحل فى المناطق شبه الصحراوية على رعى الابل والاغنام كما هو الحال فى منطقة الشرق الاوسط وشـمال افريقيا وفى المناطق القطبية تعيش جماعات الاسكيمو على رعى الرنة .

لذلك لا تتعدد مصادر الحصـول على الطعام فى المجتمعات الرعوية تبعا لنوعية الحيوان فقط ، بل وايضا تبعا لمدى الاسـتفادة من لحم الحيوان او لبنه او دهنه او دمه او جلده . فقد تبين ان كل ثقافة تحدد اجزاء او عناصر معينة من الحيوانات يسـمح بتناولها كطعام ، وقـد تستخدم اجزاء اخرى لاغراض غير طعامية ، ولعل ما هو جدير بالذكر ان المجتمع الصومالى وهو مجتمع رعوى اساسا يربط بين الطعام والمنزلة الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة فيتم تقسيم لحم الحيوان بحيث يقدم للرجل اجزاء معينة بينما تأكل النساء اجزاء اخرى كالكبد والامعـاء والارجل والرأس .

وكثير من الشعوب الافريقية تستخدم دهن الحيوان لاغراض التزين والتجميل ولا تضيفه الى قائمة طعامها . ويلاحظ بان هناك اتجاها عاما فى المجتمعات الرعوية بانه كلما زادت الثروة الحيوانية فى مجتمع ما . قل الاعتماد على اجزاء من الحيوان كطعام ، وتلعب الثقافة السائدة دورا كبيرا فى تحديد هذه الاجزاء سـواء فى شكل عقائد ومعتقدات أو فى صورة عادات غذائية .

ولعل اشهر مجتمعات الرعى تداولا فى الكتابات الانثربولوجية هى المنطقة الثقافية المعروفة باسم مركب الماشية (*) Cattle Complex فى شرق افريقيا التى درسها العلامة هرسكوفيتز وبين دور الماشـية فى ثقافة القبائل النيلية الحامية التى تسكن هذه المنطقة ، فالماشية وما ينتج

(*) قسم هرسكوفيتز افريقيا الى مناطق ثقافية متمايزة (شكل رقم ١) .

Herskovits, M. : The Human Factor in Changing Africa, Alfred Knopf, N.Y. 1962, P. 56.

احمد ابو زيد : البناء الاجتماعى ــ الجزء الأول ــ المفهومات الطبعة الثالثة الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ــ القاهرة ١٩٧٠ ص ١٩٨ .

عنها ليست فقط مجرد مصــدر طعامى دائم ، بل هى ايضا رمزا للمكانة الاجتماعية ووسيلة للتضامن الاجتماعى بين الجماعات بالاضافة الى كونها وسيطا للتبادل والتهادى • فعند الناندى فى كينيا يعد اللحم عنصرا هاما فى طعامهم ولكنهم لا يذبحون الماشية للحصــول عليه الا فى الضرورة القصوى ، وبجانب ذلك يحصلون على طعامهم من اللبن والدم عن طريق قطع احد شرايين البقرة حتى تسيل كمية الدم اللازمة •

وهناك اسباب كثيرة قد تحمل الناس على رفض الاشياء الجديدة ، نذكر منها على سبيل المثال الحالات التى لا تنسجم فيها الاشياء الجديدة مع العرف القائم والتقاليد الموروثة او الحالات التى لا تناسب فيها هذه الاشياء البيئة الطبيعية ، ومن الامثلة التى توضح هــذه الظاهرة قبيلة التوتسى فى رواندا التى تعلق اهمية كبيرة على ثروتها من الماشــية ، لقد اقبلت هذه القبيلة على ادخال تعديلات على التقاليد التى كانت تتبعها سابقا فى الاجراءات السياسية ، وفى الغذاء ، والى حد ما فى الزراعة ، ولكنها قاومت بعناد واستنكرت بشدة الاجراءات الادارية التى اتخذت لحملها على تسريح قطعان الماشية او تخفيضها رغم ان مشكلة السكان فى بلادها لا تنشأ فحسب من كثافة الناس بالنسبة للاراضى المتيسرة ، وانما ايضا من كثرة قطعان الماشية وضغطها على الموارد الغذائية المتوافرة وبالتأكيد لا تشكل قبيلة التوتسى حالة استثنائية ، فهناك شعوب اخرى كثيرة فى شرق افريقية ابدت مقــاومة للمحاولات التى بذلت لانقــاص ثروتها من قطعان الماشية ، ورفضت استخدام الابقار والثيران فى الحراثه ، او ترددت فى بيع الماشية واســتعمال ثمنها فى شراء بضائع لا تنتجهــا بلادها ، ففى التقاليد الافريقيــة قيم روحية لا يمكن قياسها بمقاييس مــادية (١) •

الزراعــة :

تتعدد اساليب انتاج الطعام نتيجة ممارســة حرفة الزراعة وتظهر تنوعا هائلا بين الزراع اكثر منه بين جامعى الطعام وبين الصيادين على السواء ولا يقتصر هذا التنوع على طبيعة المحاصيل والمصادر الغذائية

---

(١) وليم باسكوم ، الثقافة الافريقية • المرجع السابق • ملفيل هرسكوفيتر : ص ٢٠ •

فقط ، بل يمتد ايضا الى استخدام الاساليب الفنية فى الانتاج الزراعى وما يرتبط بهذه الاساليب الانتاجية من تنظيم اجتماعى وسياسى اكثر تعقيدا فى طبيعته من الأشكال الاولى للنشاط الاقتصادى ، وبذلك اعتقد العلماء التطوريون فى القرن التاسع عشر ان البشرية قد مرت بمراحل تطورية ، مارس فيها الانسان حرفا عديدة حتى وصل الى مرحلة الزراعة ، التى تعد فى نظرهم من ارقى الحرف واسماها فى سلم التطور البشرى قبل المرحلة الصناعية .

ويميل بعض المفكرين الى تصنيف النشاط الزراعى كنشاط انتاجى تبعا لادوات واساليب الزراعة المستخدمة مثل عصا الحفر وزراعة الفأس وزراعة المحراث ، بل انهم يطلقون على كل اسلوب من هذه الأساليب لفظ « ثقافة أو حضارة » حيث يعتبرون ان استخدام اسلوب زراعى ما هو الا عنصر ثقافى يتفق مع الثقافة الكلية السائدة عند هذا الشعب او تلك القبيلة .

وغالبا يشار الى الزراعة البدائية فى افريقيا بأنها مرتبطة بعصا الحفر ، وهى فى جوهرها زراعة بسيطة متنقلة Shifting Cultivation تعتمد على استنفاد القدر القليل من خصوبة التربة التى تستطيع هذه العصا النفاذ اليه بأقل جهد عضلى ممكن وابسط اداة متوفرة . وقد عرفت الزراعة المتنقلة فى انحاء كثيرة من افريقيا معتمدة على مياه الامطار او حول ضفاف الانهار دائمة الفيضان مثل النيل والكونغو ، حيث تفيض المياه المحملة بالطمى الخصيب على جانبى النهر او روافده أو مصباته مكونة طبقة من التربة الخصبة التى تكون هشه بحيث تستطيع عصا الحفر الغوص فيها وتقليبها ، حتى اذا ما استنفدت خصوبتها انتقل المزارع الى قطعة اخرى لزرعها بهذه الوسيلة البسيطة . وحيث يوجد تقسيم للعمل بين الجنسين وبخاصة فى المجتمعات الرعوية ـ كما هو الحال فى شرق افريقيا ـ حيث يهتم الرجال اهتماما بالغا بتربية الماشية ورعيها . تقوم النساء بهذه الزراعة البسيطة حول المقرات السكنية وتعرف بزراعة الحدائق او البستنة Horticulture

وقد لعبت الزراعــة المتنقلة دورا هاما فى افريقيا فى توفير الموارد الغذائية الكافية لافراد المجتمعات التى توجد فيها بسبب وفرة الاراضى الصالحة للزراعة وفرة تزيد عن حاجة السكان ، ولكنها ادت الى كثير من المشكلات السياسية بين القبائل بسبب المنازعات على حيازة الارض ، وعندما جاء المستعمرون الى القارة لم يفهموا هذه الوسيلة من النشاط الزراعى للقبائل الافريقية ، واستولوا على اراضى الوطنيين غير المنزرعة على زعم انها غير مملوكة لاحد (*) .

اما زراعة الفاس Hoe-Culture فهى تعتمد على القوة العضلية للانسان ، وهى فى الاغلب تستخدم لانتاج المحاصــيل المعيشــية أو القوتيه Subsistance Crops ، فى مساحات صغيرة نسبيا تتناسب والجهد البشرى المحــدود الذى يمكن ان يبسط ســيطرته ومقدرته الجسمانية عليه . ويتكون الفاس من نصل حديدية ثقيلة ، ويد خشبية طويلة ولذلك فهى تصل الى اعماق فى التربة السطحية لا تستطيع عصا الحفر الوصول اليه .

اما زراعة المحراث Plouph-Culture فهى زراعة الحقول الواسعة التى قد تصل الى عشرات الافدنة ، بل قد تصل الى اكثر من ذلك اذا تعدد المزارعين ، ولذلك فهى تعد من الزراعات المتقــدمة التى تتطلب معرفة تكنولوجية ارقى مما هو عليه الحال فى غيرها ، وتتميز ايضا بان لها طابع الاستقرار والكثافة الانتاجية العالية ، كما تستخدم فيها بعض الدواب لجر المحراث او حمل المحاصيل ، وغالبا تعتمد على مصدر دائم

(*) يختلف مفهوم ملكية الارض فى الثقافة الغربية عنه فى الثقافة الافريقية فبينما ينظر الاوروبى مثلا الى الارض على انها ســلعة تباع وتشترى او كما يقولون « سلعة حرة » فان الافريقيين لا يتصورون هذه النظرة . فالارض هى ملك الاباء والاجداد ، وكل ما يمكن التنازل عنــه مقابل بعض الحقوق هو النباتات او الاشجار التى تكون فوقها ولا تمتد الملكية للارض نفسها كارض . لانها ليست ملكا لفرد بعينه بل هى ملك للعشيرة والقبيلة التى تستغلها جماعيا . لمزيد من التفاصيل عن الصراع بين البيض والافريقيين : انظر عبد العزيز كامل ــ قضية كينيا ــ المكتبة الثقافية القاهرة ١٩٦١ م .

للرى وتتميز ايضا بتنوع المحاصيل الزراعيـــة • ويمكن ان تجمع بين الاقتصاد الزراعى المعيشى والنقدى على السواء •

واستطاعت زراعة المحراث كزراعة كثيفة ان تجذب اعدادا كبيرة من الســكان ليكونوا مجتمعات قروية متميزة بطابع ريفى يميزهم عن غيرهم ، ووفرت لهم الارض كل الموارد الغذائية والمعيشية بحيث يعمل كل سكان القرية بالزراعة وما يرتبط بها من انشطة معاونة •

ورغم هذا العدد الوافر من وسائل انتاج الطعام فى البيئات المختلفة فان للانسان دورا كبيرا فى اتخاذ ما يراه طعاما له ، ويدخل فى هــذا الاختيار طرق اعداد وطهى الطعام بطريقة مقبولة ومستساغة ، وهــو ما يدخل فى العادات الغذائية للشــعوب التى هى من صــميم الثقافة السائدة فى المجتمع •

فما ينظر اليه كمصدر للطعام فى بيئة او ثقافة معينة قد لا يحظى بهذه النظرة فى ثقافة اخرى • ففى الثقافة الغربية نجد ان الجندب ــ وهو نوع من الجراد ــ لا يمثل مصدرا او موردا ــ بل يشكل حشرة مؤذية بينما نجده فى ثقافات اخرى يمثل طعاما لذيذ المذاق • وهناك ثقافات اخرى تنفر من السمك وطعام البحر ، وأخرى تحرم لحم الخنزير (كالثقافات الاسلامية) • وفى البيئات القاسية غير الملائمة تماما كبيئة البوشمن فى صحراء كلهارى بجنوب غرب افريقيــا ، والسيريونو فى غابات وادغال السفانا فى شرق بوليفيا نجد أن عملية البحث عن الطعام تتخذ ــ غالبا ــ شكلا مستمرا غير منقطع [1] •

وقد يضطر الانسان فى مواقف معينة الى تعــديل قائمة طعامه اذا افتقد عنصرا او آخر منها ، كما هو الحال فى حالة الحروب والازمات الاقتصادية فقد يجبر على اكل طعام كان يأنف منه من قبل ، اذا دعته الضرورة لذلك • وقد حدث اثناء الحرب العالمية الاولى ان اتخــذت القوات المتحاربة لحــوم الخيول والكلاب طعاما لها • امــا فى اوقات

---

(١) محمد الجوهرى : الانثروبولوجيا ــ الطبعــة الرابعــة . دار المعارف ــ القاهرة ١٩٨٣ ــ ص ١٦٥ .

القحط والمجاعة مثل تلك التى حدثت بين شعوب القرن الافريقى وبخاصة اثيوبيا والصومال ، فان الانسان قد يأكل اى شىء يقع تحت يده •

ونستخلص من هــذا العرض لوســائل وموارد انتاج الطعــام ، الامكانات العريضــة التى تقــدمها البيئة فى كل مجتمع لخلق واتاحة الفرصة لقيام حياة اجتماعية يعيش فى ظلها الانسان معتمدا فى غذائه على ما تجود به هذه البيئة من خيرات • وبقدر توفر الظروف الطبيعية فى البيئات المختلفة يتوزع الناس فى جماعات انســانية تتعاون من خــلال العــلاقات الاجتماعية لاســتخلاص مقومات حياتهم بطرق واســاليب متعددة • كما يتضح ايضا الدور الذى يقوم به الانســان للتغلب على الظروف المناوئه ويكيف نفسه لقبول واستساغة نوع الطعام المتوفر فى البيئة المحيطة . يساعده فى ذلك ــ كما سنرى فيما بعد ــ ما يقيمه افراد المجتمع من نظم اجتماعية على المستوى القرابى ، والسياسى والاقتصادى مما يجعل من السيطرة على البيئة وتوفر الطعام وضمان استمراريته من الامور الميسورة المنال •

الفصـــل الثـــانى

الطعـــام والقرابـــة

هناك علاقة وثيقة بين نمط انتاج الطعـــام فى مجتمع ما وبين حجم الاسر فى ذلك المجتمع ، بل ان هذا النمط الانتاجى يتحكم فى تشكيل وتكوين الوحـــدات القرابية الاكبر من الاسرة مثل العائلات بشكليها البسيط والمركب ، والبدنة والعشيرة والقبيلة . ومن اهم وظائف هذه الوحدات المورفولوجية ضمان واستمرار وتوفير الموارد الغذائية لافراد هذه الجماعات القرابية ، وذلك عن طريق تحقيق أقصى قدر من التعاون المتبادل بين افرادها او جماعاتها بما يكفل تحقيق هذه الغاية . اى ان الطعام يؤدى الى خلق نسق قرابى يكون ملائما للظروف والاوضاع البيئية والاجتماعية والثقافية السائدة ، بحيث يجعل من الســـهل على سكان المجتمع استخلاص مقومات حياتهم فى سهولة ويسر .

فالشعوب التى تحترف الجمع والالتقاط او القنص والصيد ــ على سبيل المثال ــ يتشكل اعضاء الاسرة فيها من افراد قلائل ينتشرون على رقعة واسعة من الارض ، بحيث يسعى افرادها للحصول على الطعام فى وقت واحد بأقل قدر من التعاون فيما بينهم ، حتى اذا عجز احد الافراد عن توفير الطعام الكافى ، فانه يعتمد على ما جمعه الاخرون من موارد غذائية اى ان النشاط الغالب والجهد المبذول يتسم بالفردية ، ولا يلزم لهذه الجماعات البدائية اى اشـــكال قرابية اكبر من الاسرة او العائلة البسيطة ، فلا تنتظم فى عشائر او قبائل كبيرة تربطها صلات او روابط قرابية متماسكه ، ولذلك يطلق عليها العلماء لفظ « جماعات » وقلما يمتد توزيع الموارد الغذائية الى ابعد من حدود هذه الوحدات القرابية الصغيرة نظرا لعدم اســـتقرارها فى مكان واحد . ولا تشـــكل هـــذه الجماعات اى شكل من اشكال التنظيم السياسى المعروف عند القبائل

الكبيرة المستقرة ، ولذلك فهى عرضة لضغط الجماعات الاخرى الاكبر والاقوى مما يضطر هـذه الجماعات البدائية الى الانضواء تحت لوائها والعمل تحت حمايتها •

اما فى المجتمعات الرعوية والزراعية المستقرة ، او التى تجمع بين هذين النمطين من النشاط الاقتصادى ، فان توفير الطعام وانتاجه بصفة ثابته ودائمة يؤدى الى تكوين وحـدات قرابية اكبر من محيط الاسرة يستلزم وجودها فى هذا النوع من وسـائل انتاج الطعام • بحيث نجد اشكال العائلة الاكبر عددا والاكثر تعقيدا مثل العائلة الممتدة والعائلة المركبة وأيضا الاشكال المختلفة للبدنات والعشائر والقبائل التى تؤدى وظائفها الاقتصادية والسياسية والدينية من خلال نظم وابنية اجتماعيه واضحة ، بحيث يمكن تتبع شـجرة النسب او الانحدار لاجيال عديدة متعاقبة ، نتيجة لاستمرار واستقرار هذه المجتمعات فترة طويلة من الزمن ووضوح واتساق العلاقات والروابط التى تجمع بينها •

كما ان نمط الانتاج القومى او المعيشى السائد يستلزم تعاون هذه الوحدات القرابية واعتمادها فى العمل والانتاج على اقاربهم للمساعدة فى اعمال الزراعة المختلفة او الرعى الفصلى او المتنقل ، تبعا لسدج مختلفة من العمـل التعاونى الذى يؤدى بطرق تقليدية مألوفه ويتخذ اسـماء واشكال مختلفة فى كل مجتمع ، ولا يخرج عن كونه اسلوبا للمساعدة والتعاون المتبادل بحيث يساعد الفرد اقاربه العاصين او اصـهاره عندما يحتاجون اليه وفق نظام محكم دقيق •

وأمام هـذا التكافل والتعاضد لتأمين موارد الطعـام يحبذ أفراد المجتمع تقوية عـلاقاتهم القرابية بمختلف الوسـائل ، وبمرور الوقت تتكون المقرات السكنيه والقرى التى قد تتألف من بضـع عائلات او عشائر تضم الاف الافراد وتنحدر من سلف واحد مشـترك ويمارس كبير العائلة سلطاته القرابية والسياسية على معظم السكان وينظم طرق انتاج وتوزيع الطعام على الاعضاء • واحيانا تتشكل القرى من عـدة قبائل او عشائر متصاهرة قرابيا ومتحالفة سياسيا تحت سلطة زعيم او رئيس اعلى يتخذ اسم « شيخ » او « كبير » •

ومن امثلة المجتمعات الرعوية التى يلعب الطعام دورا رئيسيا فى تشكيل وتكوين نظمها القرابية هو المجتمع الصومالى ، اذ يتصف التنظيم الاجتماعى لقبائل الصومال بالبساطة ، وهو لا يتعدى النمط التقليدى للقرابة الدموية وتنقسم كل قبيلة الى عدد من العشائر والبطون التى تنقسم بدورها الى عدد من العائلات والاسر . وهناك تناظر واضح بين التنظيم الاجتماعى للقبائل والاقاليم الرعوية التى تسكنها ، اذ يتوزع العشائر على رقعة واسعة من الارض داخل الحدود القبيلية .

ويسود المجمع الصومالى (*) على عكس كثير من المجتمعات الشرقية نظام الزواج الاكسوجامى Exogamy او الخارجى ، وهو يقضى بان يتزوج الفرد من خارج قبيلته ، حيث لا يفضل افراد المجتمع الزواج بين ابناء وبنات العمومة كما لا يفضل الزواج من داخل القبيلة او العشيرة وهو ما يعرف بالزواج الاندوجامى Endogamy او الداخلى . ويرى الناس هناك ان الزواج الاكسوجامى يحقق عدة وظائف سياسية واقتصادية واجتماعية :

فعلى المستوى السياسى يؤدى التصاهر بين قبيلتين الى تحالفهما ضد الاعداء الخارجيين (بسبب كثرة المنازعات على اراضى المراعى) كما يقلل من احتمالات الصراع والتنازع بين هذين القبيلتين ، وهذا فى حد ذاته يوفر الحماية والامن لافراد العائلات والقبائل ، وبخاصة خلال غياب أعضائها من الرعاة عندما يرحلون بعيدا عن اوطانهم بحثا عن المراعى الخضراء التى يتوفر بها قدر كاف من العشب لاطعام ماشيتهم . ومن مجموع القبائل المتصاهرة عن طريق الزواج الاكسوجامى تتكون جبهة سياسية متحدة تضم الاف الافراد فى اقليم او منطقة معينة تستطيع

(*) جمعت المادة الاثنوجرافية لمثال الصومال من خلال استبيان لكيفية الحصول على الطعام وطرق اعداده فى المجتمعات البسيطة . وقد طبق من خلال مقابلات فردية وجماعية لافراد من المجتمع الصومالى . واستخلصت قائمة الاسئلة بالرجوع الى كتاب

Focurt, George : Introductory Questions on African Ethnology

انظر : ملحق رقم (١) وبه قائمة بالاسئلة المتعلقة بالطعام انظر ايضا : توفيق الحسينى عبده : البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ ندوة القرن الافريقى القاهرة ١٩٨٥ .

ان تقوم بدور فعال فى الضبط الاجتماعى ، وهو ما لا تستطيع ان تقوم به عائلة بمفردها .

اما على المستوى الاقتصادى فان التصاهر بين قبيلتين يعد امتدادا للاراضى والمراعى التى يملكها كل منهما . وتبدو اهمية هذه الوظيفة الاجتماعية فى البيئات الرعوية اكثر منها فى اى بيئة اخرى . ذلك انه اذا حدث جدب أو قحط فى منطقة معينة فلابد ان يرحل سكانها خارج هذه المنطقة الى منطقة اخرى ، فاذا كان الفرد متزوجا من نفس قبيلته فلن يجد انصارا من الاصهار يلجأ اليهم اما اذا كان متزوجا من قبيلة اخرى فانه يجد امامه فرصا افضل للنجاة بقطيع ابله ومواشيه خارج أرض قبيلته التى اصابها الجفاف او قلت بها الامطار او شحفيها الطعام او ندر ، واول الاماكن التى يفكر فى الرحيل اليها هى ارض اصهاره وعلى هؤلاء الاصهار ان يستقبلوه وافراد عائلته ، ويكرمون وفادته والا أعتبر ذلك عارا عليهم .

وعندما يصيب القحط او يقل الطعام او ينفد المخزون عند احد الرعاة فكثيرا ما يرسل زوجته الى اهلها لكى يمدوه بالمساعدة والطعام اللازم ، وهذه عادة متبعة بين افراد القبائل المتصاهرة ، بل ان اصهاره يغضبون منه اذا لجأ الى طلب المعونة او الطعام من سواهم . وهو بدوره يقوم بنفس الدور عندما يطلب منه تقديم المساعدة التى يحتاجها اصهاره . وتعد هذه الوظيفة الاجتماعية فى الزواج الاكسوجامى بمثابة تأمين اقتصادى واجتماعى ضد الكوارث والنكبات التى غالبا تصيب هذه المجتمعات الرعوية وتعرضها للمجاعة والقحط بين الحين والاخر .

وعلى المستوى الاجتماعى فان افراد المجتمع الرعوى الصومالى قد نما اليهم الادراك بان الزواج من نفس القبيلة يؤدى الى اضعاف النسل واصابته بكثير من الامراض . وقد لاحظ ذلك بمتابعته المستمرة لقطيع ابله الذى يعتنى به اشد العناية لانه عماد الثروة ويشكل جزءا رئيسيا من طعامه ، لذلك فهو يختار لناقاته عند تلقيحها جملا قويا من قطيع آخر ، وكأنه يطبق مبدأ الزواج الاكسوجامى حتى على الحيوان .

واذا كان نظام الزواج الاكسوجامى هو نمط الزواج المفضل لدى الشعب الصومالى ، فان نمط الزواج الاندوجامى هو النمط المفضل

بين سكان الريف المصرى ، حيث يفضل الشخص الزواج من داخل وحدته القرابية وبخاصة بنات العمومية او الخؤولة المتوازية (*) Parallel-Cousin Marriage او المتقاطعة Cross-Cousin Marriage وذلك لتحقيق الوظائف الاجتماعية لهذا الزواج ، ويأتى فى مقدمة هذه الوظائف ابقاء موارد انتاج الطعام وهى الاراضى الزراعية داخل العائلة الكبيرة نفسها وضمان عدم انتقالها ـ طبقا لنظام التوريث ـ الى جماعات اخرى ، مما قد يخل بمدأ التوازن الاجتماعى والاقتصادى .

هذا بالاضافة الى تعاون وتساند الاقارب العاصبين والمتصاهرين فى الاعمال الزراعية لانتاج الطعام اللازم لكل افراد العائلة . كما ان المرأة تعتبر فى ريف مصر عضوا منتجا اكثر منه مستهلكا ولذلك يفضل الاهالى الاستفادة بجهودها وخدماتها داخل الوحدة القرابية ، مما يؤدى فى نهاية الامر الى زيادة الثروة وتدعيم اقتصاديات العائلة ككل . وتساعد عملية التنشئة الاجتماعية على تهيئة الفتاة الريفية منذ صغرها للقيام بهذا الدور الحيوى . ورغم ان المرأه لا تساهم بشكل مباشر فى العمل الزراعى ، الا انها تقوم باعمال معاونة كحلب الماشية وصناعة منتجات الالبان وطهو الطعام واعداده للرجال العاملين فى الحقول بالاضافة الى قيامها بوظائف الامومة الرئيسية وانجاب الاطفال ورعايتهم وتربيتهم واعدادهم لتولى نفس المهام والمسئوليات التى تحملها الاباء والاجداد .

وهكذا تؤدى العلاقات والروابط القرابية الى صيانة وزيادة الموارد الغذائية ، وبالاستخدام الامثل لهذه الموارد يمكن الاستفادة الكاملة منها كما وكيفا . ولكن بعض المشكلة يعود الى القيود والتحريمات التى

(*) يقصد علماء الانثربولوجيا بالزواج بين ابناء وبنات العمومة والخؤولة المتوازية ، ان يتزوج الفرد ابنة عمه من ناحية او ابنة خالته من ناحية اخرى ، اما الزواج بين ابناء العمومة والخؤولة المتقاطعة فيعنى ان يتزوج الفرد ابنة عمته من ناحية او ابنة خاله من ناحية اخرى .
انظر : احمد أبو زيد : البناء الاجتماعى ـ الجزء الثانى ـ الانساق ـ القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ١٤٤ .

يقيمها الانسان نفسه فى الثقافات المتنوعة تجاه نوع أو آخر من انواع الاطعمة المتاحه .

كما يرجع ايضا الى المعتقدات الكثيرة السائدة عن العلاقة بين الطعام والصحة ، وكذلك عن العلاقة بين الطعام وكثير من العقائد والشعائر والعادات ، والتى تحرم الناس من الاستفادة الكاملة من الطعام المتاح لديهم . وعلى ذلك يمكن القول بأن اسباب مشكلات سوء التغذية او النقص فى مواد الطعام ترجع الى اسباب ثقافية من ناحية او الى عدم الاستخدام الامثل للموارد المتاحة من ناحية ثانية .

كما ان التفاضلات الشخصية تقلل بلا شك من تشكيلة الاطعمة التى يستهلكها الفرد . مادام كل منا لا يقبل على كل الاطعمة التى تسمح بتناولها الثقافة السائدة . وقد وجد ان للخبرات الطفولية دخل كبير فى تحديد نوعية الطعام الذى نستسيغه ، فالطعام الذى تتناوله فى طفولتنا يستمر فى جذبنا اليه عندما نكبر ، بينما الطعام الذى نعرفه فى كبرنا أكثر عرضة للتغير ، ومع ان الناس تفرح عند تناول اطعمة جديدة ، فان سعادتها تتضاعف عندما تقدم اليها الوجبات المألوفة لديها (١) .

وتسهم عملية التنشئة الاجتماعية فى الثقافات المختلفة فى تأكيد العلاقة بين الطعام وبين الحقوق والواجبات تجاه الاقارب . فعند قبيلة البمبا Bemba التى تعيش بروديسيا الشمالية فى بيئة فقيرة الموارد محدودة الخيرات ، يجب على الشخص ان يساعد خاله بتقديم بعض الاطعمة اليه ، فاذا تقاعس اعتبر ذلك من قبيل نكران الجميل ، لان الخال فى المجتمعات الامومية Matrilineal مثل البمبا بمثابة الاب فى المجتمعات الابوية النسب Patrilineal وتقع عليه التزامات تجاه ابناء اخته وعليهم ايضا أن يقوموا بواجبهم نحوه عندما يحتاج الى المساعدة . وفى مثل تلك المجتمعات الفقيرة تقاس المنزلة الاجتماعية

---

(1) Foster & Anderson : Medical Anthropology, Op. Cit. P. 263.

للشخص بمقدار ما يعطى وليس بقدر ما يأخـذ ، كما يتفاخر الزعيم ليس بعدد اتباعه ولكن بكمية الطعام التى تسلمها وبمقدار ما دفعه منها على هـؤلاء الاتباع • وتتحـدد المراكز الاجتماعية للافراد بمـدي استضافتهم لعدد كبير من الافراد وليس بأن يكونوا هم ضـيوفا على غيرهم ، وينشأ الاطفال منذ نعومة اظفارهم على ان يشركوا رفاقهم فى الطعام .• وعادة تقول الام لطفلها « خذ هذه الفاكهة ووزع بعضا منها على اطفال الاقارب ، الذين يلعبون معك » ولذلك يتعلم الطفل ان هناك اقارب لهم الحق فى مشاركته الطعام ، وهذه المشاركة هى التزام اخلاقى تجاه غيره من الاطفال (1) •

وقد يتجاوز دور الطعام حدود النطاق القرابى المحدود ليشمل نطاقا اوسـع يضـم الجماعات العرقية nic او السلالية Racial التى تعيش داخل ثقافة معينة او مجتمع او دولة ، وهنا يرتبط الطعام بالقومية فيما يسمى « الوجبات او الاطباق الوطنية (*) «National dish كنوع من التعبير عن تماسـك الجماعة وقوة الروابط التى تربط بين افرادها والتفافها حول موائد مأكولاتها الوطنية والمفضلة لديها ، وبخاصة عندما تقام هذه المآدب القومية فى بلاد اجنبية مما يثير مختلف الاحاسيس والمشاعر تجاه الوطن والانتماء اليه • ورغم ان المواد الخام الداخلة فى تكوين هذه الوجبات توجد فى كل مجتمع تقريبا ، الا ان طريقة اعدادها وطهوها تأخذ هذا الطابع القومى •

ويؤدى اغفال العـلاقة بين الشـعوب او الجماعات العرقية وبين الاطعمة المفضلة لديها الى مشكلات وصعوبات تتطلب دراسة مستفيضة للنظام الغذائى عند هذه الجماعات •

---

(1) Gluckman, Max : How The Bemba make their Livings in Hoebel «ed» (Reading in Anthropology). McGraw-Hill Books Co., N.Y. 1955. P. 173.

(*) ارتبطت اطعمة وماكولات معينة ببعض الاقطار مثل : الكباب المصرى ، والبيتزا الايطـالى ، والجبنة الهولندى ، والكافيـار الروسى والكبيبة الشامى ، والكسكسى المغربى . وايضا بعض المشروبات .

فقد صادف المشرفون على مشروع الزاندى فى جنوب السودان صعوبات شتى عند محاولتهم تقديم وجبة غذائية للعاملين فى المشروع كوسيلة لتحسين ظروف العمل ، فقد رفضها العمال وآثروا ان يعطوا نقودا يشترون بها ما يريدون ، ومع ان هذا الطعام يقدم لهم كأجر نوعى ، وكانت فرصة فهمه والاستجابة له واسعة ، الا ان هناك ظروفا جانبية أدت الي عدم الاقبال عليه ، ومنها نوع الطعام نفسه الذى لاحظ القائمون على المشروع ان يكون صحيا ، فنوعه وطريقة اعداده قد تختلف قليلا أو كثيرا عن طعامهم التقليدى (١) •

---

(١) فاروق العادلى : الانثربولوجيا الاقتصادية — سجل العرب القاهرة ١٩٨٣ — ص ٢٢٥ •

الفصــل الثالث

العادات والتقاليد والنظم

يلعب الطعام دورا رئيسيا فى تنميط وتشــكيل سلوك وتصرفات افراد الجماعات الانسانية فى الثقافات المختلفة . وتأخذ هــذه الانماط السلوكية احيانا شكل العادة Custom التى يمارســها السكان بطريقة تلقائية كنوع من السلوك الجمعى المألوف دون معرفة مصــدرها ، او ادراك للاسس والمبادىء التى قامت عليها . واحيانا اخرى تتخذ هذه الانماط شكل التقاليد Tradition التى يتوارثها الخلف عن السلف وتدخل فى صميم الثقافة السائدة وتعد من مكونات الميراث الثقافى العام للشعوب والامم ، ويمارسها سكان المجتمع كنوع من الشعور بالانتماء القومى او الالتزام الخلقى ، فاذا اتصلت هــذه الانماط الســلوكية الطعامية بمفهوم دينى او عقائدى اصبحت تمارس كنوع من الشعائر Rituals او العقائد Beliefs التى يحترمها السكان ويقدسونها كنوع من الالتزام الدينى او العقائدى .

ولتوضيح هذه المفاهيم الثقافية والاجتماعية فى صلتها بالطعام يمكن القول انه من الممكن ان يتخلص الناس من عادات غذائية معينة اذا تبين انها ضارة ، او غير مفيدة مثل تناول وجبات فى غير مواعيد معينة ، او عادة الخروج من المنزل صباحا دون تناول طعام الافطار وهكذا .

اما التقاليد فليس من السهل تغييرها او التخلص منها الا اذا غــير الانسان قيمه وتحول عن ثقافته التى تربى فيها الى ثقافة اخرى مغايره لها تقاليد مختلفة . فمن التقاليد العربية المشــهورة حسن اســتقبال الضيوف وكرم وفادتهم ، لدرجة ان « كرم الضيافة » من التقاليد العربية الراسخة التى يتوقعها كل من هو غريب عن الثقافة العربية .

ومن العقائد الثابته المتصلة بالطعام عند المســلمين اطعام الفقراء والمساكين لدرجة ان طعام ستين مسكينا طعاما مشبعا بنص القرآن الكريم

يحل محل فريضة الصوم لغير القادرين عليه . ويمارس المسيحيون عقائد متعددة متصلة بالطعام ومنها ـ على سبيل المثال ـ غذاء الاحد الذى يقام بعد الانتهاء من الخدمات الكنسية ويجمع اعضاء العائلة .

ونلاحظ ايضا فى قارة افريقيا عادات وتقاليد مشـابهة فكثير من الشعوب الافريقية تتقرب الى ارواح الاسلاف بتقديم الهدايا والقرابين التى تشـمل انواع مختلفة من الاطعمة واحيانا تذبح الاضـحيات من الماشية او الحيوانات الاخرى على اضرحة الالهة تقربا واسترضاء لها . وقد وجد ان احد وظائف نظام تعدد الزوجات فى ارجاء القارة المختلفة هو القيام بأعباء طهو الطعام اللازم لضـيوف الزوج الذين قد يفدون بكثرة بحيث لا تستطيع زوجة واحدة القيام بعبء تجهيز الطعام واعداده وطهوه .

وذكر جومو كينياتا (1) J Kenyatta فى وصـفه للشعائر الدينية عند قبيلة الكيكويو وهى قبيلته ان هذه الشعائر تصاحب عملية انتاج الطعام منذ بدايتها حتى نهايتها . فقبل هطول الامطار تذبح الاضحيات للالهة ، ويقول ان كل احتفال حضره هو شخصيا لانزال المطر قد اعقبه هطول الامطار . هناك أيضا احتفال بدء الزراعة ، فعندما تسقط الامطار يقوم مجلس الكبار بأداء طقوس معينة لمباركة البذور لانتاج محاصيل اوفر ويعقب ذلك احتفالات تطهير المحاصيل لمدة ثلاثة اشـهر ، واخيرا تاتى احتفالات الحصاد عندما يبدأ جمع المحصول حيث تقدم اضحية للالهة على منحته الكريمة من الامطار .

ومن اهم مظاهر السلوك الانسانى التى تمنع الاستفادة الكاملة من الاغذية المتاحة فى الاقليم سواء أكانت فى صورة حيوانات أو نباتات هى تلك الشعائر التوتمية Totem الواسعة الانتشار بين عشـائر المجتمعات الافريقية وغيرها من المجتمعات البدائيـة فى استراليا وامريكا الشمالية وغيرها . والتى تحرم على جميع افراد العشيرة ان يمسوا بسوء نوع هذا التوتم كما يحرم صيده او أكله .

---

(1) Kenvatta, J. : Facing Mount Kenya, Vitage Books, N.Y., 1965, P. 235 f.

ويعد الامتناع عن تناول اطعمة حيوانية او نباتية معينة من مظاهر توحد العشيرة التوتمية وتميزها من غيرها من العشائر ، ويؤدى هـذا السلوك الى قيام علاقة قرابة اجتماعية بين أفراد التوتم الواحد لاعتقادهم انهم ينحدرون من سلف واحد مشترك (١) .

ويقصد بالتوتم الحيوانى او النباتى الفصيلة العامة التى ينتمى اليها الحيوان او النبات ، ويعتقـد افراد العشـيرة انهم وافراد هذا التوتم ينتمون الى وحدة اجتماعية او ما يشبه الاسرة الواحدة ويتخذون من اسمه رمزا لهم ولقبا لجميع افرادها وينزلونه منزلة التقديس والاحترام . ويستثنى من هذه القواعد بعض حالات حددتها التقاليد ومنها انه يباح لافراد العشيرة ان يتناولوا طعاما من توتمهم فى بعض المناسبات الدينية ، او اذا لم يجدوا امامهم طعاما آخر ، او اذا كانت الحياة لا تتم بدونه كما هو الحال فى توتم الماء ، او فى حالة الدفاع النفسى (٢) .

وفى كل تلك الحالات يجب الا يقوم الشخص بذبح او قلع النبات الذى ينتمى الى عشيرته بنفسه ، بل يتولى فرد آخر من توتم مغاير القيام بهذا العمل (*) .

وحيث ان نمط الزواج المفضل عند العشـائر التوتمية هو الزواج الخارجى فلابد ان يتزوج الفرد من عشيرة مختلفة عن عشيرته ولها توتم آخر ، وفى هذه الحالة تمتد مظاهر التحريم الطعامى لتشمل توتم الزوج

---

(١) Levi-Strauss, Claude : Totemism, translated by Rodney Needhaam, Pelican Books, Oxford, 1968, P. 110.

(٢) على عبد الواحد وافى : الطوطمية : اشهر الديانات البدائية . دار المعارف القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٤ .

(*) شاع الاعتقاد فى الكتاب الانثربولوجية الاولى بأن احترام التوتم ومظاهر تقديسه تعنى ان التوعية هى نوع من العبادة البدائية والحقيقة هى غير ذلك . فعلاقة العشائر بتوتمهم هى علاقة قرابة اجتماعية فقط وللتوتم ابعادا اجتماعية متصلة بالطعام اكثر بعدا عن مجرد توتم العشيرة التى ينتمى اليها الشخص ، فهناك ايضا توتم الاتحاد العام للعشائر التى يعتقد انها تنحدر منه ، وعلى الفرد ان يطبق قواعد التحريم على توتم الاتحاد بنفس درجة التحريم التى يطبقها على توتمه .
لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع على عبد الواحد وافى ـ مرجع سابق .

وتوتر الزوجه مما قد يحرم الاسرة من نوعين ــ على الاقل ــ من الطعام الحيوانى او النباتى .

ولقد اشار هاومان Howman بوجود هذه الظاهرة عند حديثه عن نظام الطعام عند العمال الافارقة فى روديسيا . وكيف ان الرجل يختار اطعمة معينة من جملة الطعام المتوفر فى البيئة . ويحكم هــذا الاختيار قواعد دينية وسحرية متعلقة بالمحرمات Taboo رافضا ما عداها لارتباطها ببعض الافكار التى هى اقوى من اى ضرورة اقتصــادية . فكل نظم الاطعام تخضع منذ الطفولة لقواعد وطقوس معينة وتستمر هكذا حتى الكبر . ويضيف قائلا : ان التأثير الثقافى يبدو واضحا وعميقا ويشكل المشاعر الوطنية نحو الطعام . لذلك فان انماط الطعام فى العالم تحكمها الثقافة السائدة عند شعب من الشــعوب ، والمناخ الذى توجــد فيه والمناشط التى يقومون بها وكذلك القيم الاجتماعية المتعارف عليها (١) .

واذا كانت المعتقدات الدينية والشعائرية المتصلة بالطعام تبدو على هذه الصورة العميقة فى نفوس الافراد والجماعات الافريقية وغيرها من الثقافات المختلفة ، والتى تبدو مظاهرها واضــحة فى مختلف انــواع السلوك الانسانى والتى يتمسك بها الناس فى مختلف المواقف الاجتماعية كتعبير عن ارتباطهم بالثقافة التى ينتمون اليها . فان العادات الطعامية تبدو اكثر تنوعا واختلافا فى مقارنتها بأنواع السلوك الانســانى لدى الشعوب المختلفة .

فجماعات الاســكيمو التى تعيش فى القارة القطبية تكاد تقتصر فى غذائها على اللحوم والاسماك وحدها على خلاف كثير من الشــعوب الهنــدية المكسيكية التى يقــوم غــذاؤها فى معظمــه على الحبــوب والخضروات ، وكذلك نجد ان اللبن ومنتجاته يعتبر غذاء فاخرا عند شعب الباجندا فى شرق افريقيا ، فى الوقت الذى تضعها فيه شعوب غرب افريقيا فى مرتبة ادنى من ذلك بكثير وتســتخدم كثير من قبائل الهنود الحمر الامريكية الاسماك فى غذائها ، فى حين تتقزز منها شعوب النافا هو

---

(١) Howman, R. : Native Affairs, In Micheal Gelfand, (Diet and Tradition in an African Culture, E & S Livingston, London, 1971, P. 5.

هو والاباتشى التى تعيش فى نيو مكسيكو وتعتبرها غير صالحة لغذاء الانسان . وهناك كثير من الشعوب التى تأكل لحم الكلاب (بل اننا نجد ان بعض قبائل الهنود المكسيكيين تربى نوعا خاصا من الكلاب لاكله ، فى الوقت الذى نجد فيه كثير من الشعوب الاخرى - مثلنا نحن - التى تتقزز من فكرة أكل لحم الكلاب (١) .

ثم ان التباين لا يقتصر على أنواع المواد الغذائية وانما يمتد الى طريقة الربط بين أنواع مختلفة من الاطعمة ، فاليهود المتدينون لا يجمعون بين اللحوم ومنتجات الالبان فى وجبة واحدة ، ولكنهم يمكن ان يتناولوا الصنفين منفصلين احداهما عن الآخر ، ويمكن ان نجد عادة مماثلة عند شعب الاسكيمو يتحتم بمقتضاها فصل الاغذية البحرية فصلا تاما عن الاغذية المأخوذة من الحيوانات البرية ، بل انهم يقدمون هذه الاصناف فى اوان مستقلة (٢) .

ومن انماط السلوك الانسانى المتصلة بالطعام ، تلك التصرفات الهادفة الى توثيق العلاقات الاجتماعية القائمة فعلا او تأسيس علاقات جديدة بين الافراد او الجماعات . ففى كل المجتمعات البشرية ان تقدم الطعام (وأحيانا الشراب) فانت تقدم الحب والمودة والصداقة . كما ان قبول الطعام المفضل هو اعتراف بابداء المشاعر الطيبة وتبادلها تجاه الاخرين . اما الامتناع والاحجام عن تقديم الطعام فى المواقف التى يتوقع ان يقدم فيها فهو تعبير عن الغضب والكراهية والعداوة . وبالتالى فان رفض الطعام المرغوب يعتبر بمثابة رفض لعروض الحب والصداقة تجاه الشخص الذى يقدم الطعام .. ويشعر الناس بالامن حين يأكلون مع الاصدقاء والمقربين ، وفى معظم المجتمعات تقام الولائم الخاصة والعامة للتعبير الرمزى عن هذه المشاعر الودية . وعادة لا نشارك اعداءنا الطعام ، واذا حدث هذا فى المناسبات القليلة فان مجرد تناول الطعام معا يجعلنا نطرح خلافاتنا جانبا (٣) .

وعندما يتعاظم دور الطعام فى حياة الشعوب يأخذ شكل النظم الاجتماعية المقررة ، ويدخل بذلك فى نطاق البناء الاجتماعى للشعب او

---

(١) محمد الجوهرى : الانثربولوجيا - مرجع سابق ص ٥٩ .
(٢) نفس المرجع ص ٦٠ .
(٣) Foster & Anderson : Op. Cit, P. 368.

القبيلة التى تمارسه ، ويكون له فى هذه الحالة اكثر من وظيفة اجتماعية بجانب وظيفته فى توفير الموارد الغذائية وتأمينها لاعضاء المجتمع . ويحسن ان نضرب مثالين فى قارة افريقيا يوضحان كيفية عمل هذه النظم ، أولهما من مجتمعات رعوية والثانى من مجتمعات زراعية .

(أ) نظام الوديعة :

وهو نظام اقتصادى اساسا له عدة وظائف اجتماعية وسياسية هامة ويسود هذا النظام فى مجتمعات شرق افريقيا وتمارسه قبائل الناندى Nandi والباكوت Pakot والكبسيجسى Kipsigis على نطاق واسع وقد اطلق عليه هنتجفورد نظام الكابتيش Kaptish

وبمقتضى هذا النظام يودع الشخص ــ كأمانة دائمة ــ عددا من مواشيه عند بعض الاصدقاء او الجيران فى اماكن مختلفة ومتباعده ؛ ويحصل من وقت لاخر على ناتج هذه الوديعة فى صورة عجل صغير او احد الهدايا من الحبوب او الماعز او الاغنام من المودع لديه . وعادة تصل ايداعات الشخص الواحد الى ثلاثة او اربعة .

وباتباع هذا النظام يحقق الفرد ثلاثة اهداف اقتصادية :

١ ــ فهو يضمن موردا غذائيا دائما بصورة منتظمة من هؤلاء الاصدقاء يؤمن له ولاسرته احتياجاته الغذائية بصفة مستمرة دون بذل أى جهد .

٢ ــ يضمن عدم تعرض ثروته من الماشية للفناء فى حالة اصابة منطقته بخطر الفيضان او الجدب او انتشار الامراض الوبائية وايضا خطر غارات القبائل الاخرى على الماشية .

٣ ــ تنوع طعامه نظير ما يحصل عليه من مواد غذائية مختلفة تأتيه من اصدقائه العديدين الذين يقطنون مناطق بعيدة .

هذا بجانب الاهداف الاجتماعية والسياسية التى يحققها هذا النظام لانه يقوى من العلاقات الاجتماعية للاشخاص المتعاونيين فى نظام الوديعة ، وبقدر اتساع نطاق هؤلاء الاصدقاء تزيد المزايا المتحصلة ، وفى احيان كثيرة يتعاون هؤلاء الافراد فى مجالات اخرى عديدة عندما

تتم الزيارات المتبادلة عند اداء ريع الوديعة . اما من الناحية السياسية يؤدى النظام الى تقوية وسائل الضبط الاجتماعى داخل هذه المجموعة . اذ ان الاعتداء او الاغارة على ماشية ى فرد منها يعتبر اعتداء على جميع المشتركين فيه ، وهو امر يستلزم ان يهب الجميع للدفاع عن المعتدى عليه واعادة الماشية الى حائزها . لذلك فان دخول الفرد فى زمرة نظام الوديعة كفيل بمنع الاخرين من الاعتداء عليه او سلب ماشيته .

ويبدو حرص الناس على الاستمرار فى نظام الوديعة فى مظاهر الترحيب والاحتفاء باصدقاء النظام وتجديد وديعتهم واكتساب اصدقاء جدد كلما امكن ذلك (*) .

(ب) نظام الزمالة :

وهو نظام اقتصادى زراعى يتضمن وظائف اجتماعية عديدة . ويوجد هذا النظام فى الريف المصرى وله نظائر فى المجتمعات الافريقية وان كان يأخذ اسماء مختلفة فهو يسمى نظام « الحليفة » فى كل من السودان والصومال . ويقوم فى اساسه على تعاون عدد من المزارعين فى انتاج الطعام من الاراضى الزراعية التى يملكونها ، ويضم فريق الزماله بين ١٥ الى ٢٠ مزارعا . ونظرا لتعدد مراحل الانتاج الزراعى فى المواسم المختلفة ، فان المزارع الواحد لا يستطيع القيام بأعباء العمل الزراعى

(*) ومما هو جدير بالذكر ان هذا النظام ادى فى مجتمع الباكوت الى زيادة هائلة فى الثروة الحيوانية وتوفر الطعام فى المجتمع بشكل جعل السلطات الاستعمارية تعمد الى تقليل اعداد الماشية بالقوة بحجة قلة المراعى وصدرت تشريعات لتنفيذ هذه السياسة ، وفى عام ١٩٥٢ اجرى احصاء للثروة الحيوانية تبين ان هناك ما يربو على ١١٠٫٠٠٠ راس من الابقار ، وعدد مماثل من الماعز وحوالى ٣٧٫٠٠٠ راس من الخراف ، فى حين ان عدد السكان لا يزيد عن ٤٠ الفا وفشلت الحكومة فى اقناع الاهالى ببيع الماشية للاجانب عن طريق التصدير . ويعود ذلك الى ان التصدير يحرمهم من المنافع المترتبة على الالتزامات الاجتماعية الموجودة فى نظام الوديعة .

انظر : ملفيل هرسكوفيز ، وليم ساسكوم : الثقافة الافريقية مرجع سابق ص ٣١٤ .

كلها ، كما انه لا يملك كل المعدات والادوات الزراعية اللازمة لانجاز العمل المطلوب لذلك تتفق مجموعة من المزارعين ــ قد لا ينتمون الى وحدة قرابية ــ على الدخول فى نظام للزمالة فيما بينهم بحيث يعملون سويا فى حقل احدهم احد الايام ثم ينتقلون الى حقل زميل آخر وهكذا فعند القيام بعمل زراعى ما مثل بذر البذور او حصد المحصول يتفق مع العدد اللازم له من زملائه للارتباط معه على العمل فى اليوم المحدد (١) (٢)٠

وبذلك يتوفر للمزارع قوة عاملة من عدة رجال لا يدفع لها اجرا : كما يلزم النظام الافراد المشتركين فيه على تبادل الادوات والمعدات الزراعية ليكمل بعضهم بعضا ٠ وله ايضا ان يستعير من اى زميل احد الدواب او احد قطعان الماشية ، ويحدد العرف السائد بين الزملاء طرق استخدام المستلزمات الزراعية المعارة بشكل لا يترتب عليه اى اضرار او خسائر لمالكها الاصلى ٠

ويترتب على الدخول فى نظام الزمالة علاقات اجتماعية اوسع بالاضافة الى تقوية العلاقات المتبادلة القائمة بالفعل ٠

---

(١) احمد ابو زيد : البناء الاجتماعي ــ الانساق ــ مرجع سابق ٠

(٢) Huntingford, G.W.B. : Nandi Work and Culture, L. 1950.

خاتمـــــة

كانت دراستنا لموضوع الطعام فى ثقافات مختلفة وبين سكان مناطق متباينة ، هى محاولة للتعرف على الابعاد المختلفة لاشباع حاجة بشرية ضرورية ولازمة لبقاء الانسان • وقد تبين ان الاستجابة الثقافية للطعام كحاجة بيولوجية ـ كما يقول مالينوفسكى فى نظريته عن الحاجات ـ قد أدت الى بعض الحاجات الثانوية • وعلى ضوء المعطيات النظرية التى اتخذت كاطار للدراسة • وبدراسة الانماط المتنوعة لنشاط الانسان فى قـارة افريقيا وغيرها فى محاولته لتأمين مصـادر طعامه بشتى الطرق والاساليب ، فقد خلصت الدراسة الى النتائج والتعميمات الآتية :

١ ـ اصبح البحث فى انثربولوجيا الطعام يشكل اهمية متزايدة فى الوقت الحاضر ، فبالاضافة الى الاهداف النظرية والتطبيقية لهذا الفرع الجـديد من الانثربولوجيا ، فانه يفتح المجال لدراسـة العـديد من الموضوعات التى تهم شعوب الدول النامية ، وبخاصة بعد حدوث النقص الشـديد فى الموارد الغذائية نتيجة الجفاف فى بعض اقاليم افريقيـا • كما ان تحول بعض المجتمعات التقليدية من زراعة المحاصيل المعيشية الى زراعة المحاصيل النقدية يؤدى الى تفاقم مشكلة الطعام •

٢ ـ تعد الحـاجة الى الطعـام فى كل المجتمعات البشرية من اولى الحاجات التى تتطلب الاشباع ، وهى بذلك تفوق الحاجـة الى الملبس والمسكن وغيرها • ويتخذ السكان فى كل مجتمع كافة الوسائل والطرق التى تمكنهم من الحصول على موارد للطعام بقدر ما يتوفر فى البيئة من مواد وامكانات ، ولذلك تتفق الدراسة مع نظرية مالينوفسكى فى ان الحاجة الى الطعام هى خاصية مشتركة بين ابناء البشر جميعا •

٣ ـ تختلف الحاجات الثانوية التى هى ثقافية اكثر منها بيولوجية بين مجتمع لاخر ، وان طرق اشباعها تخضع لمؤثرات ثقافية تحددها القيم السائدة فى المجتمع ، ويدخل ضمن هذه المؤثرات ما يتوفر لدى سكان

المجتمع من معرفة تكنولوجية تمكنهم من استخدام وسائل انتاج الطعام بكفاءة ومقدرة ، ولعل هذا هو ما أشار اليه مالينوفسكى بتدريب ابناء ثقافة معينة على الاستخدام السليم والانتفاع بهذه الاساليب .

٤ ـ هناك ارتباط وظيفى بين نمط الانتاج الطعامى وبين بعض النظم الاجتماعية كالنظم القرابية والسياسية ، فتتخذ المجتمعات من هذه النظم ما يتناسب ونشاطها الاقتصادى فتكوين العائلة وعلاقاتها القرابية وأنماط الزواج المفضلة لديها تتوافق مع وسيلتها فى انتاج الطعام وتوزيعه واستهلاكه بحيث يختلف تكوين العائلة فى مجتمعات الجمع والالتقاط عنها فى مجتمعات الصيد او الرعى او الزراعة .

٥ ـ تحتاج الموارد الغذائية المتاحة فى الاقليم الى قبول ثقافى حتى تصبح طعاما مقبولا ومستساغا من سكان المجتمع ، ولذلك لا يستهلك السكان كل مواردهم الغذائية بسبب بعض الانماط السلوكية التى تتخذ شكل العادات المرعية أو التقاليد المتوارثة أو الشعائر والعقائد السائدة. ولذلك فالطعام مفهوم ثقافى انسانى أكثر منه مادة عضوية مغذية .

ملحق رقم (١)

اسئلة واستفسارات عن الطعام (*)

(١) انواع الطعام المختلفة

١ ــ الاطعمة الاساسية : خضروات ــ لحوم حيوان .. الخ (اذكر قائمة بالاطعمة المعتادة لمعظم السكان ، وبين مدى انتشارها . يفضل ذكر الاسماء الوطنية ، وتحديد النسب المعتادة بين اطعمة اللحوم أو الخضروات).

٢ ــ تفاصيل عن الطعام الحيوانى . صنف نوعية الحيوان وهل هو مستأنس أو بريا ؟ (يجب ابراز استخدامات اللبن بالتفصيل) وما هى اجزاء الحيوانات التى تؤكل عادة (بخلاف اللحوم المحرمة) .

(ب) اعداد الطعام

٣ ــ ما هى طبيعة الاعداد .

٤ ــ اذكر وسائل الاعداد المادية مع وصفها وصفا دقيقا ، وما هى الاماكن التى يتم فيها اعداد الطعام .

٥ ــ كيف تذبح الحيوانات ؟ مع وصف المراحل المختلفة التى تتبع مثل السلخ ، التقطيع .. الخ .

٦ ــ الطريقة المتبعة لاكل الطعام ، ناضج ، مطبوخ ، طازج .

٧ ــ اشرح كيفية الطبخ ، والادوات والاوانى المستخدمة .

٨ ــ طبيعة الاشخاص الموكول اليهم مهمة اعداد الطعام بصفة عامة وكذلك اعداد الوجبات بصفة خاصة .

(*) Focurt, George : Introductory Questions on African Ethnology Sultanieh Geographical Society, CAIRO, 1919, PP. 37-40.

(ج) الوجبـــات

٩ ــ هل هناك أوقات محددة للوجبات ؟ ما هى اسماء الوجبـات اليومية باللغة الوطنية ؟

١٠ ــ أنواع الوجبات النمطية ومكوناتها الاساسية • المشتركون المعتادون وجبات رب الاسرة والاطفـال • نظـام توزيع الطعـام على المشتركين فى الوجبة مع وصف الاوعية والاوانى المستخدمة •

١١ ــ طريقة الاكل •• أوضاع أو جلسات المشتركين ••• درجـة قرابتهم •• التحريمات المختلفة (مثل كلمات معينة أو نظرات •• الخ)•

١٢ ــ الوجبات الجماعية : تفاصيلها ، عدد ونوع المشتركين فيهـا

١٣ ــ الولائم الشعائرية : الطقوس المتبعة ، العادات الممارسة •

١٤ ــ وجبات الزعماء واشخاص معينين ، طبيعتها المقدسة ، آداب المأكل التحريمات الخاصة •

(د) القيود والواجبـات

١٥ ــ الطعام المخصص لاشخاص معينين : (ملوك ، زعماء ، رجال، دين مطببون ، رجال يتمتعون بمنزلة خاصة ، اطفال ، نساء ، مسنون ؛ محاربون ، صيادون •• الخ) •

١٦ ــ ما هى الحيوانات والخضروات المحـرمة فى كل الاوقات ، ولكل الاشخاص وكذلك تلك التى تحرم لاشخاص معينة ؟

اذكر : العمر والجنس والفئة الاجتماعية ، وبين فى كل نوع عما اذا كان التحريم دائما أو مؤقتا مع بيان الوقت • وجه عناية خاصة لقيـود الطعام بالنسبة الى : ــ

(أ) النساء الحوامل •

(ب) أوقات صيد السمك أو الصيد البرى ، عمليات الزراعة قبـل البذر والحصاد ، أو عمليات الصناعة مثل صهر الحديد وصناعة الخزف، أو خلال الحرب ، وأيضا خـلال مناسبـات المواليد والوفيـات والزيجات •••• الخ •

١٧ ـ هل هناك اجزاء معينة من لحوم الحيوانات أو من الخضروات تعتبر محرمة ؟ مثل المخ •• النخاع •• الكبـــد •• العيــون •• أو البيض •• الخ •

(هـ) التوابل والمنبهـات

وبالنسبة للخضروات اذكر ايضا القيود والمحرمات على اجزائهـا أو مكوناتها مثل اللب •• الثمـار •• أو البذرة •• الخ •

١٨ ـ ما هو نوع الملح الشائع ؟ اماكن وجوده (اغوار مالحـة ، مستنقعات ملحية •• الخ) وسائل الحصول عليه • استخداماته فى الحياة بصفة عامة •

١٩ ـ ما هى أنواع التوابل المتوفرة ؟ مع وصف لمجالات استخدامها فى الطعام فى اغراض اخرى •

٢٠ ـ ما هى المنبهات صلبة الشكل ؟ بخلاف البن والشاى •

٢١ ـ هل توجد منبهات سائلة ؟

(و) المكيفـــات

٢٢ ـ اذكر قائمة بأنواع الدخان •• الافيـــون •• الحشيش ، وكذلك المواد الاخرى مع بيان طرق الاستخدام والادوات .•

(ز) المشـــروبات

٢٣ ـ اذكر قائمة بكل انواع المشروبات التى يستهلكها الناس عادة أو فى مناسبات خاصة •

مثل الجعة المصنوعة من الذرة أو الغلات الاخرى ، اللبن ، الخمـر المستخرج من النخيل ، الكحول المأخوذ من ثمار معينة •

٢٤ ـ هل توجد مواد تستخدم فى هذا المزج أو التركيب ؟

٢٥ ـ ما هى وسائل التحضير • ومراحل الاعداد ؟

٢٦ ـ وسائل حفظ المشروبات والاوعية المستخدمة •

٢٧ ـ ما هى طرق استهلاك المشروبات •• فردية •• جماعية ؟

٢٨ ــ ما هى أنواع الاطعمة التى يحرص الناس على حفظها ؟

(ح) حفظ الطعــام

٢٩ ــ طرق الحفظ المختلفة بالنسبة لكل نوع مثل اللحم (جاف، مدخن ، مملح ، محفوظ فى محلول) .. الخ .

٣٠ ــ هل هناك طرق لحفظ السمك ؟ وما هى .

٣١ ــ طرق حفظ الفواكه .

٣٢ ــ اذكر قائمة بالاطعمة الاخرى التى يتم حفظها .

اولا ـ المراجع العربية

١ ـ **احمد ابو زيد** : البناء الاجتماعى ـ الجزء الاول ـ المفهومات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧٠ .

٢ ـ **احمد ابو زيد** : البناء الاجتماعى ـ الجزء الثانى ـ الانساق ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٧٦ .

٣ ـ **توفيق الحسينى عبده** : البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية ـ دراسة انثربولوجية فى المجتمع الصومالى . معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ ندوة القرن الافريقى ـ القاهرة يناير ١٩٨٥ .

٤ ـ **حسن شحاته سعفان** : تاريخ الفكر الاجتماعى . مطبعة دار التأليف ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٥ ـ **رالف لنتسون** : شجرة الحضارة ـ الجزء الاول ـ ترجمة الدكتور أحمد فخرى ـ مكتبة الانجلو ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٦ ـ **على عبد الواحد وافى** : الطموطية . اشهر الديانات البدائية دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٩ .

٧ ـ **فاروق العادلى** : الانثربولوجيا الاقتصادية
مطبعة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٨٥ .

٨ ـ **محمد الجوهرى** : الانثربولوجيا
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٣ .

٩ ـ **محمد الجوهرى وآخرون** : التغير الاجتماعى
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٢ .

١٠ـ **وليم باسكوم** : الثقافة الافريقية
ملفيل هرسكوفيتز : ترجمة عبد الملك الناشف ـ بيروت ١٩٦٦ المكتبة المعصرية .

ثانيا ـ المراجع الاجنبية

1 — Beals, R. & Hoijer, H. : An Introduction to Anthropology, Mac Millan Co., N.Y. 1967.

2 — Beattie, John : Other Cultures, Routledge & Kegan Paul, London, 1966.

3 —Claude-Levi Stauss : Totemism, Translated by Rodney Needhaam, Pelican Book, Oxford, 1968.

4 — Firth, Raymond : Malaya Fishermen, their Peasant Economy, Landon, 1946.

5 — Focurt, George : Introductory Questions on African Ethnology, Sultanieh Geographical Society, CAIRO, 1919.

6 — Forde, Daryll : Habitat, Economy, and Society Methuen & Co. Ltd., London, 1946.

7 — Foster, G. & Medical Anthropology, John, Wiely & Sons, Anderson, B. N.Y. 1978.

8 — Herskovits, M. : The Human Factor in changing Africa, Alfred A. Knopf, M.Y., 1962.

9 — Hoebel, E. Adams : MAN, in the Primitive World, Nc-Graw-Hill Book Co., Inc. N.Y., 1958.

10 — Howman, R. : Native Affairs, in Micheal Gelfand (Diet and Tradition in An African Culture) E & S Livingstone, London, 1971.

11 — Kenyatta, Jomo : Facing Mount Kenya, Vintage Books, N.Y. 1965.

.. ..

اضـــواء جـديـدة

على مقاومة الامير عبد القادر الجزائرى للاستعمار الفرنسى للجزائر (دراسة وثائقية)

دكتــــور
ماهر عطيــة شــعبان
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة
١٩٩٤

المحتويـات :

مقـدمة :

هاجر عدد كبير من المسلمين الذين يقطنون بلاد الاندلس وذلك بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين هناك فى عام ١٤٩٢ ، وبدأت موجة صليبية جديدة أطلق عليها حرب الاسترداد وباركتها الكنيسة وشارك فيها ملوك الاسـبان والبرتغال ، وصار الساحل الشمالى للقارة الافريقية مسرحا لعمليات حربية بين المسلمين القادمين من بـلاد الانـدلس وبين المسيحيين الذين تعقبوا هؤلاء المسلمين فى بلاد المغرب العربى • وشهدت سواحل أفريقيا الشمالية ذلك الجهـاد البحرى الذى تزعمه الاخـوان عروج وخير الدين برباروسا (أى ذو اللحية الحمراء) ، واتخذ هـذان المجاهدان من مدينة الجزائر مقرا لهما ، وبسطا نفوذهما على السـاحل الافريقى الشـمالى ، بل وساعدا حكام الدويلات الاسلامية هناك ضد المخاطر والهجمات الصليبية الاسبانية والبرتغالية • ولما سقط عـروج أثناء مقاومة التوسع الاسبانى تولى القيادة من بعده أخوه خير الدين ، ذلك المغامر الشجاع الذى واصل الجهاد ، ووسع من نفوذ المسلمين لكنه عندما شعر بعجزه عن مقاومة التوسع الاوربى استنجد بالدولة العثمانية الفتية ، فقدمت له المساعدات ، ووجهت اليه الحمـلات التى أعانته على بسط النفوذ العثمانى فى ذلك الجزء من أفريقيا • وأصبحت الدولة العثمانية وجها لوجه مع القوى المسيحية بعد أن بسطت نفوذها على الجزائر فى عام ١٥١٨ ، ثم ليبيا (طرابلس) فى عام ١٥٥١ ، وأخيرا تونس فى عام ١٥٧٤ •.

ومنذ القرن السادس عشر دخلت الجزائر تحت السيطرة العثمانية ، واستمرت على هـذا المنوال طوال قرون ثلاث حتى سقطت فى أيدى الاستعمار الفرنسى فى عام ١٨٣٠ • وطوال هذه الفترة التى عاشت فيها الجزائر فى ظل الحكم العثمانى كانت هذه الولاية شبه مستقلة ، وكان لها علمها وجيشها وعلاقاتها الدبلوماسية مع الدول الاخرى لكنها كانت تعترف بالباب العالى ، والخلافة الاسـلامية ، وكانت ترسـل الهدايا

للسلطان العثمانى فى استانبول كل ثلاث سنوات ، ومع ذلك لم يكن العلم العثمانى محل تقدير الشعب الجزائرى (١) .

وكان للجزائر أسطول بحرى قوى سيطر على كل غرب البحر المتوسط على شواطىء المحيط الاطلسى الافريقية . وقد فرضت هذه السلطة البحرية الجزائرية نفسها على الدول الاوربية بما فى تلك الولايات المتحدة الامريكية ، واستمرت تمارس هذا النشاط البحرى ، وذلك التفوق العسكرى سنين عديدة . وكانت القوى الكبرى تخطب ود الشعب الجزائرى الذى تفاخر بكبرياء بأن قوته البحرية لا تفوقها الا قوة بريطانيا العظمى فى ذلك الوقت من القرن التاسع عشر (٢) .

وكانت الدول الاوربية الصغرى مثل ايطاليا وهولندا تدفع الجزية السنوية للجزائر . كما كانت تقدم مختلف الهدايا حتى تحظى بصداقة دائمة مع الجزائريين لكى تحافظ على تجارتها . وكانت الدول الكبرى تدفع الجزية أحيانا ، وفى أحيان اخرى كانت تدخل فى حروب مع الجزائر حتى لا تدفع هذه الجزية . وكانت الجزائر فى معظم هذه الحروب تخرج منتصرة على هذه القوى الاوربية .

وكان موقع الجزائر الممتاز والاستراتيجى على ساحل البحر المتوسط قد جعل هذه المنطقة محط أنظار الدول الاوربية ، وخصوصا فرنسا بعيد قيام الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩ وحاجة الشعب الفرنسى الى القمح الجزائرى ، فراح زعماء الثورة يقيمون علاقات الود والصداقة مع شعب الجزائر حتى يضمنوا الحصول على المواد الغذائية من هذا القطر الجزائرى ، ومن حسن حظ الفرنسيين أن حاكم الجزائر الملقب بالداى قد أقام علاقات حسنة مع الفرنسيين ، واستمرت علاقات الود هذه حتى أوائل القرن التاسع عشر .

لكن بحلول القرن التاسع عشر تغيرت الاحوال ، وتبدلت الامور ، فلم تعمر علاقات الود والصفا بين الجزائر وفرنسا لاسباب تعددت ، صراعات دولية استجدت خاصة وأن فرنسا تسعى لبناء امبراطورية

---

(١) Shaler, William : Sketches of Algiers, Boston, 1826, P. 18.

(٢) أبو القاسم سعد الله ، ابحاث وآراء فى تاريخ الجزائر ، القسم الأول ، الجزائر ١٩٨١ ، ص٢٤٨ .

فرنسية خارج أراضيها ، ووضعت الجزائر كامتداد طبيعى لهذه الامبراطورية ، فساءت العلاقات بين حكام البلدين عندما طلب الداى فى الجزائر من الحكومة الفرنسية سداد مبلغ مليون فرنك كان قد أقرضها لهم لشراء قمح من ولايته ، وجاء رد نابليون برفض تسديد هذا المبلغ ، بل وهدد بقطع العلاقات مع الجزائر ، وضربها بالمدافع اذا أصر الداى على طلب سداد هذا القرض •

تصادفت هذه لتطورات مع ازدياد النشاط البحرى الاسلامى فى أوائل القرن التاسع عشر ، وجهات المسلمين ضد سفن الاوربيين • وخشيت بريطانيا على مصالحها وعلى طرق مواصلاتها فى الشرق ، وتجاوبت معها بقية الدول الاوربية ، وانعقد مؤتمر فيينا لبحث أوضاع القارة الاوربية بعد هزيمة نابليون ١٨١٥ وكان موضوع الجهاد البحرى الاسلامى من المسائل الهامة التى شغلت بال أوربا ، وطالب فرسان القديس يوحنا فى مالطة باعادة الجزائر اليهم حتى يتخذوها كرأس حربة اضرب المقاومة الاسلامية ولاجهاض أية حركة ضد سفن المسيحيين وللقضاء على ما أسموه بالقرصنة البحرية •

وقدم الاميرال سيدى سميث (Sydney Smith,) قائد الاسطول الانجليزى فى البحر المتوسط مذكرة الى مؤتمر فيينا ، طالب فيها بوضع حد للقرصنة البحرية عن طريق القيام بعمل أوربى جماعى لتحطيم حكومات شمال أفريقيا ، واقامة حكومات أخرى محلها ، وتدمير سفن المسلمين ، والقضاء على كل أعمال القرصنة ، كما اقترح بأن يتولى قيادة هذه القوة الاوربية الجماعية ولقد كون هذا القائد الانجليزى بالفعل جمعية أطلق عليها اسم جمعية محاربة القرصنة ، كما أسس جمعية أخرى تحت اسم جمعية محاربى الرقيق الابيض فى أفريقيا ، وبذل سيدنى سميث جهدا كبيرا من أجل أن يستصدر المؤتمر قرارا لتحقيق أهدافه لكن حكومته بالذات فضلت السياسة التقليدية التى تبقى على حكومات شمال أفريقيا بشكلها الحالى ، وحتى لا تضعف هذه الحكومات فتصير فريسة أمام الفرنسيين ، واكتفى المؤتمر فى النهاية بوضع بعض المبادىء العامة التى تحرم الرق والقرصنة •

وبعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ، بدأ تدخل الدول الاوربية فى شئون منطقة شمال أفريقيا حيث أنه فى نفس العام أرسلت الولايات المتحدة

الامريكية أسطولا لكى يجبر داى الجزائر على وقف المطالبة بالجزية السنوية ، ووقف عمليات تفتيش السفن الامريكية وغيرها ، كما قام هذا الاسطول الامريكى بتحطيم سفن الريس حميدو أحد زعماء الجهاد الاسلامى ، وأبرمت الولايات المتحدة معاهدة مع حاكم الجزائر ، جددت بعد ذلك عدة مرات ، وعلى أثرها ساد السلام بين امريكيين وحكام الجزائر حتى عام ١٨٣٠ (١) .

وشاركت بريطانيا فى عملية الحصار البحرى لسواحل الجزائر بقصد ارهاب المسلمين واجبارهم على فك أسر المسيحيين ، واحترام قوانين الملاحة . وشاركت أساطيل دول أوربية أخرى مثل هولندا فى المضمار من أجل القضاء على الجهاد البحرى الاسلامى .

وازاء هذا العدوان السافر على سيادة والى الجزائر ، جاء رده بالقبض على عدد من الاوربيين ، كما طرد القنصل البريطانى من مدينة الجزائر ، فقامت بريطانيا بارسال أسطولها الذى دخل ميناء الجزائر ، وفرض شروطا قاسية على الداى ، منها ضرورة الاعتراف بانهاء الرق ، وعدم أسر المسحيين واسترقاقهم ، بل ورد الاسرى من الاوربيين ورفض الداى هذه الشروط القاسية ، فأطلقت المدفعية البريطانية النار على القطع البحرية الاسلامية ، وألقى البريطانيون حوالى ٢٤٫٠٠٠ قذيفة على الاسطول الجزائرى ، واضطر الداى أمام هذا الهجوم الى اطلاق سراح الاسرى الاوربيين ، وتضايق الشعب الجزائرى المسلم من جراء هذا التصرف ومن استسلام الداى لاوامر البريطانيين ، فقام الناس بقتله ، واختاروا الداى حسين بدلا منه .

ولم تتوقف محاولات الدول الاوربية للقضاء على الجهاد البحرى الاسلامى ، ولم يعقد مؤتمر أوربى فى ذلك الوقت الا ويكون موضوع الجهاد الاسلامى من أهم البنود التى تناقش ففى مؤتمر لندن عام ١٨١٦ عرضت قضية القرصنة ، والجهاد الاسلامى البحرى ، لكن رفض المندوب الفرنسى القرارات التى تخول لبريطانيا الحق فى تقوية نفوذها فى البحر المتوسط (٢) .

---

(١) انظر جلال يحيى ، السياسة الفرنسية فى الجزائر ، ١٨٣٠ — ١٩٦٠ (القاهرة ١٩٥٩) ، ص ٥٤ .

(٢) جلال يحيى ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

وفى مؤتمر اكس لاشبيل لعام ١٨٨١ تمت مناقشة مسألة القرصنة البحرية وأظهرت روسيا استعدادها للاشتراك فى القوة الاوربية لمكافحة القرصنة ، وكان هـذا الاستعداد الروسى من العوامل التى زادت من مخاوف انجلترا وفرنسا بسبب خروج الروس الى البحر المتوسط لكن الدولتين اتخذتا موقفا موحدا تجاه الخطر الروسى ، واقترحت فرنسا أن تتوسط الدولة العثمانية لدى حاكم الجزائر للقضاء على القرصنة البحرية . كما طالبت الدول الاوربية من الداى أن يقدم وثيقة رسمية يتعهد فيها بالغاء الرق ، والتخلى عن حقه فى تفتيش السفن الاوربية ، لكن الداى أصر على حقه فى القيام بعملية زيارة السفن حفاظا على سلامة دولته ، ورغم تهديد انجلترا وفرنسا للمسلمين ولحكومة الداى فان هذه المظاهرات البحرية لم تحقق الفائدة المرجوة .

وفى عام ١٢٨٤ ضرب الاسطول البريطانى مدينة الجزائر بحجة أن الداى سجن بعض الاهالى الذين يخدمون القنصل البريطانى ، وخشيت فرنسا من سقوط الجزائر تحت قبضة بريطانيا فراحت تدعم نفوذها هناك ، وأخذت تتحين الفرص لتحقيق أغراضها الاستعمارية فى هـذه الولاية الاسلامية .

وسوف ندرس تطورات الاحداث ، وعلاقات فرنسا بالجزائر ، والظروف التى أدت الى احتلال فرنسا للجزائر ، والمقاومة الجزائرية لهذا الاستعمار الفرنسى ودور الامير عبد القادر الجزائرى وأتباعه من الصوفيين فى مقاومة هذا التوسع الفرنسى حتى استسلام الامير وأتباعه فى عام ١٨٤٧ .

تطور العلاقات الفرنسية الجزائرية :

تعرضت فرنسا أثناء الثورة لازمة اقتصادية حادة لانها حاربت كل دول القارة الاوربية ، وأنفقت الكثير من مواردها فى هـذه الحرب ، ولم تجد العوض الا فى صـديقها داى الجزائر الذى أقرض الفرنسيين كميات كبيرة من الحبوب واللحوم والجلود كما سمح لهم بالتموين من موانى الجزائر ، ولكن فى عام ١٧٩٣ حدث نوع من الفتور فى العلاقات بين الدولتين ، فأوقف الداى التعامل مع الوكالة الفرنسية التى صارت عاجزة عن استيراد الحبوب من الجزائر (١) .

وفى عام ١٨٠١ وقع نابليون معاهدة مع حـاكم الجزائر نصت على ضمان سداد الديون الجزائرية ، لكن حدث تصادم من جديد بين السفن الفرنسية والجزائرية ، وبدأ نابليون يستخدم اسـلوب التهديد للداى ، وأخذ يجمع معلومات من السائحين عن أفريقيا والجزائر ، وقد اختلفت الاراء حـول تفكير نابليون فى حملة لفتح الجزائر ، الا أن جـوليان يستبعد هـذه الفكرة ويرى أن نابليون كان مهتمـا بأوربا ، وكانت تجربته الفاشلة فى مصر ماثلة أمام عينية . وهذا ما جعل الاجراءات التى اتخذها ضد الداى مجرد تهديد ووعيد ، وليست احتلال أو اسـتقرار بالجزائر (٢) .

وفى عام ١٨١٥ بدأت صـفحة جديدة فى علاقات الدولتين ، وعينت فرنسا قنصـلا جديدا لها بالجزائر هـو ديفال الذى أوكلت اليه مهمة تسوية الديون مع الداى ، ولما كانت الحكومة لا ترغب فى تبادل مكاتبات مع الداى فى هذا الخصوص ، فقد كلفت القنصل ديفال بشرح الموقف ، وحاول ديفال فعلا أن يشرح وجهة نظر حكومته لكن الداى رفض هذا التفسير . وفى أثناء اللقاء الذى تم بين القنصل والداى فى يوم ٢٩ من

(١) Hardi, G. : Histoire des Colonies Francaise, Paris 1929, P. 150.

(٢) Julien, Ch. A. : Histoire de l'Algerie Contemporaine, Paris, 1964, P. 22.

ابريل ١٨٢٧ بمناسبة عيد الاضحى حدثت مشادة انتهت بأن أشاح الداى فى وجه القنصل بكشاشة الذباب ، فخرج ديفال غاضبا ، وكتب تقريرا الى حكومته يشرح الاهانة التى أصابت شرف فرنسا .

وفى ١٦ يونية ١٨٢٧ أرسلت فرنسا أربع سفن حربية بقيادة الكابتن كولليه (Collet) يحمل انذارا للداى ، ويطلب ترضية كاملة عما لحق بشرف فرنسا من اهانة ويعلق الزعيم النمساوى مترنخ (Meternich) على ذلك بأنه ليس من المعقول أن تحرك فرنسا هذا الجيش الضخم ، وأن تصرف من خزانتها هذا المبلغ الضخم (١٥٠ مليون فرنك) من أجل ضربة مروحة كما يقال (١) .

رفض الداى مطالب فرنسا الغريبة والتى تتمثل فى دفع تعويضات لفرنسا ، واعلان الداى أن حكومة فرنسا قد سددت كل التزاماتها المالية للداى . وحاصرت السفن الفرنسية سواحل الجزائر لمدة ثلاث سنوات دون أن يحقق الحصـــار أية نتائج ايجـابية (من ١٦ يونية ١٨٢٧ الى ١٤ يونية ١٨٣٠) ولكن كلف هذا الحصار فرنسا مبلغ سبعة ملايين فرنك فى كل عام علاوة على الخسائر التى أصابت التجارة الفرنسية ، وفشلت كافة المحاولات الفرنسية لاجبار الداى على قبول الشروط الفرنسية ، وأخيرا قررت الحكومة الفرنسية تجهيز حملة الجزائر ، وصدرت الاوامر بتكوين ثلاثة لجان لاعداد الحملة من أجل الانتقام للاهانة التى لحقت بشرف فرنسا ووصفتها بأنها حملة مسيحية على بلاد البرابرة المســلمين وأنها فى صالح كل العالم المســيحى للقضــاء على القرصنة ، وتأمين المواصلات البحرية والتجارة فى البحر المتوسط .

والسؤال الآن : ما هى الأسباب الحقيقية لتلك الحملة على الجزائر لقد كانت فرنسا قبل اعلان الحملة تعانى من أزمات داخلية ، وكانت على وشك ثورة جديدة فى يونية ١٨٣٠ . وبالفعل قامت هذه الثورة ، وأسقطت شارل العاشر وجاءت بلويس فيليب الذى اتبع نفس السياسة السابقة ، وكانت الحكومة الجديدة ترغب فى أن يشـعر الشعب بأن الدولة تدافع عن شرف الامة الفرنسية الذى أهانه الجزائريون ــ كذلك خشى شارل العاشر من قوة الجيش وسعيه نحو اسقاط النظام فدبر عملية

---

(١) Ibid, P. 38.

ارسال الجيش الى طولون استعدادا للمعركة لمجيدة على الساحل الاخر من البحر المتوسط • ولقد لخصت صحيفة لومنينتور (Le Moniteur,) أسباب الحملة فيما يلى :

اولا : رفض الداى السماح بامتيازات لفرنسا وهدم كل الحصون والمؤسسات وتوابعها التى كانت لفرنسا •

ثانيا : حصلت فرنسا على امتياز صيد المرجان على الساحل الجزائرى مقابل دفع ٦٠ ألف فرنك سنويا ، ولكن الداى طلب بعد عامين أى فى عام ١٨١٩ من الفرنسيين دفع ٢٠٠ ألف فرنك ، هذا بالاضافة الى سماح الداى لكل الدول الاوربية بصيد المرجان •

ثالثا : رفض الداى اعطاء اجابة مقنعة عن حجز سفينة فرنسية فى عنابة •

رابعا : اعلان الداى لكل من فرنسا وانجلترا فى عام ١٨١٨ بأنه سيواصل نظام الاسترقاق ضد الدول الاوربية اذا لم توقع معاهدات معه•

حاول الفرنسيون اضعاف معنويات سكان الجزائر ، فقاموا بطباعة منشور باللغة العربية ، ارسلوا منه ٤٠٠ نسخة الى قنصلهم فى تونس لتوزيعها على أهل الجزائر ، وفيه يدعى الفرنسيون أنهم قادمون لمحاربة الاتراك ، وانهم جاءوا لحماية الاهالى ، والاحترام دين الاهالى وعاواتهم، وطلبوا من الاهالى التعاون معهم ضد الاتراك (١) •

وتحركت الحملة من ميناء طولون فى الثلاثين من مايو عام ١٨٣٠ ، ووصلت الى الجزائر ، ونزلت فى سيدى فرج التى تبعد مسافة خمسة وعشرين كيلو مترا غربى مدينة الجزائر • واستولى الفرنسيون على المعسكر الجزائرى ، فى أسطا ، وانفتح الطريق الى مدينة الجزائر ، وأملى القائد الفرنسى شروطا قاسية على الداى وهى تقضى بما يلى :

---

(١) انظر نص البيان فى ابو القاسم سعد الله : ابحاث وآراء فى تاريخ الجزائر ، ص • ص ٢٦٦ — ٢٦٧ •

وانظر — الغزو الفرنسى للجزائر فى وثيقة أمريكية معاصرة ، مقال الدكتور منصور أحمد بوخمسين ، حوليات كلية الآداب — جامعة الكويت — الحولية التاسعة الكويت (١٩٨٨) •

أولا : تسليم حصن القصبة وجميع حصون مدينة الجزائر .

ثانيا : يضمن القائد الفرنسى حرية الداى وممتلكاته الشخصية .

ثالثا : يترك للداى حرية الاقامة فى المكان الذى يريده .

رابعا : يتعهد القائد العام لكل الجنود الانكشاريين بنفس المعاملة ونفس الحماية .

خامسا : ضمان حرية الشعب الجزائرى فى أداء شعائره الدينية .

وكان الداى حسين قد صمم على المقاومة وأخذ يستعد لملاقاة الفرنسيين ، وجمع حوالى ستين ألف مقاتل لكن الداى ارتكب بعض الاخطاء منها تعيين صهره ابراهيم أغا رئيسا للقوات التى ستواجه الفرنسيين وكان ابراهيم قليل الخبرة ، وليست لديه الكفاءة التى تؤهله الى مثل هذا العمل ، كما أن الداى أبقى بعض المتطوعين من القبائل بعيدا عن المدينة توفيرا للنفقات ، كذلك رفض ملاقاة الفرنسيين عند النزول برا وانتظرهم فى الحصون التى تحمى مدينة الجزائر لكل الفرنسيين ضربوا عليه حصارا محكما ، وسقط الداى وقبل الشروط الفرنسية التى أملاها عليه الجنرال الفرنسى برمون وذلك فى الرابع من يولية ١٨٣٠ ، وغنم الفرنسيون ما قيمته خمسة وخمسين مليونا من الفرنكات وهذا يزيد عن نفقات الحملة بما يجاوز أثنى عشر مليونا من الفرنكات (١) .

واضطر الداى الى مغادرة الجزائر هو وأسرته الى نابلى ، ولم تكن فرنسا قد قررت الخطة التى ستسير عليها فى الجزائر لكنهم قاموا بنزع سلاح الانكشارية ، كما أرسل برمون حملة للاستيلاء على المرسى الكبير ووهران وعنابة ، ولقى مقاومة عنيفة من المواطنين هناك وخصوصا فى مناطق غرب الجزائر وشرقها .

وبعد رحيل الداى حسين وقع عبء المقاومة على الشعب الجزائرى نفسه ، وتمثل هذا النضال وذلك الكفاح فى شخصية الامير عبد القادر الجزائرى . فلما ساءت أحوال الجزائر ، واضطرب الامن بين الناس

---

(١) صلاح العقاد ، المغرب العربى ، (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ص ١٠٣ .

وتوقف دولاب العمل ، وتعطلت الزراعة وعمت الفوضى ، اجتمع العلماء والاعيان للنظر فى من اجتمعت فيه شروط الامارة لكى يبايعوه ، ولم يجدوا الا الرجل الجليل الصالح الشيخ محى الدين ، وألحوا عليه لقبول البيعة بامارة ، فأبى قبولها لكنه قبل القيام بأمر الجهاد ، فرضى القوم بذلك •

المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسى :

وبعد قبول الشيخ أمر الجهاد بداية المقاومة الجزائرية ، ولذا فان هذا الرجل أصبح بمثابة الاب الروحى للثورة الجزائرية الاولى •

وكانت أسرة الامير عبد القادر قد استقرت فى غرب الجزائر ، وهى تنتسب الى الاصل العربى والى النسب النبوى الكريم عن طريق ادريس بن عبد الله الذى أسس مدينة فاس فى مراكش ، وكان الشيخ محى الدين قد استقر فى أعوام ١٧٧٦ حتى عام ١٨٣٤ فى القيطنة (al Qaytana) حيث بنى زاوية وأخذ ينشر مبادىء الطريقة القادرية والتى ستعلب دورا كبيرا فى مقاومة التوسع الفرنسى •

وفى العشرينات من القرن التاسع عشر بدأت السلطات الجزائرية تشك فى نوايا الشيخ محى الدين ، وفكرت فى أنه ينوى القيام بعمل عسكرى مثل التيجانية فى الجنوب ولهذا طلب الداى من الشيخ محى الدين التوجه مع عائلته الى وهران ، وهناك عاش الشيخ مع أسرته تحت الرقابة الشديدة فترة من الزمان • ولما أحس الداى أنه لا يفكر فى أى غزو عسكرى ، أطلق سراحه فقام الشيخ محى الدين بتسليم مسئولية الزاوية الى ابنه الاكبر محمد سعيد ، وذهب الشيخ الى مكة ومعه ابنه عبد القادر وذلك فى عام ١٨٢٥ عن طريق تونس ثم الى الاسكندرية بالسفينة (١) •

وزار الشيخ محى الدين وابنه عبد القادر مدينة دمشق ، وتوقفا فترة لدراسة كتاب الشيخ الكسبرى فى الجامع الاموى ، كما التقيا بالشيخ النقشبندى ضياء الدين خالد الشهر زورى ، ومكث الاثنان معه

---

(١) محمد بن عبد القادر الجزائرى ، تحفة الزائر فى تاريخ الجزائر والامير عبد القادر ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٩٤١ •

فترة من الزمان ، ويقال أن عبد القادر أخذ عنه ورد الطريقة النقشبندية . وفى بغداد أعطى الشيخ محمد الجيلانى شيخ الطريقة القادرية ، وأحد أحفاد مؤسسها بردة القادرية الى الشيخ محيى الدين وابنه عبد القادر وفى عام ١٨٢٨ عاد الشيخ محى الدين وابنه عبد القادر من الشرق ، وتوقفا فى مدينة الجزائر لزيارة الداى الذى قابلهم بكل حفاوة واحترام ، وكان الشيخ حريصا على ابقاء علاقات الود مع الخلافة العثمانية (١).

وبعد وصولهما بعامين الى القيطنة تغير الوضع السياسى الجزائرى بشكل أساسى حيث سقط الحكم العثمانى ، واحتل الفرنسيون مدينة الجزائر وانتهت آمال الشيخ عبد القادر وابنه فى العيش فى سلام ، ولذا التف الناس حول الشيخ وابنه . ومن هنا بدأ لتفكير فى الجهاد ضد المسيحيين مثلما حدث فى بلاد المغرب بشكل عام فى القرن السادس عشر ، وبدأ البحث عن الشخصية التى ستعلب دور بطل الاسلام أمام هذا الغزو الصليبى ، وكان هناك شبه اجماع حول اختيار الشيخ محى الدين رئيس الطريقة القادرية . وكان هذا التأييد مؤكدا من كل فئات الشعب فى غرب الجزائر . وفى البداية رفض الشيخ محى الدين تولى القيادة لانه قارب على الستين من عمره ، ولم يكن رغب القيام بالدور الذى طلبه الناس منه ، ووافق فى عام ١٨٣٢ على توجيه أمور الجهاد دون الامارة .

وفى مايو ١٨٣٢ دارت معركتان بجوار قلعة وهران مع القوات الفرنسية وفى كل من المعركتين ظهرت شجاعة الامير عبد القادر ومواهبه القتالية ، فكان ذلك نقطة تحول كبرى فى حياة الامير خصوصا بعد أن طعن فرسه ثمان طعنات لكنه ظل واقفا ثابتا حتى جاءه فرس آخر امتطاه وواصل القتال .

أقبل العلماء على الشيخ محى الدين ، وطلبوا قبول البيعة على الامارة لنفسه اذا رغب أو لولده عبد القادر الذى صار محط الانظار . وفكر الشيخ محى الدين فى هذا الامر ثم أشار الى ولده عبد القادر ، وطلب منه الترشيح للامارة ، فقبلها الامير عبد القادر الذى جلس أمام والده وصافح الوالد ابنه قائلا : « انى انا والدك أبايعك على السمع

(١) Martin, B. G. : Moselm Brotherhoods in 19th Century Africa, London 1976, P. 50.

والطاعة والموت والحياة ، وأدعو الله أن يجعل خلاص الجزائر على يديك يا ناصر الدين » (١) •

وكان رؤساء القبائل عندما التقوا فى وهران لاختيار أحدهم لتنظيم وقيادة الحرب ضد الفرنسيين مترددين فى اختيار الامير عبد القادر ابن الشيخ محى الدين ولكن عندما حان موعد الاختيار أعلن أحد مرابطيهم ويدعى سيدى العراش بأنه رأى الشيخ عبد القادر الجيلانى فى المنام واقفا بجوار العرش الخالى ، ولما سأله العراش عمن سيشغل هذا العرش ، أعلن الشيخ عبد القادر الجيلانى أنه الامير عبد القادر ابن الشيخ محى الدين • وفى الحال ركب الشيخ العراش مع ثلاث مائة من الفرسان ، وذهب الى منزل الشيخ محى الدين ، حيث وجد أن الاخير قد شاهد رؤيا مشابهة وأن ابنه سيكون سلطانا على المغرب • وفى صباح اليوم التالى تم اختيار الامير عبد القادر للسلطنة ، واعتقد العرب فى الجزائر أن الشيخ عبد القادر الجيلانى قد ظهر للامير بانتظام ، وعلى هذا فان نجاح الامير عبد القادر ضد الفرنسيين جعله حاميا للطريقة القادرية (٢) •

وحصل الامير على تأييد وتعضيد كل القبائل الكبرى المجاورة لمدينة العسكر ووادى جاريس (Gharis) ، وجاءت الوفود تبايعه وتعلن الولاء له ، وتقبلها الامير تحت شجرة مثلما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يقدم على غزوة الحديبية ضد كفار مكة ، ومثل زعماء الجهاد فى غرب أفريقيا أعلن عبد القادر أنه سيسير على نهج الرسول الكريم فى كل الامور التى يتعرض لها •

وبدأ الامير خطوات سريعة نحو بناء جماعة العلماء ، وصارت دولته تشبه حالة الدولة فى عهد الخلفاء الراشدين ، وعين الامير عبد القادر وزيرا (رئيس وزراء) وسكرتيرا خاصا مع عدد من الاتباع كالحاجب، وناظر الخزينة الذى يشرف على الشئون المالية ، كما أنشأ الاوقاف ، وبدأ فى جمع الضرائب ، كما أنشأ أيضا منصب وزير الشئون الخارجية •

---

(١) الامير عبد القادر الجزائرى ، سلسلة ابطال العرب ، العدد ١٣ ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٥٣ .

(٢) Churchill, C. H. : The life of Abdul Kader, 1867, P. 11.

وقبل الحديث عن صراع الامير مع الفرنسيين نلقى نظرة سريعة على نظام الدولة الذى أسسه الامير وكيفية تمويل جيشــه ، والنظام الذى اتبعه فى الداخل قبل أن يخوض معارك الصراع مع القوى الاجنبية فى الجزائر •

دولة الامير عبد القادر الجزائرى :

يعتبر الامير عبد القــادر الجزائرى من الزعماء القلائل فى تاريخ العرب الحديث الذين تصدوا بجرأة للاستعمار ، وهو من أبرز وجوه المقاومة الجزائرية وأكثرها وعيا وأصالة حيث عكس نضاله روح الامة الجزائرية والاسلامية ، وكان زعيما من طراز جديد لم تعرفه الجزائر من قبل ، فهو لم يكن وريث زعامة سياسية أو ادارية أو عسكرية أو اقطاعية ، بل كان فى البداية رجل زاوية يعيش حياة بسـيطة ، وجاءت ظروف الجهاد والمقاومة لتجعل منه قائدا عسكريا ، وزعيما سياسيا حاول بناء أمة جزائرية قوية تتصدى للاستعمار الاوربى (١) •

وكان الامير عبد القادر يرى أن الجهاد فريضة الى يوم القيامة ، وأن على المسلم أن يجاهد أعداء الاسلام بكل ما أوتى من قوة ومال • وكان الامير متصوفا زاهدا فى الدنيا ومتاعها ، ولكن ظل الجهاد بالنســبة للامير عبد القادر واجبا مقدسا ، فلم يترك مناسبة الا وحث الناس فيها على الجهاد لانه كان أشد الناس تمسكا بدينه ، وأكثرهم تقيدا بمبادئه الى جانب جهوده المتواصلة والمخلصة لنشره بين مختلف طبقات الشعب الجزائرى • وعمل الامير بكل اخلاص وأمانة على تقوية التعبئة النفسية بين أفراد شعبه وجيشه ، واعتمد على الجهاد لتحقيق هذه الغاية حيث كان الجهاد أنسب الطرق لحماية امارته الناشئة أمام تحالف الاعــداء والصليبيين •

وعمل الامير على تحسين أوضاع المجتمع القبلى الواسع الانتشــار فى المقاطعة الغربية التى تعيش أساســا على عرف القبيلة وتقاليدها • وسعى الى جمع القبائل ضــمن دولة حديثة ، وشرع فى اعادة النظر فى الانظمة والقوانين ، وكانت العصبية القبلية عاملا ســاعد على تقوية معنويات جيش الامارة ، ودعم الثقة المتبادلة بين الحاكم والقبائل أو بين القبائل فيما بينها •

---

(١) محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، ص ٣٢٧ .

ووجد الامير عبد القادر الجزائرى أنه من الضرورى الضرب على أيدى كل من المسلمين الجزائريين الذين لا يعترفون بسلطانه لانه يعرف أن القبائل مترددة وتحترم القوة أكثر من أى شىء آخر ، وحاول الابقاء على ولائها له ليس فقط عن طريق استمالة عواطفها الدينية بل أيضا بمحاولة استعراض القوة •

وأنشأ الامير مجلسا استشاريا من كبار العلماء ، يرأسه رئيس القضاة ، كما أنشأ الدواوين وحدد لكل منها اختصاصها ، كما ألغى الضرائب السابقة التى كان يفرضها العثمانيون ، وأحل محلها الضرائب المرتبطة بالشريعة الاسلامية مثلما فعل الشيخ عثمان بن فودى فى بلاد الهوسا (١) •

وأدرك الزعيم الجزائرى أن النضال لا يمكن أن يتحقق الا اذا تحققت الوحدة الجزائرية ، ولذا بدأ العمل على وحدة الشعب الجزائرى كشرط ضرورى لنجاح المقاومة ، وخلق وعيا جديدا فى حياة المجتمع الجزائرى ، يتمثل فى شعور الانتماء الى مجتمع يتجاوز حدود القبيلة ، أو اتحاد القبائل أو الاقليم : ولم يعد الامير مؤسس سلالة شبيهة بسلالات العصور الوسطى ، بل صار أهم شىء عنده مقاومة الغزو الفرنسى ، واعتمد فى هذه المقاومة على العاطفة بأراضى الاجداد ، ولذا فعندما بدأ الفرنسيون الحرب مع الجزائريين أحسوا أنهم لا يحاربون رجلا طموحا ، بل يحاربون شعبا جديدا ، ودولة تبنى على أساس جديد تماما (٢) •

ويحاول بعض المؤرخين عقد مقارنة بين كفاح هذا الزعيم الجزائرى ، وبين كفاح زعماء المغرب كالمرابطين والموحدين الذين قاموا بجهادهم ، على أسس دينية • كمال يحاول البعض الاخر ربط حركته فى الجزائر بالدور الذى قام به محمد على فى مصر ، لكن مهما اختلفت الاراء وتعددت المقارنة بين كفاح هذا الزعيم وغيره من الزعماء المسلمين ، فانه يمكن القول أن كفاح الامير عبد القادر من نوع خاص يختلف فى طبيعته عن كل أنواع الكفاح فى شمال أفريقيا ، فلقد استطاع الامير عبد القادر

(١) Martin, B. G. : Op. cit,, P, 55,

(٢) Revue d'Histoire Moderne et contemporaine, 1967, P. 133.
Martin, B. G., : Op. Cit., P. 55,

اخراج الوطنية من المفهوم النظرى الى ميدان التطبيق وصارت الوطنية فى نظره تعنى القوى المحاربة ضد العدو لاجنبى ، ولذا فقد بذل كل جهوده من أجل توحيد القبائل المتنافرة ، وكون منها دولة حديثة (١) .

وآمن الامير بضرورة تطوير وطنه ، فأقام دعائم دولة حديثة عمادها سلم ادارى تصاعدى مسئول قاعدته الشيخ وقمته الخليفة الذى هو مسئول مباشرة أمام الامير نفسه ، وساند هذا النظام الادارى بنظام محكم يوفر التعليم والقضاء والمواصلات والتسليح والمخابرات .

اعتمد الامير عبد القادر على الجيش باعتباره الحصن المتين الذى يساعده فى الدفاع عن ديار المسلمين ضد هؤلاء الغزاة الاوربيين ، فقسم جيشه الى قسمين ، يضم القسم الاول الجنود النظاميين ، ويضم القسم الثانى الجنود المتطوعين الذين يتسلحون بأى شىء يجدونه فى أرض المعركة ، كما ينفقون على تسليحهم من حسابهم الخاص ، وكان الجنود المتطوعون غالبا من الفرسان المسلحين بالبنادق والمسدسات وكان الامير يعتمد على هذه القوى غير النظامية أثناء الهجوم المفاجى على القوى الاوربية (٢) .

أما جيش الامير النظامى فكان ينقسم بدوره الى ثلاثة عناصر هى المشاه والمدفعية والفرسان ، وقد أطلق على هذه القوة النظامية الجيش المحمدى أو الجيش الاسلامى ، واتخذ هذا الجيش شعار « الصبر مفتاح الفرج » (٣) .

وكان الامير يحصل على السلاح من البريطانيين فى تونس والمغرب وفى عام ١٨٣٥ كتب الامير خطابا الى القنصل البريطانى فى تطوان يعلن فيه عن رغبته فى تحسين العلاقة مع البريطانيين ، وأنه على استعداد للاتجار معهم فى أى ميناء مناسب فى غرب الجزائر مقابل الحصول على الاسلحة (٤) .

---

(١) أبو القاسم سعد الله ، ابحاث وآراء فى تاريخ الجزائر ، ج ١ ،

(٢) Martin, B. : Op. Cit., p. 55.

(٣) محمد عبد القادر ، تحفة الزائد ، ص ١٩٤ .

(٤) أبو القاسم سعد الله ، ابحاث وآراء فى تاريخ الجزائر ، ص ١٤٠ .

ولما فشــل الامير فى الحصول على السلاح من البريطانيين الذين رفضوا أيضا الوساطة بينه وبين فرنسا ، أنشأ قاعدة صناعية لكى يزود جيشه بأهم المواد اللازمة للجيش ، كما أنشأ مصانع فى تلمسان ومسكرة ومليانة ، وبنى ترسانة حربية فى تاردمت لانتاج الصواريخ والاســلحة الاخرى ، كما أنشا مصانع لانتاج الطلقات البارودية فى أماكن أخرى . وكانت القوة البشرية الفنية التى تعمل فى مصــانع الاســلحة تأتى من أسرى الحرب الفرنسيين ويحدثنا صــاحب التحفة عن الفنيين الاســبان الذين ساعدوا فى انتاج العديد من الاشياء اللازمة للجنود مثل البارود والاسلحة وزى الجنود بالاضافة الى اصلاح المعدات الحربية (١) .

وقد اختلف حجم القوات التى كانت فى حوزة الامير من معركة الى أخرى حسب طبيعة كل معركة حربية مع الفرنسيين ، وســوف نناقش قوات الامير حسب كل معركة أثناء هذا الصراع مع هذه القوى الاجنبية.

ويمكن أن نميز فى كفاح الامــير عبد القادر مرحلتين لكل منهمــا سمات خاصة ، تبدأ المرحلة الاولى منذ انتخابه ومبايعته فى عام ١٨٣٢ وتستمر حتى عام ١٨٣٩ ، وقد بلغت قوة الامير ذروتها فى هذه الفترة ، وسيطر على ثلثى الجزائر ، أما المرحلة الثانية فتبدأ بعد نقض الفرنسيين لشروط الصلح فى عام ١٨٣٩ وتستمر حتى استسلامه فى عام ١٨٤٧ .

وبعد مبايعة الامير عبد القادر اتخذ من مدينة المعســكر مقرا له ، ونظم شئون امارته ، واســتولى على تلمسان ، وفرض حصــارا على الفرنسيين فى وهران ومستغانم ، وأصدر الامير عددا من البيانات الى الشــعب الجزائرى داعيا اياهم الى اليقظة والذود عن أوطانهم ضــد المعتدين ، ومن تلك البيانات ما جاء فى قوله « انكم أيها الجزائريون قد أصبحتم الان تحت رحمة رومى ، يقاضيكم رومى ، ويدير شــئونكم رومى ، ان الرومى قد انتهك مساجدكم ، وآخذ أحسن أراضــيكم ، وأعطاها الى بنى جنسه ، واشترى أعراض نسائكم . ان يوم يقظتكم قد حان ، هلموا جميعا عند سماع صوتى ، أيها المسلمون . ان الله قد وضع سيفه الملتهب فى يدى ، واتنا جميعا سنمضى الى الامام ، ونروى حقول وطننا بدماء الكفار » (٢) .

---

(١) محمد عبد القادر ، تحفة الزائر ، ص . ص ٣١٣ — ٣١٥ .

(٢) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الثانى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ ، ص ٤٢ .

الصراع بين الامير عبد القادر والفرنسيين :

بدأ الفرنسيون يراقبون ازدياد قوة الامير عبد القادر ولكنهم لم يستطيعوا التدخل المباشر ضـــده نظرا لعدم وجود القوة الكافية لديهم عقب احتلالهم الجزائر • وكانوا يخشـــون التوغـــل فى الداخـــل حتى لا يدخلوا فى مغامرة غـــير مأمونة العواقب • وبعـــد أن تسلم الجنرال داميشال قيادة القوات الفرنسية فى مدينة وهران فى أواخر ابريل عـــام ١٨٣٣ ، أحس بالخطر المحيط بمدينته نتيجة زحف قبيلة الغربة فخرج بقواته وأوقع بها خسائر فادحة ، واحتل مستغانم ، وبدأ الاشتباك مع قوات الامير عبد القادر فى موقعة تامزوار • لكن الامير عبد القادر كان قد استولى على تلمسان ، وحاصر الفرنسيين فى وهران ومنع الاهالى من التعامل تجاريا معها • ولذا حاول الجنرال داميشال التفاوض معه لتخفيف هـــذه الازمة الاقتصادية ، وبدأت المفاوضـــات بين مندوب عبد القادر وممثلى الفرنسيين فى وهران •

معاهدة داميشال فى ٢٦ فبراير ١٨٣٤ :

بدأت المباحثات لعقد هذه المعاهدة بين الامير عبد القادر والفرنسيين بعد أن أحس الفرنسيون بخطورة محاصرة الامير لهم فى وهران ، فأرسل داميشال رسالة الى الامير عبد القادر يعرب فيها عن رغبته فى التفاوض مع الامـــير الذى كلف وزير خارجيته الميلـــود بن عـــراش لاجـــراء المفاوضات (١) •

وكانت مقترحات الجنرال الفرنسى داميشال تتلخص فى وقف الحرب بصـــورة نهائية بين الفرنســـيين والجزائريين ، واطلاق سراح الاسرى الفرنسيين واعادة الهاربين منهم فورا ، واعتبار التجـــارة حرة فى كافة المـــدن •

ووجد الامير فى هذه المقترحات ما يصلح لعقد معاهدة ، وفعلا أرسل الامير برأيه الذى وافق عليه داميشال ووقع الطرفان معاهدة ٢٦ فبراير ١٨٣٤ •

---

(١) صلاح العقاد ، المغرب العربى ، مرجع سابق ، ص ١١١ •

وقد نصت هذه المعاهدة على :

المادة الاولى : توقف الحرب بين الفرنسيين والعرب منذ توقيع المعاهدة ولن يدخر الامير عبد القادر والجنرال داميشال جهدا للحفاظ على الصداقة التى يجب أن تكون بين شعبين حكم عليهما القدر أن يعيشا تحت نفس السلطة .

المادة الثانية : احترام العادات والدين الاسلامى .

المادة الثالثة : اطلاق سراح لاسرى من لجانبين .

المادة الرابعة : حرية التجارة الكاملة والشاملة .

المادة الخامسة يعيد العرب الجنود الفارين من الفرنسيين ، كما يعيد الفرنسيون الجنود الفارين من العرب .

المادة السادسة : اذا رغب أى أوربى فى التنقل داخل البلاد ، فعليه أن يحصل على جواز سفر موقعا عليه من ممثلى الامير والقائد العام الفرنسى حتى يجد الحماية فى كل اقليم فى الجزائر .

وفى الوقت الذى كان الجنرال داميشال يتفاوض فيه مع الامير عبد القادر ، أرسل الى حكومته يفيد بأنه يجرى مفاوضات مع الجزائريين ، وفعلا أرسلت حكومة المارشال سولت Soult بتاريخ ١٩ فبراير ١٨٣٤ أربعة شروط كأساس للتفاوض ولكن عندما وصلت هذه الشروط كانت الاتفاقية قد نفذت بالفعل بكامل بنودها منذ ثلاثة أيام ، وكانت الشروط الفرنسية التى وصلت داميشال تتلخص فى اعتراف الامير بالسيادة الفرنسية مقابل اختياره بيا على وهران وثانيا دفع جزيه سنوية لفرنسا ، وثالثا عدم شراء الامير للاسلحة الا بموافقة باريس ، وآخيرا تسليم الاسرى الفرنسيين دون قيد أو شرط (١) .

واذا ظرنا الى هذه المعاهدة والظروف التى أحاطت بها لوجدنا أنها أول انتصار دبلوماسى للامير حيث اعترفت به كأمير للمؤمنين ، وهو اصطلاح لا يستخدمه الا الخلفاء ذو السلطة الروحية والسياسية ، كما

---

(١) اديب حرب ، التاريخ العسكرى والادارى للامير عبد القادر الجزائرى ١٨٠٨ — ١٨٤٧ ، الجزء الأول ، الجزائر ١٩٧٨ ، ص ١٢١ .

أنها أعطته فرصة من الوقت لكى ينظم امارته ، ويقوى جيشه ، ويضع نهاية لكل الثائرين والمنافسين المحليين • ولم تتوقف الامر عند هذا الحد بل ان الجنرال داميشال وقع معاهدة سرية مع الامير عبد القادر بتاريخ ٢٠ فبراير ١٨٣٥ وفى هذه المعاهدة السرية حقق الامير مكاسب عديدة مثل اعطاء الامير الحرية الكاملة فى شراء الاسلحة دون الرجوع الى حكومة فرنسا ، وعدم رفع التجار الفرنسيين احتجاجهم الى داميشال الذى صرح بأنه قد رخص للامير بالسيطرة على مرفأ أرزيو لتصدير الحبوب التى تنتجها أرضه • كما أن الامير عبد القادر صمم على عدم قبول المعاهدة ما لم تعترف فرنسا بحقه فى احتكار تجارة الحبوب ولقد ذهب داميشال الى أبعد من توقيع الاتفاق السرى حيث أرسل الى الامير عبد القادر بعض الاسلحة والذخائر التى ساعدته على التفوق على رجال القبائل والانتصار عليهم فى موقعة قرب تلمسان فى يوم ١٢ يولية ١٨٣٤ ، وكانت هذه المعركة سببا فى بسط الامير نفوذه على غرب الجزائر ، بل وصار هو السيد الفعلى والشرعى على كل غرب الجزائر عدا وهران ومستغانم وقلعة تلمسان (١) ، وباختصار أظهرت هذه المعاهدة مهارة الامير عبد القادر ودبلوماسيته وذكائه وسعة الاطلاع على أحوال العصر ، كما أنها أثبتت براعته وحنكته فى الدفاع عن مبادىء واضحة ، هدفها الاساسى اجبار العدو على الاعتراف به كممثل للشعب الجزائرى فى أحلك الظروف (٢) •

واعتبر الأمير عبد القادر هذا الاتفاق بمثابة هدنة مؤقتة لحين تنظيم قواته ، وبناء دولته ، ولذا فانه انتهز الفرصة وأخذ يوحد القبائل التى لم تخضع لنفوذه ، وتوسع فى غرب الجزائر ، وأخذ يتطلع الى الشرق ، والى المناطق المحيطة بمدينة الجزائر ذاتها •

وأدرك الفرنسيون أن المعاهدة التى وقعها داميشال كانت فى صالح الجزائريين ، وكان رد الفعل لهذه المعاهدة هو عزل الجنرال من منصبه وتعيين قائد جديد هو الجنرال تريزول حاكما على وهران ، كما أرسلت الحكومة الفرنسية لجنة لدراسة أوضاع الجزائر ، ووضع الحلول لها ، وتشكلت هذه اللجنة من ثمانية أعضاء برئاسة الجنرال بونه

---

(١) جلال يحيى ، السياسة الفرنسية فى الجزائر ، ص ١١٨ •
(٢) ابو القاسم سعد الله ، ابحاث وآراء فى تاريخ الجزائر ، ص ١٣٠ •

وزارت اللجنة مدن الجزائر عدا مستغانم ، وعقدت أربع عشرة جلسة عمل ، واقترحت خلالها بعض الأمور ومنها عدم احتلال الجزائر بالقوة ، بل طالبت باجراء مفاوضات مع بعض الزعماء المحليين والاحتفاظ بمدينة الجزائر العاصمة بشكل دائم •

وبناء عليه فقد أصدرت وزارة الكونت جيرارا Girara أمرا فى ٢٢ يولية ١٨٣٤ بالاحتفاظ بالجزائر ، واختارت الجنرال دروا دارلون Darlon حاكما عاما للجزائر •

وحاول الحاكم العام اقناع ممثليه فى المقاطعة الغربية بالتوصل الى نوع من التفاهم مع الأمير ، لكن تريزول عارض الحاكم العام واعترض على هذا الموقف السلمى تجاه الأمير عبد القادر ، كما كان يرفض الامتيازات الممنوحة للأمير ، وصرح بأن معاهدة داميشال قد زادت من قوة الأمير عبد القادر ، ورفعت من شأنه بين القبائل وكان تريزول مقتنعا بأن القضاء على الأمير عبد القادر أمر محتم ، ولابد من التصدى له وارغامه على الحرب فى المكان الذى تختاره القوات الفرنسية •

ورغم اختلاف وجهات النظر بين الحاكم العام داريون وبين تريزول الا أن الحاكم العام اقتنع فى النهاية بوجهة نظر تريزول وبأن الامير يسعى لتحقيق مصالحة ، وتقوية جيشه ، وتوسيع نفوذه وحدود امارته •

وزاد الامر سوء ما أقدم عليه تريزول من مخالفة للحاكم العام واتصاله برؤساء قبليتى الدوائر والزمالة ، وتوقيع معاهدة التينة معهم فى ١٦ من يونية عام ١٨٣٥ ولقد نصت هذه المعاهدة مع هذه القبائل على اعتراف القبائل بسلطة ملك فرنسا مع التعهد بالخضوع للزعماء المسلمين الذين يعينهم الحاكم العام ، ودفع الضريبة السنوية التى كان تعطيها بايات المنطقة ، وأن تحصر تجارة الأسلحة مع السلطات الفرنسية ، واختيار كل قبيلة رئيسا يتخذ من وهران مقرا له ولعائلته •

ومن الواضح أن هذه المعاهدة قد نصت على اعتراف قبائل الدوائر والزمالة بالسلطات الفرنسية ، ودفع ضرائب لها • وقد ساعدت هذه المعاهدة القائد الفرنسى تريزول على اتخاذ مناطق هذه القبائل ركيزة للهجوم على الامير عبد القادر ، بالاضافة الى احتكار فرنسا لتجارة

الاسلحة مع هذه القبائل ، كما التزمت هذه القبائل بتقديم الدعم العسكرى لمؤازرة الجيش الفرنسى أثناء الهجوم على الامير عبد القادر ، ومن هنا تظهر خطورة هذه المعاهدة على الامير ودولته (١) .

ومن الطبيعى أن يعارض الامير هذه المعاهدة لان تصرفات تريزول تتنافى مع ما التزمت به الحكومة الفرنسية فى معاهدة داميشال ، واعتبر الامير معاهدة التينة نقضا لمعاهدة ٢٦ فبراير ١٨٣٤ ، بل واعتداء على صلاحياته ، وعلى القبائل التابعة له . وبدأ الامير سلسلة من المراسلات مع الحاكم العام الفرنسى ، وتريزول ، وأكد الامير للحاكم العام أنه لن يتوانى فى الدخول فى حرب مع الفرنسيين اذا لم يتراجع ممثله فى وهران عن اجراءاته . كما رفض الامير الاعترف بمعاهدة التينة لانها انتهاك صريح لبنود معاهدة داميشال (٢) . وبدأت الامور تتأزم بين الطرفين . وأخذ كل طرف يستعد لجولة جديدة من القتال .

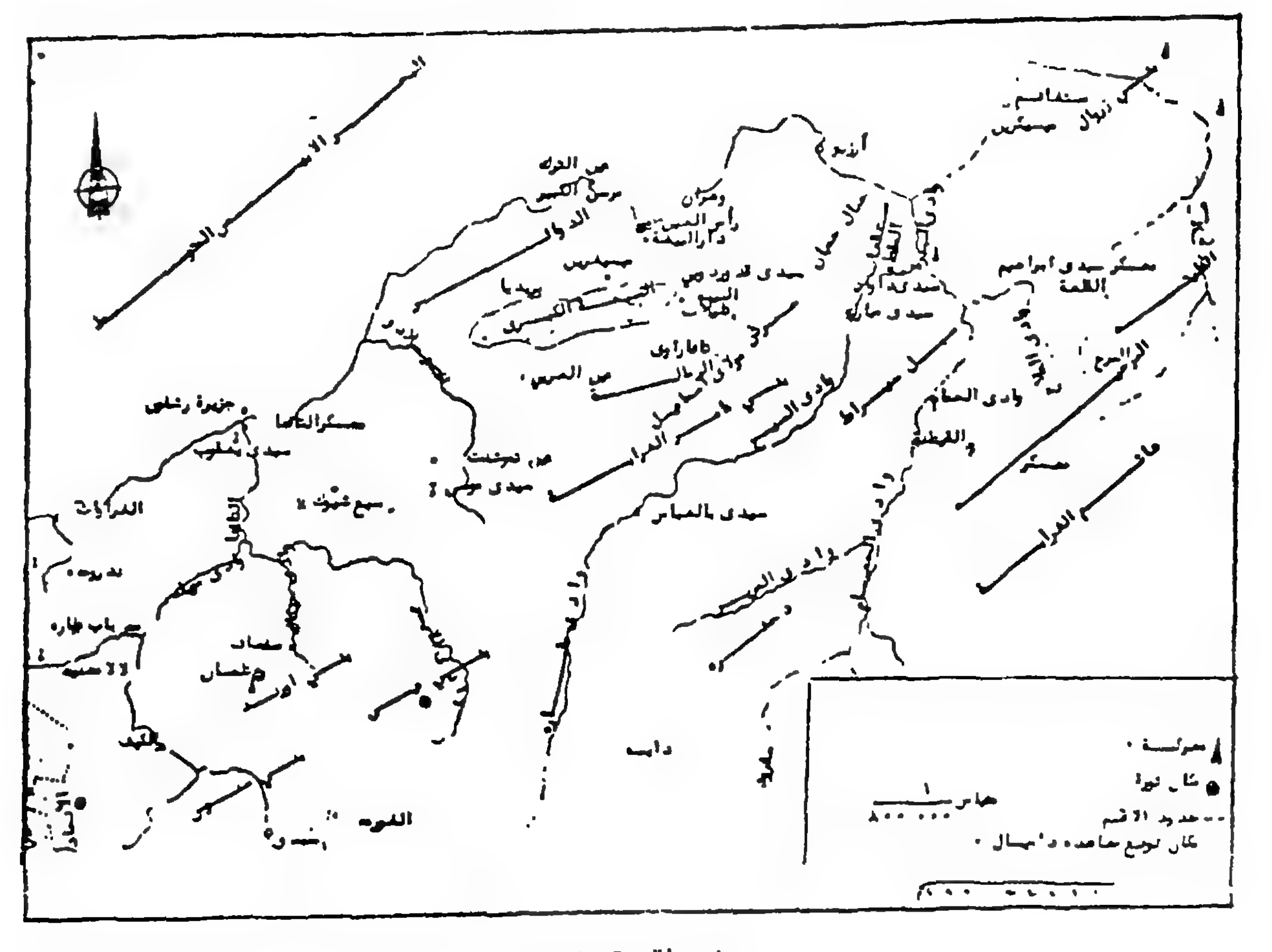
وحاول القائد العام دارلون ارسال المقدم لأمور سيبار فى ١٨ يونية ١٨٣٥ الى تريزول لاثنائه عن القتال ، ولكن قبل أن يصل هذا المبعوث الفرنسى ، كان القتال قد بدأ بالفعـل ، حيث ترك تريزول وهران الى ميسيغرين ثم الى معسكر ، وهاجم قبيلة بنى هاشم لاسر بعض المقاتلين وجمع المحصولات .

تقدم الأمير فى ٢٠ يونيه لمواجهة القوات الفرنسية ، واستطاعت احدى فرق الامير أن تنفذ كمينا لمجموعة فرنسية فى سهل تليلات ، وأعقب ذلك الهجوم على قافلة عسكرية فرنسية كانت فى طريقها الى نهر وهران ، عبر سهل سيراط (٣) وكذا الامير قوة ثانية من ثلاثة آلاف فارس وحوالى ١٥٠٠ من المشاه حول خيام قبيلة بنى هاشم عند نهر السيج ، وفى نفس الوقت تقدمت قوات تريزول وعسكرت فى سهل تليلات بحوالى مسافة تبعد ٢٨ كيلو مترا جنوبى شرق ومدينة وهران . وكان هذا الجيش الفرنسى يضم كتيبة من الفرقة ٦٦ ، وكتيبة من المشاه الافريقية ، والكتيبة الثانية من الرماه الافريقيين ، وثلاث سرايا من الكتيبة البولونية الى جانب

(١) انظر تفاصيل هـذه المعـاهدة فى اديب حرب ، مرجع سابق ، ص . ص ١٦٦ — ١٦٧ .

(٢) ابو العبـاس أحمـد بن خالد النـاصرى ، الاستقصـاء ، ج ٩ ، الدار البيضاء ، ١٩٥٦ ، ص ٤٣ .

(٣) انظر خريطة رقم (١) .



خريطة رقم (١)
وضع البايلك الغربى سنة ١٨٣٤

فصيلة هندسية ورغم كل هذه الاستعدادات فقد شعر الامير بأن الحالة تتطلب سرعة الحركة والتنفيذ حفاظا على جيشه ، وفضل مقابلة تريزول رغم قلة عتاده الحربى وعدم تدريب جيشه على النظام الحديث . وكانت قوة الامير حوالى عشرة آلاف فارس وثمانية آلاف مقاتل غير نظامى و ٥٠٠ؤ جندى من المشاه النظاميين ، وقسم الامير عبد القادر هـذه القوة الى ثلاث وحدات قتالية ، فأصبحت الميمنة بقيادة الخليفة البوحميدى وتحت تصرفه المشاه غير النظاميين ، والميسرة بقيادة بوشفور والمذارى ، وتحت تصرفهما الفرسان . أما القلب فكان يضم المشاه النظاميين بقيادة الامير عبد القادر نفسه (١) .

وانطلق الامير عبد القادر بقواته من معسكر لكى يوقف زحف وحدات تريزول وحتى لا تدخل عاصمته ، والتقت القوتان عند غابة سيد اسماعيل التى تقع على بعد ثلاثين كيلو مترا من وهران ، وما أن توغلت القوات الفرنسية عدة أمتار داخل الغابة حتى أمطرتها قوات الامير بوابل من النيران ، وأحاطوا بتلك القوة الفرنسية مما أحدث ضجيجا فى الغابة ، واضطرت مقدمة الجيش الفرنسى الى التراجع فى حالة من الفوضى ، وتقدمت قوة العقيد الفرنسى أورينو لنجدة هذه القوات الفرنسية فأصابته رصامته سقط على أثرها قتيلا فى الحال ، وصارت قواته هدفا لفرسان الامير . وعجز تريزول عن التقدم بقوات الاحتياطى لانقاذ هذا الجيش الفرنسى الذى بدأ يعيد تنظيم قواته ثم تحول الى مهاجمة مؤخرة قوات الامير الذى شعر بصعوبة الموقف ، وتعذر عليه متابعة القتال أمام هذه القوة الاوربية التى تحمل أحدث الاسلحة المتطـورة ، وفضل التراجع بقواته من غير النظاميين الى الجبال القريبة . كما انسحبت قوات الفرسان بسرعة الى مرابط سيدى داود مولاى عبد الرحمن . وكانت هـذه حركة بارعة من الامير عبد القادر الذى استطاع انقاذ قواته من الهجوم الفرنسى ، ولما أحس بأن قواته صارت محمية من الخلف أسرع لملاقاة تريزول بعيدا عن أسوار العاصمة . وهكذا نجح الامير فى الخروج من غابة مولاى اسماعيل ، وانتقل اعلى مستنقعات المقطع انتظارا لقدوم القوات الفرنسية لتبدأ مرحلة جديدة وسلسلة أخرى من المعارك .

---

(١) أديب حرب ، مرجع سابق ، ص . ص ٢٠٠ — ٢٠٢ .

معركة المقطع :

انتهت معركة غابة مولاى سيدى اسماعيل دون أن يحقق أى من الطرفين انتصارا حاسما وتحركت الوحدات الفرنسية شمالا فى اتجاه سهل سيراط ، واستقرت على الضفة اليسرى لوادى السيج . وكان الامـير عبد القادر قد صمم على مواصلة القتال اذا رفض تريزول العودة الى وهران . وساعد الامير على المضى قدما فى قتاله وصول نجدات من القبائل المجاورة تعدت ١٤ ألف فارس و ٢٥٠٠ من المشاه غير النظاميين . وتوجه الامير بهـذه القوات الى سهل السيج وعسـكر على بعد ثمانية كيلو مترات من مواقع الفرنسيين ، وسيطر الامـير على مدخل الوادى المشرف على مستنقعات المقطع (١) .

وكأن الامـير عبد القادر يرغب فى تفادى اراقة الدماء اذا انسـحب الفرنسيون لكن مستشارى الامير نصحوه بسد الطرق أمام جيش تريزول مهما كانت التضحيات ـ كما حاول الامير اتصال بالفرنسيين لتغيير معاهدة داميشل لكن تريزول رفض كل اقتراحات الامير وخصوصا ابقائه سيدا على المقاطعة الغربية . وتدهورت العلاقات بين الطرفين وصـارت الحرب هى الفيصل الوحيد .

وفى ٢٨ يونية ١٨٣٥ قرر تريزول مواجهة قوات الأمير عبد القـادر الذى جمع رجاله ورتب عملية المواجهة مع الفرنسـيين ، وبدأت المعركة فى نفس اليوم وهاجمت القوات الجزائرية الفرنسـيين من كل الجهات ، فتراجع الفرنسيون فى حالة من الفوضى والاضطراب ، واختل نظامها ، وأرسل تريزول سريتين من الكتيبة الايطالية لمساندة المجموعة الأولى ، وأثناء تقـدمهم فى الوادى انقض عليهم الجزائريون وكبدوهم خسـائر فادحة ، وتجلت هذه المعركة قدرات الامير عبد القادر القتالية ، وظهرت عبقريته العسكرية وصموده القوى رغم استشهاد عـدد كبير من أبطاله الشجعان الذين خاضوا أول معركة حربية ضد عدو يفوقهم عددا وعتادا ، ولكن خطة الامير فى ملاحقة الجيش الفرنسى فى معركة المقطع . ومحاولاته الضغط على فرق هذا الجيش ، ومنعها من تجميع عناصرها المتفرقة حول المستنقعات حقق الامير النصر فى هذه المعركة .

---

(١) انظر الخريطة رقم (٢) .

ولكن الفرنسيين لم يقبلوا الانسحاب أو الهزيمة أمام جيش الامير عبد القادر فأعادوا بسرعة بناء الوحدات ، ودخلوا فى معارك جديدة مع الامير ، وتولى القيادة الجنرال كلوزل De Clauzel الذى استطاع الدخول بقواته فى عاصمة الامير عبد القادر ، ولكن هذا لم يحقق هدف الفرنسيين فى القضاء على الامير ، وجهاده ضدهم ، بل على العكس زادت هذه العملية من نشاطه واصراره وايمانه بتحقيق الهدف الذى يسعى اليه وهو طرد القوات الفرنسية من بلاده وجعل راية الاسلام خفاقة فى كل الوطن الجزائرى •

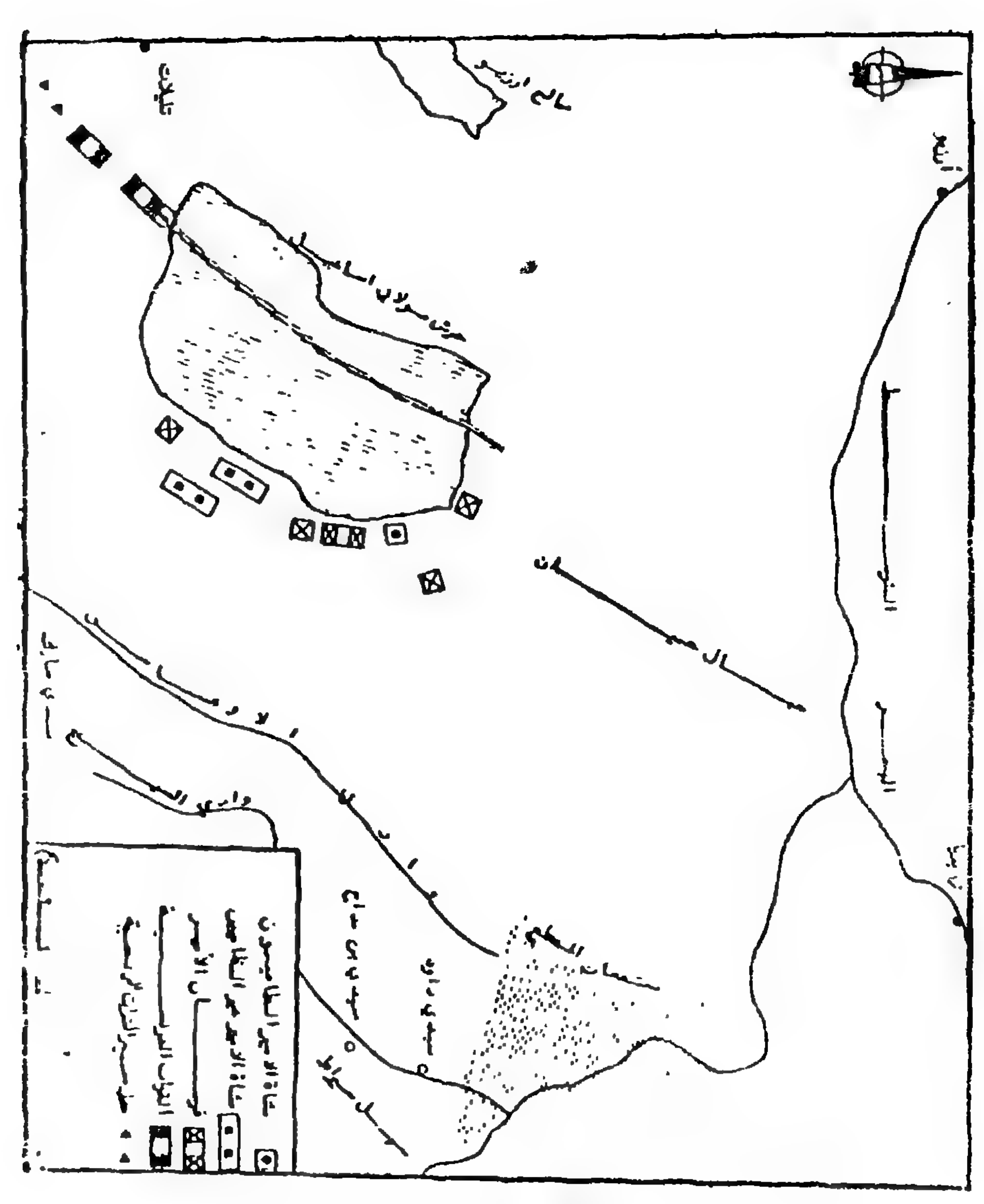
وواصل الامير حروبه ضد قائد فرنسى جديد هو دارلنج Darling ودارت معركة وادى الاطشم فى العاشر من ابريل ١٨٣٦ ، ونجح الامير فى استخدام عنصرى الحركة والتنقل بسرعة فى ميدان القتال وبذا فوت على الفرنسيين فرصة النيل منه أو ايقاع الهزيمة برجاله رغم الفارق الكبير فى التسليح والعتاد والتدريب والتنظيم (١) •

ولم يتوقف القتال عند هذا الحد بسبب اصرار الفرنسيين على القضاء عليه ، ولذا فقد واصل دارلنج استعداداته ، وأقام التحصينات فى معسكر تافنا ، واتجه نحو منطقة سيدى يعقوب تلك القرية الصغيرة التى تقع جنوبى غربى مصب وادى التافنا • وأمام هذا الاصرار الفرنسى ، صمم الامير على مواجهة الفرنسيين مهما كانت النتائج وفى الخامس والعشرين من ابريل أخذت قوات الامير جيش دارلنج على غرة عند مرابط سيدى يعقوب ، واستطاع الامير محاصرة الفرنسيين فى ثلاثة أماكن ، وأبقى الامير خليفته البوحميدى قائدا لقواته حول مرابط سيدى يعقوب ، وقد نفذت مؤن الفرنسيين ، وزاد الطين بلة أن هبت عاصفة عاتية لمدة أحد عشر يوما ، مما جعل الفرنسيين فى موقف صعب ، وفى حالة سيئة ، وبالتالى ضاع أملهم فى ضم المقاطعة الغربية للجزائر ، ونجح الامير فى محاصرة الفرنسيين فى المواقع الثلاث فى كل من تلمسان وسيدى يعقوب ومعسكر التافنا (٢) •

وتأزم موقف الفرنسيين للغاية بسبب عدم وجود قوات كافية للتحرك وانقاذ دارلنج وأمام هذا الموقف قرر وزير الدفاع الفرنسى الجنرال مازون

---

(١) اديب حرب ، مرجع سابق ، ص ٢٧٣ •
(٢) انظر هذه المواقع على الخريطة رقم (٢) •



خريطة رقم (٢)
معركة غابة مولاى اسماعيل ٢٦ حزيران ١٨٣٥

ارســال فرء جديدة الى الجزائر حتى يستطيع السيطرة على الموقف وبعد مناقشات طويلة ، ومشاورات مكثفة قررت الحكومة الفرنسية ارســال الجنرال بيجو Bugeaud الى وهران (1) •

وكانت المهمة التى كلف بها هــذا القائد الفرنسى الجديد تتلخص أساسا فى فك الحصار عن معسكر التافنا ، والدفاع عنه ، ووضــع خطة لاستخدام وادى تافنا الذى يصل تلمسان بالبحر المتوسط ، وأخيرا نجدة القوات الفرنسية فى تلمسان ، واعادة المواصلات بينهما وبين شاطىء البحر المتوسط •

وبمجرد وصول هذا القائد الى الجزائر حتى بدأ فى شرح خطته لقواد جيشه تلك الخطة التى تعتمد أساسا على القوات الخفيفة والسريعة الحركة بدلا من لتمركز فى المواقع لعســكرية الثابتة ، والاستغناء عن العربات ووسائل النقل الكبيرة ، واستخدام الخيل والبغال كوسيلة للحمل ، كذلك اختيار الضباط الشبان والجنود الاقوياء لهذه العمليات العســكرية • وفوق كل هذا استبدال الاسلحة القديمة بأسلحة حديثة متطورة • وبعد أن جهز القــائد بيجو قواته ، وشرح خطته بدأ يستعد لملاقاة الامــير عبد القــادر •

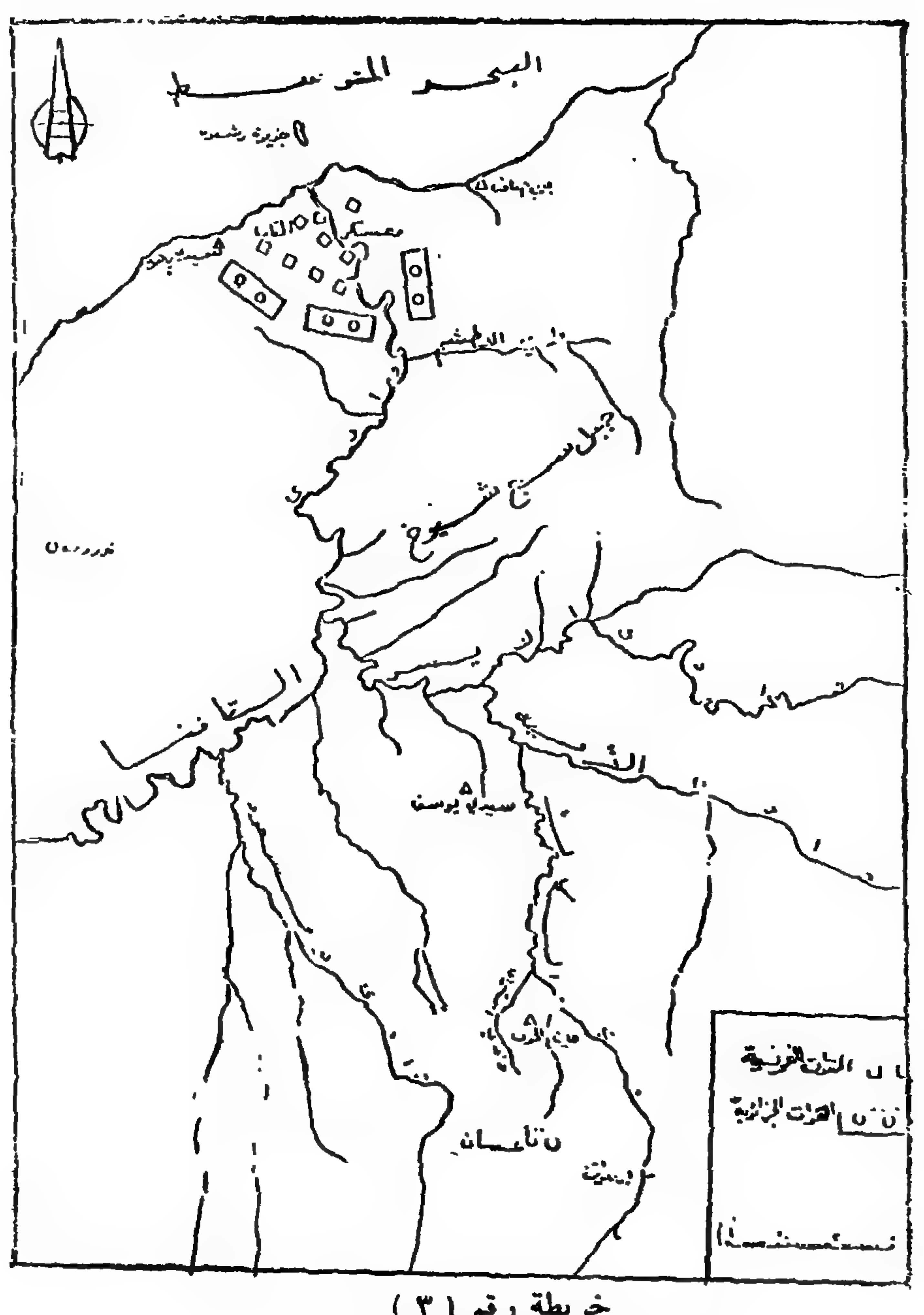
معركة السكاك فى ٦ يولية ١٨٣٦ :

وفى الثانى عشر من يونية تقدم بيجو على رأس قواته متخذا من طريق الشاطىء مسارا له ، بعد أن ترك فى مصب تافنا قوة بلغت ١٨٠٠ رجل • وما ان علم الامير بتحركات بيجو حتى انتقل فورا بقواته وركز على طريق

(1) ولد الجنرال بيجو فى ١٥ أكتوبر عام ١٧٧٤ وعمل بالزراعــة ثم التحق بالجيش فى مايو ١٨٠٤ برتبة جندى ، ووصل الى رتبة عريف فى عام ١٨٠٥ ثم حصل على ملازم فى ابريل عام ١٨٠٦ ، ونقل الى اسبانيا حيث حارب هناك لمدة ست سنوات وتعلم مبادىء حرب العصابات ، وترك الجيش برتبة عميد فى عام ١٨١٧ ، لكنه عاد الى الخدمة فى ٨ سبتمبر عام ١٨٣٠ ، وأرسلته الحكومة الفرنسية الى الجزائر عام ١٨٣٦ حيث حارب الامــير عبد القادر فى معركة السكاك فى ٦ يولية ١٨٣٦ وانتصر عليه • وفاوض الامير ووقع معه معاهدة التافنا بتاريخ ٣٠ مايو ١٨٣٧ ، وصار حاكما عاما للجزائر فى أوائل عام ١٨٤١ وظل حتى عام ١٨٤٧ حيث عاد الى فرنسا ومات فى ٦ يونية عام ١٨٤٩ •

Luca, Dubrelon : Bugeaud, Le Soldat, le depute, le colonisateur. Paris 1913, P. 1-60.

انظر الخريطة رقم (٣) لمعركة سيدى يعقوب •



خريطة رقم (٣)
معركة سيدي يعقوب ـــ ٢٥ نيسان ١٨٣٦

وهران تلمسان . وفى ٤ يولية اتخذت القوات الفرنسية طريقها نحو تلمسان ، وتحركت عناصر من جيش الامير واتخذت أيضا مواقع لها لمراقبة تقدم تلك القوات الفرنسية . وفى ٦ يولية هبت رياح ساخنة ، وانتشر الضباب وتقدمت فرق الامير نحو ميدان القتال ، وعندئذ أمر بيجو بتكثيف القصف المدفعى ، وردت قوات الامير باطلاق النيران على القوات الفرنسية لكن التفوق الحربى الفرنسى نجح فى اخماد المدفعية الجزائرية ، واضطر الامير الى وقف القتال والانسحاب وهكذا أفلتت قواته من ضغط القوة الفرنسية التى استولت على السكاك وأسرت ١٣٠ من الجزائريين بالاضافة الى ٣٢ قتيل و ٧٠ جريحا (١) .

وبالرغم من الخسارة التى حلت بجيش الامير الا أنه أظهر شجاعة وقدرة على الصمود والمراوغة ، وانسحب من ميدان القتال بعد أن أدرك أن البقاء والمواجهة مع الفرنسيين تعنى الانتحار لجيشه . وتقدم جيش بيجو بعد معركة السكاك نحو تلمسان فى ٧ يولية فدخلها دون مقاومة ، ورغم كل هذا فقد فشل بيجو فى القضاء على الامير وقواته . وأدركت فرنسا أنه قوة لا يستهان بها ولذا فان بيجو أعلن فى ١٦ مارس ١٨٣٧ ، لوزير الحربية الفرنسى بأنه يرغب فى عقد صلح مع الامير ، ووافقت الحكومة الفرنسية على هذا الطلب ، وكلفت بيجو للقيام بهذه المهمة مع الامير .

وبدأت المفاوضات بين مندوب الامير وبيجو فى ١٢ أبريل عام ١٨٣٧ وأخيرا توصل الطرفان الى توقيع معاهدة التافنا فى ٣٠ مايو ، وهى المعاهدة التى نظمت العلاقة بين الامير والفرنسيين ، والتى اعتمدها الملك لوى فيليب فى ١٥ يونية ١٨٣٧ (٢) .

وقد استفاد الأمير من هذه المعاهدة التى أعطته فسحة من الوقت لكى يثبت أقدامه ، ويدعم نفوذه السياسى فى الداخل ، كما استطاع اعادة بناء الجيش على أسس حديثة، واعترفت فرنسا بنفوذها على ولايات وهران والجزائر وتبطرى ، كما كانت هذه المعاهدة اعترافا صريحا من جانب

---

(١) صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص ١١٥ ، وايضا محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .
(٢) جلال يحيى ، السياسة الفرنسية فى الجزائر ، ص ١٢٦ .

الحكومة الفرنسية بامارة عبد القادر على ثلاثة أرباع الجزائر (مادة ٢ ، ٣)
الحكومة الفرنسية بامارة عبد القادر على ثلاثة أرباع الجزائر (مادة ٢ ، ٣) ، كما نصت على حرية التجارة بين المنطقة الفرنسية دولة الامير ، ودعمت هذه المعاهدة من مركز الامير وجعلته القوة الوحيدة للتعامل مع الداخل ــ وفى مقابل هذا اعتراف الامير بالسيادة الفرنسية على بعض مناطق الجزائر (١) .

وهكذا تعتبر معاهدة التافنا بداية مرحلة من السلام بين الجزائر وفرنسا ، وساعدت كلا من الطرفين على الاستفادة من هذه الفترة لبناء قواته ، واعادة تنظيم أموره ، وحقق الامير بهذا الاتفاق ما لم يكن يستطيع تحقيقه بنصر عسكرى حيث تبين أن بيجو قدم فى اتفاق سرى تنازلات أوسع مثل تقديم ٣٠٠٠ بندقية للامير ، ومنع قبائل الدواير والزمالة من تجاوز حدود معينة .

الامير عبد القادر والطريقة التيجانية :

أدرك الامير عبد القادر أن الجبهة الداخلية هى لب حرب التحرير ولجمتها ، ولذا كان قبوله التفاوض مع العدو ومهادنته السبب الرئيسى لكى يتفرغ للجبهة الداخلية ، جبهة الصمود ، وركيزة التحرر من الاستعمار الفرنسى ، ولذا لم يكن غريبا أن تشهد الفترة التى تلت توقيع معاهدة التافنا بداية مرحلة شاقة من التنظيم والاعداد والتنسيق ، والاستعداد لمعارك حرب التحرير ، فهى بمثابة هدنة مؤقتة حتى يستعيد قواته ، ثم يكمل المرحلة الجديدة من الكفاح ضد العدو الفرنسى .

واعتمد الامير على بناء دولة ترتكز على اخلاص الحاكم ، وثقة المحكومين على عكس نظام الحكم العثمانى الذى كان سطحيا ومنعزلا عن السكان . ولذا بنى الامير دولته على قوتين ، قوة رغبة ، وقوة رهبة ، وكانت الرغبة هى المحك الرئيسى لان غالبية السكان كانت تقدم له فروض الطاعة والولاء عن رغبة أكيدة ونية صادقة (٢) .

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١) ، بيان من الجنرال (دانربيمون) حاكم بلاد شمال أفريقية يوضح فيه بأن فرنسا لن تتخلى عن الجزائر وبانه بعد سبع سنوات من المعارك حان الوقت لجنى الفائدة من احتلال الجزائر .
المصدر : ارشيف ولاية قسطنطينة (الجزائر) .

(٢) محمد بن عبد القادر : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

وكان الامير حريصا على عدم اتخاذ قرارات فردية استغلالية لكنه كان حريصا على استشارة العلماء والاشراف ورؤساء القبائل ، واعتمد الامير على نفوذ الطرق الصوفية التى شاركت فى اتخاذ القرارات الهامة والمصيرية وفى أكثر من مناسبة أكد الامير على أن قبوله للبيعة وتولى منصب القيادة انما هو من أجل تحقيق الامن والامان لكل السكان ، وأن رغبته فى خضوع الناس لاوامره كاخوة من أجل طرد الكفار من الجزائر ونجح الامير فى كسب رجال الدين الى جانبه عن طريق استشارتهم والحصول على فتاوى منهم ، كما حصل على الامير على تأييد الرأى العام المغربى التيجانية التى تعارضه فى مدينة عين ماضى (١) •

وما ان انتهى الامير من توقيع اتفاق التافنا (Tafna,) فى ٣٠ من مانو ١٨٣٧ حتى أسرع للتعامل مع المعارضين له وبسرعة استطاع اخضاع قبائل بنى مختار ، وبنى نايل (Nail) وبنى موسى ، وبنى عبيد وحاول الامير عبد القادر اخضاع الطريقة التيجانية فى عين ماضى لسلطانه • وعين الامير الحاج العربى بن سيدى عيسى رئيسا للقسم الشرقى من قبائل الاغوات ليكون نائبا عنه فى المنطقة ، لكن رفض التيجانيون الخضوع وعلى هذا قرر الامير عبد القادر مهاجمتهم واخضاعهم بالقوة (٢) •

لقد قاوم التيجانيون قوات الامير عبد القادر من يونية حتى نوفمبر عام ١٨٣٧ بالرغم من قلة عدد رجالهم لان الامير عبد القادر هاجم عين ماضى بحوالى ٣٦٠٠ رجل ، وأثناء الحصار وصل عدد قواته ثمانية آلاف مقاتل بينما كان المدافعون فقط لا يزيد عن ٧٠٠ رجل (٣) •

وأثناء الحصار الذى استمر خمسة أشهر حاول الامير اختراق الاسوار عدة مرات لكن التيجانيين كانوا يعيدون بناء الاسوار بالليل لكن الحصار الطويل جعل الطرفين يسعيان الى الصلح والاتفاق •

وقد تم التوصل الى معاهدة ما بين محمد الصغير بن الشيخ أحمد التيجانى وبين صهر الامير عبد القادر فى ١٧ نوفمبر ١٨٣٨ لرفع الحصار بالشروط الآتية :

(١) محمد خير فارس : مرجع سابق ، ص ٢٤٤ •

(٢) محمد عبد القادر ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ •

(٣) Arnud, L. : Siege d'Ain Madhi, Paris 1864, PP. 368-369.

اولا : أن يدفع محمد الصغير تكاليف الحصار للامير عبد القادر •

ثانيا : ان تجلو قوات الامير عبد القادر من عين ماضى خلال أربعين يـوما •

ثالثا : يسمح لرئيس التيجانية بأخذ كل ثرواته المنقولة •

رابعا : أن يسمح لسكان المدينة بالرحيل معه •

خامسا : يترك رئيس التيجانية ابنه كرهينة لدى الامير لضمان تنفيذ بنود الاتفاق •

لكن أثبتت حملة الامير عبد القادر ضد عين ماضى أنها أضرت بـه وبمكانته العسكرية ، علاوة على فشلها فى تحقيق الهدف الرئيسى لاجبار محمد الصغير على الرضوخ للامير عبد القادر •

ولقد استفاد الفرنسيون كثيرا من حصار الامير لعين ماضى لانه فى الوقت الذى كان الامير مشغولا فيه بحصار التيجانية قام الجنرال فالى القائد العام للقوات الفرنسية فى شمال أفريقيا بتدعيم نفوذه فى المنـاطق الشرقية من الجزائر •

وكانت الآمال تراود محمد الصغير فى اقامة دولة تيجانية فى الجزء الجنوبى من الجزائر بعد خروج العثمانيين منها • وكانت هذه الامـال معروفة لدى الفرنسيين ، لكن حصار الامير لعين ماضى وتدميرها جعـل هذا الحلم صعب المنال •

وبعد استسلام محمد الصغير حاول مفاتحة الجنرال فالى (Valee) وكتب اليه فى ٢١ يولية ١٣٨٩ يعبر عن آماله ، وطلب منهم الاعتراف به كزعيم للبادية ، وتعهد بدفع ضريبة العشر والزكاة للفرنسيين مقابل امداده بالاسلحة ، كما تعهد بطرد كل أعداء الفرنسيين من المنطقة التى سيكون تحت سيادته بالاضافة الى تسهيل مهمة الفرنسيين فى السيطرة على القبائل البدوية (١) •

(1) Vales to Min, Sec. d'Etat au dep de la Guerre, 17 Aug. 1839 in ANP. F. 80 16730.
(Archives Natinales des paris).

وما ان وصل هذا الخطاب الى السلطات الفرنسية حتى بدأت تستفيد من هذا التحالف ، ولما تولى الجنرال بيجو قيادة القوات الفرنســية فى الجزائر فى فبراير عام ١٨٤١ طلب من السيد روشيه (Roches) ، الاتصال بمحمد الصــغير حتى يضمن مســاعدته فى الحصــول على فتوى تبيح للمسيحيين فى الاستيلاء على مدن اســلامية دون أن يتأثر دينهم وكانت شروط روشيه أن يصبح الرئيس التيجانى تابعا للفرنسيين وأن يساعده فى حربه ضد الامير عبد القادر مقابل الحصول على السلاح والاموال ، ولكنه عليه أن يقدم ما بين ٥٠٠ ، ٦٠٠ حصان بجانب عدد من الابل (١) •

ووافق محمد الصغير على خطة روشيه ، وبعث الى القيروان للاعداد لهذه المهمة ، وتبنى المجلس الدنىى الذى انعقد فى زاوية التيجانية اصدار الفتوى المطلوبة •

ويقول روشيه أنه ذهب الى القاهرة للتأكد من الحصول على الفتوى من علماء الازهر ، وانه قد ذهب الى مكة لاعتمادها من مجلس العلمــاء هناك (٢) •

ولكن مهما كانت ادعاءات روشيه فان المسلمين فى الجزائر لم يعترفوا بهذه الفتوى • وبالرغم من كل هذا فقد استمر التعاون بين الفرنســيين والطريقة التيجانية حتى بعد وفاة محمد الصغير وتولى سيدى محمد العبد أكبر أبناء سيدى على واستمرت الزاوية التيجانية فى القرن العشرين تؤدى خدمات للسياسة الفرنسية فى الجزائر (٣) •

بنى الامير دولته على المســاواة وعدم التمييز بين الناس وأصــلح القضاء ، وأوجد مجالس الاستئناف ، وكان حريصا على تطبيق العدالة ، كما وحد الضرائب وفرضها على الجميع بلا استثناء ، كما أوجد ضريبة المعوية لمساعدة الفقراء وكانت الضرائب تجنى عينا أو نقدا (٤) •

---

(١) Bugeaud to Min of War, I August, 1941.

(٢) Roches, Trente deuix ans, I. P. 440.

(٣) Abun Nasr Gamil : Op. Cit., P. 69.

(٤) شوقى الجمل ، المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٧٥ •

وأشرفت الدولة على التجارة والصناعة ، وكان الهدف من ذلك أن تشرف الدولة على كل شيء ، وأن تجعل الاقتصـاد فى خدمة الاغراض الحربية بشكل عام ، واهتم الامير بالجيش لانه الدعامة الرئيسية والركيزة الهامة فى حرب الجهاد • ولهذا أسس الجيش على النظام لحديث ، وحدد الرتب والرواتب ، ومنح النياشين لكل من يظهر الشجاعة والاقدام أمام العدو الفرنسى ، كما أعطى رواتب لاهل الجند الذين يصابون فى المعارك ، ولقد بلغ عدد قوات الجيش النظامى فى عام ١٨٣٩ حوالى ثلاثة وخمسين ألف جندى • وفى جميع المعارك التى خاضها والتى تعدت العشرين كانت قواته النظامية جاهزة ، أما القوات غير النظامية فكانت تشارك فى القتال ثم تعود الى ديارها بعد انتهاء الجهاد • واتبع الامير فى حروبه اسـلوب تجنب خوض المعارك المكشوفة ، واقتصر على المعارك الصغيرة ، ومعارك المفاجآت والكمائن ، كما اتبع اسلوب الكر والغز •

وبعد أن تغلبت فرنسا على الحكومة لداى أحمد فى شرق الجزائر ، بدأت تتجه الى الغرب حيث كانت قوة الامير تزداد ، وبدأت فرنسا تسعى لتعديل معاهدة التافنا ، وفسرت المادة الثانية من هذه المعاهدة على أنها تخول لها الحق فى احتلال جميع الاراضى الواقعة وراء وادى خضارا من مقاطعة قسنطينة ، ولكن الامير لم يقبل هذا التفسير •

ولما حدث الخلاف بين الطرفين أرسل الامير وفدا الى باريس لحسم هذا الخلاف ، لكن الحكومة الفرنسية أفادت أن المفاوضات من اختصاص حاكم الجزائر • وعاد الوفد يجر أذيال الخيبة والفشل ، وكان واضحا أن القوة هى السبيل الوحيد لفرض ما يريده ، وليحافظ على شروط المعاهدة مع الفرنسيين •

وكان توسع الفرنسيين فيما وراء منطقة متيجا بمثابة نقض للمعاهدة مع الامير ، الذى كتب الى المارشال فالى فى ٣ نوفمبر ١٨٣٩ معلنا أن هذا التوسع يعد خرقا صريحا لمعاهدة التافنا (١) • ولما تأكد الامير أن الفرنسيين يحاولون كسب الوقت قرر محاربتهم ، وأصـدر أمرا بالهجوم على اقليم

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٢) مكتوبة بخط يد الامير عبد القادر الجزائرى الى الجنرال بيجو يطلب منه الالتزام بتنفيذ الصلح الذى وقع بينهما ووافق عليه سلطان الفرنصيص وتعهد له بالوفاء بما تم الاتفاق عليه فى ٢٥ ربيع أول عـام ١٢٥٤ هـ •
المصدر : ارشيف ولاية قسنطينة ــ بالجزائر •

متيجا من الغرب والجنوب والشرق بثلاث فرق من المجاهدين ، واضطر فالى الى طلب نجدات من فرنسا فأرسلت اليه الحكومة حوالى ١٣٠٠٠ جندى بالاضافة الى ٤٨٠٠٠ جندى بعد عدة أشهر ، ووجدت الحكومة الفرنسية أن الجنرال فالى ليس بالرجل الذى تستطيع تنفيذ سياسة فرنسا فى الجزائر ، فقررت تغييره وتعيين الجنرال بيجو حاكما عاما للجزائر فى ٢٩ ديسمبر ١٨٤٠ ، وكان هذا يعنى بداية مرحلة جديدة حيث اعتبر الفرنسيون تعيين بيجو بمثابة تحول من سياسة الاحتلال الجزئى الى الاحتلال الشامل لكل القطر الجزائرى ٠

والجدير بالذكر أن الجنرال بيجو هو نفس القائد الذى كان قد وقع مع الامير معاهدة التافنا فى عام ١٨٣٧ ، واعترف فيها بسلطة الامير عبد القادر على الساحل وأرض وهران والمتيجة ومستغانم ، ولكنه عاد فى عام ١٨٤٠ بسياسة جديدة ، وبشروط جديدة تخالف السياسة التى سارت عليها فرنسا منذ ثلاث سنوات ، وكان التحول فى السياسة الفرنسية يعنى نقض معاهدة التافنا ، وبالتالى الدخول فى حرب جديدة مع دولة الامير عبد القادر ٠

القضاء على مقاومة الامير عبد القادر :

وجد بيجو أن الامير عبد القادر يتبع اسلوب الكر والفر ٠ ويتجنب خوض معارك كثيرة ٠ ولذا فانه قرر اتباع نفس أسلوب الحرب عند الامير ، وأدرك بيجو أن أفضل وسيلة للدفاع والوقاية هو الهجوم ، وعندما استعرض بيجو قوة الامير الحقيقية وجد أنها تكمن فى رجال القبائل وليس فى جيشه النظامى ، ولذا بدأ التركيز على القبائل ، وشن غارات عليها حتى يحدث خللا وقطيعة بينهما وبين الامير وجيشه النظامى ، وكانت هذه سياسة ماكرة ، وخدعة غريبة من جانب رجال تدربوا على حرب العصابات مثل بيجو ٠ ولم يتوقف القائد الفرنسى عند هذا الحد بل انه رسم سياسته على أساس حرمان العرب والمسلمين من مواردهم التى تنتجها أرضهم فقام باتباع سياسة حرق الارض التى أدت الى ابادة قبائل بأسرها نتيجة الاختناق بالدخان ، ولكن رغم كل هذه المحاولات ، وتلك السياسات البربرية ، وبالرغم من تفوق سلاح العدو الفرنسى،وبالرغم من الامكانيات العسكرية والمالية التى وضعت تحت تصرف الجنرال بيجو ، الا أنه لم يستطع تحقيق

النصر على الامير عبد القادر الا بعد سنوات من تطبيق هذه السياسة الوحشية (١) •

وفى عام ١٨٤١ استولى بيجو على كازه ومدينة المعسكر ، ثم استولى على تلمسان فى العام التالى ، وفقد الامير جزءا كبيرا من قلاعه واراضيه ومستودعاته بل ومعظم جيشه النظامى ، ونجح الفرنسيون فى قتل مبارك قائد الجزائر الشهير والساعد الايمن للامير عبد القادر وذلك فى المعركة التى وقعت عند سيدى يحيى فى ١١ من نوفمبر ١٨٤٣ • وكانت هذه ضربة قوية للامير عبد القادر الذى اضطر الى الانتقال الى الصحراء وأخيرا اتجه الى بلاد المغرب حيث وجد مناصرة وتأييدا من المولى عبد الرحمن ، وكان يقدم له كل عون ومساندة ، وكانت أنباء انتصاراته على الفرنسيين تجد صدى لها فى بلاد المغرب ، كما كان الشعب المغربى يتابع هذه الانتصارات بكل بهجة وسرور(٢) •

ولما أحس الفرنسيون بأهمية هذا الدعم الحربى للامير عبد القادر ، قرر بيجو التوغل فى الاراضى المغربية ، وفعلا عبرت القوات الفرنسية الحدود والتقت بالقوات المغربية فى معركة اسلى فى ٣٠ مايو عام ١٨٤٤(٣)•

واستولى الفرنسيون على ميناء طنجة فى المدخل الغربى للبحر المتوسط، كما احتلوا مدينة وجدة وأمرت فرنسا قنصلها بالمغرب بالتفاوض مع سلطان المغرب الى الدخول فى مفاوضات انتهت فى العاشر من سبتمبر ١٨٤٤ بالتوقيع على معاهدة طنجة التى نصت على انسحاب العساكر الفرنسية من وجدة ، وتتعهد الحكومة المغربية بانزال العقاب بكل من يعتدى على الحدود الشرقية الجزائرية ، وأيضا اخراج الامير عبد القادر من بلاد المغرب اذا ما لجأ اليها• وبالطبع كان توقيع هذه المعاهدة لطمة كبرى لجهاد الامير عبد القادر الذى كان يجد الحصن الحصين ، والدرع القوى والدعم العسكرى والمعنوى فى بلاد المغرب (٤) •

---

(١) وصل عدد القوات التى وضعت تحت تصرف الجنرال بيجو حوالى ١٠٨ الف جندى ، وهو ما يعادل ثلث الجيش الفرنسى ، كما وضع تحت تصرفه ١٠٠ مليون فرنك .

(٢) أبو العباس الناصرى ، الاستقصاء ، جـ ٩ ص ٤٦ .

(٣) شوقى الجمل ، مرجع سابق ، ص . ص ٢٣٦ ــ ٢٣٩ .

(٤) تضمنت اتفاقية الصلح مع الفرنسيين عدة شروط منها نفى الحاج عبد القادر من البلاد لما فى بقائه هنالك من اثارة الفتنة بين الدولتين بلا فائدة .
أبو العباس الناصرى ، الاستقصاء ، جـ ٩ ، ص ٥٣ .

وعلى اثر هذا ازدادت الثورة الجزائرية اشـتعالا فى كل مكان ، بل وامتدت الى وادى الشليف والى منطقة الحدود المغربية والى تيطرى . وعين الامير عبد القادر « بومعزة » خليفة له ، وهذا ما أجبر بيجو الى العودة بسرعة من فرنسا الى الجزائر ، وقام على الفور برسم سياسة جديدة على أساس انشاء ثمانية عشر طابورا تشكل نصف دائرة تمتد من وادى تافنا الى منطقة القبائل وتمنع توغل المجاهدين القادريين فى منطقة التل . وفى نفس الوقت تهاجم قوات الامير عبد القادر وتطوقها ، ولكن المجاهدين فوتوا على الفرنسيين هذه الفرصة ، ونجحوا فى اختراق خطوط الدفـاع الفرنسية ، وتوغلوا فى الصحراء .

وبعد عاما ١٣٤٥ ، ١٨٤٦ من أصعب السنوات التى عاشتها القوات الفرنسية فى الجزائر بسبب عنف مقاومة الامير ورجاله ، لكن قسـوة الفرنسيين فى حربهم ضد الشعب الجزائرى ، وانهاك قوى المجاهدين ، وانتشار الفقر والدمار والخراب فى كل أنحاء الجزائر بالاضافة الى فرض الحصار البحرى على موانى الجزائر وسـواحلها وأدى هـذا الى عرقلة وصول الاسلحة الى الامير ورجاله ، واضطر القائد الجزائرى بومعزة الى التسليم للقوات الفرنسية ، وحاول بيجو الحصول على امدادات كافيـة لغزو القبائل الجزائرية ، لكن الحـكومة لم تستجب الى طلبه فاضطر الى الانسحاب خوفا من الهزيمة ، وحل محله ابن الملك لوى فيليب ويدعى الدوق دومال وذلك فى ١١ من سبتمبر ١٨٤٧ .

وحاول الدوق دومال السير على نهج السياسة التى انتهجها بيجو ، وضيق الخناق على الامير ورجاله ، فاضطر الى الانسحاب الى المغرب ، فما كان من فرنسا الا أن ضغطت على سلطان المغرب ، وأخبرته بأن قواتها سوف تدخل المغرب لتعقب الامير عبد القادر ، وكان رد سلطان المغرب أن طلب من عبد القادر تسريح قواته ، والحضور بنفسه الى مدينة فاس ولما رفض الامير هذا الطلب أرسل السلطان قوة عسكرية لتنفيذ أوامره ، كما وضع الفرنسيون خمسة آلاف جندى على الحدود لانتظار خروج الامير عبد القادر من الاراضى المغربية . واضطر الامير أمام كل هذه القـوى المحيطة به من كل جانب الى الانسحاب نحو الحدود والدخول فى الاراضى الجزائرية (١) .

---

(١) جلال يحيى ، السياسة الفرنسية فى الجزائر ، ص ١٦٤ .

كانت القوات الفرنسية تعرف كل خطط الامير ، وتعرف تحركاته فأقامت نقاطا عسكرية على طول الحدود ، وصار الامير وحيدا فى معارك ضد جيش منظم ومجهز بأحدث الاسلحة ، وزاد من صعوبة الموقف تساقط قيادات الامير الواحدة تلو الاخرى فى أيدى الفرنسيين ، لكنه ظل صامدا ، وواصل المقاومة ، وأخيرا وبعد أن ضاقت به كل السبل لم يجد نصيرا يقف بجانبه فجمع رجاله من أصحاب الطريقة القادرية وقال لهم :

« ان الاحوال كما ترون ، والاخبار على ما تسمعون فما الرأى وما الحيلة : فقالوا الرأى لسيدنا والذى يراه نحن معه ، فقال الامير لا أرى الا التسليم لقضاء الله والرضا به ، لقد أجهدت نفسى فى الدفاع عن الدين والبلاد ، وبذلت ما فى وسعى فى طلب الراحة للجميع ، وأقمت على ذلك ما يزيد عن سبع عشرة سنة ، اقتحم فيها الممالك ، واستحقروا العدو على كثرته ، وأرابط فى الاودية والجبال ، وأنصب له فيها المكايد والمصايد ، وتارة أنقض عليه انقضاض العقاب الجارح ، وتارة أنصب عليه انصباب السيل الهادر ، ولازلت فى أيامى كلها أرى المنية ، واليوم فقد فقدت الصديق والمساعد ، وأفنيت ما أملك من مال ومتاع ، فأصبحت لا أرى الا أفاعى الغدر تنهش جسمى بسمومها » (١) .

وبات الامير ليلته ، وفى الصباح بعث رسوله الى الجنرال حاكم الجزائر ومعه سيفه ، ولكن الجنرال أعاد السيف اليه ومعه ورقة ختمها بختمه على بياض ليضع الامير ما يريد من شروط .

طلب الامير أن يحملوه مع عائلته الى عكا أو الى الاسكندرية ، والا يتعرضوا لمن يرغب السفر معه من الضباط والجنود ، وأن ينال كل من بقى فى الوطن الامان على نفسه وعرضه وماله . وهكذا تمت عملية استسلام الامير بعد أن أدى دورا بطوليا مشرفا استحق أن يسجله التاريخ بكل اعزاز فى تلك الفترة المبكرة من الاستعمار الاوربى لشمال أفريقيا (٢) .

قبل الامير عبد القادر الجزائرى الاستسلام فى ديسمبر ١٨٤٧ بعد هذا الجهاد المرير الذى استمر قرابة سبع عشرة عاما ، وسجن الامير فى

---

(١) الامير عبد القادر الجزائرى ، سلسلة ابطال العرب ، ص ٦٠ .
(٢) جلال يحيى ، المغرب العربى الحديث والمعاصر ، ص . ص ٥٦٨ — ٥٨٠ .

حصن فرنسى ، ثم سمح له بالسفر الى دمشق عام ١٨٥٢ حيث توفى هناك فى عام ١٨٨٣ .

لكن الشعب الجزائرى ورجال الطريقة القادرية لم نستسلموا برحيل الامير عبد القادر ، بل قامت الثورات فى كل مكان ضد الفرنسيين الذين كانوا يسيطرون فقط على الساحل ففى الاقليم الشرقى مثلا تزعم بوزيان حركة المقاومة ، والتفت القبائل حوله ، وتحصنوا فى واحتهم المنيعة ، ولم تستطيع القوات الفرنسية اقتحام المنطقة الا بعد قتال مرير ، وكانت المعارك تنتقل من شارع الى شارع ومن منزل الى آخر ، ولم تهدأ هذه القبـائل الا بعد أن أزال الفرنسيون الواحة وأعدموا الزعيم بوزيان ، وكانت هذه الاعمال الوحشية التى اقترفها الفرنسيون سببا فى اثارة الرأى العام الفرنسى نفســه (١) .

وظهر زعيم آخر فى منطقة القبائل ويدعى بوبغلة الذى جمع أيضا القبائل من حوله وخصوصا قبائل الزوارا التى دافعت عن ديارها ضد المستعمر الفرنسى الذى استخدم أيضا نفس الاساليب الوحشية . وظهر زعيم ثالث هو محمد بن عبد الله الذى بايعه أصحاب الطرق الصوفية وزعماء القبائل ، وقاد الكفاح المسلح ضـد الفرنسيين الذين اضطروا الى مواجهة هذه الثورات بأبشع وسائل القمع المسلح ، ولقد اشتد الكفاح الجزائرى بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا فى عام ١٨٧١ حيث عمت الثورة فى كل مكان ، كما ظهر زعيم جـديد هو محمد المقرانى وأخوه بومزراق ، واشتمرت الثورة مدة تسعة أشـهر استخدم فيها الفرنسيون كل وسائل البطش والقمع حتى قضوا على الثورة ، وأعدموا قياداتها ، وكل هؤلاء الزعماء الذين تولوا القيادة ضد السيطرة الفرنسية يعكسون روح الجهاد الاسلامى ، ويبرزون الدور الكبير الذى قامت به الطريقة القادرية فى الجزائر .

لقد كانت حركة المقاومة الاسلامية لاتباع الطريقة الصوفية القادرية فى الجزائر ضد الاستعمار الفرنسى مثلا من البطولة والاقدام ، تحمل فيهـا الشعب الجزائرى المسلم عبء لنضال والكفاح ، ولم يهنأ الفرنسيون فى الجزائر ، بل واجهوا مقاومة فى كل مكان ، وكان جهاد الامير ضد الفرنسيين نموذجا للمقاومة الاسلامية لكل أبناء الامة العربية وهى تخوض أنبل المعارك ضد الاستعمار والصهيونية العالمية فى العصر الحديث .

(١) Julien, Ch. A. : Op, Cit., P, 86.

« الخاتمة »

ان شخصية الامير عبد القادر لا تستمد قوتها من ذاتها وحـدها ، بل انها تستمد عظمتها من شخصيات عاصرتها ، وتألقت معها ، حيث تعكس شخصية الزعيم شخصية كل جزائرى ، وكان مفتاح هذه الشخصية أنها تملك السيطرة على النفوس ، وهى سيطرة لا تعتمد على القوة والارهاب ، وانما تعتمد على سيطرة روحية سلاحها المحبة للشعب والتفانى فى خدمته ، واقامة أسس الحق والعدالة بين الناس بالقسطاس .

وكان الامير عبد القادر يتحلى بقوة النفس ، وشدة الاعصاب ، وبمقدار ما أظهرت من شجاعة وثبات فى المواقف التى تذهل العقول ، كما كانت لا تحيد عن المواقف الانسانية التى ورثها عن دينه ، وتقاليد شعبه فى معاملة الخوارج بالعفو واللين ، وفى معاملة أعدائه بالرفق والحسنى .

بدأ الامير حياته بالعلم ليكون عالما ، ولما هبت الثورة التى صـار قائدها استبدال العلم بالسيف ، وضرب المثل الاعلى للعلماء الذين يعيشون بمعزل عن أحداث وطنهم ، وبعد أن أجهضت الثورة عاد الى القلم ، فازداد شغفه بالمطالعة التى زودته بالعلوم ومختلف الاداب ، فدرس كتب العلم والفلسـفة اليونانية ، وتعمق فى دراسـة الفقـه الحديث والعلـوم الاجتماعية (١) .

واشتهر الأمير عبد القادر بالهجوم المباغت الخاطف والسريع ، وكان هدفه من ذلك جعل العدو يشك فى خططه ويفقده الاقدام ، ويشل حركته القتالية ، وقد حدث هذا الانقضاض على القوات الفرنسـية فى التافنا ، وكانت هذه المباغتة سببا فى حيرة الفرنسيين من تحركات جيش الامير وسرعة تنقلاته ، وهو الامر الذى جعل حكومة باريس تزيد من قواتها فى الجزائر لمواجهة هذا الامير والقضاء عليه حيث ارتفع عدد القوات الفرنسية قبل استسلام الأمير فى ٢٣ ديسمبر ١٨٤٧ من ٦٣ ألف جندى عام ١٨٣٩ الى

(١) الامير عبد القادر ، سلسلة إبطال العرب ، ص.ص ١٥١ ــ ١٥٢ .

٨٣ ألف جندى عام ١٨٤١ والى ٦٠ ألف جندى عام ١٨٤٤ وأخيرا الى ثلث عدد الجيش الفرنسى بكامله أى حوالى ١٠٨ ألف جندى فى عام ١٨٤٦ . وكل هذه الزيادة فى عدد القوات الفرنسية ، وكثرة تغير القيادات انما يعطينا مؤشرا على صلابة المقاومة ، واستبسال الامير عبد القادر الجزائرى ورجاله أمام هذه القوة الاوربية الغازية (١)

لقد تحلى الامير عبد القادر بصفات القائد حيث كان القدوة والمثال فى ساحات الحرب ، وكان يعرف قدراته وامكانياته ، والوقت المناسب لاتخاذ القرار ولذا كان يتحمل تبعة أعماله ، فلم يعرف الفساد .. ولا يخدم نفسه بل يخدم الدولة كلها . يكره الرجل غير المستقيم ، ولم يلفت ظهره أبدا لعدو ، بل كان ينتظره بثبات ، وكان يحارب كما يحارب الجندى العادى موحدا جنوده بكلماته ومشاركا لهم فى جميع الاخطار ، وهو فى شجاعته وايثاره وورعه يدفع جميع العيون ، ويذيب القلوب القاسية ، فالكل يعترفون به سيدا ومعلما لهم (٢) .

وظل الامير عبد القادر الرجل الصدوق ، الصبور ، المتواضع ، كان يكره التحدث عن نفسه ، وكان يرفض الثناء على النجاح فى مهمته ، ويعارض خلفاءه اذا سعو للحصول على هدية أو مديح ، وكان مؤمنا برسالته ، واثقا من نفسه ، محافظا على كرامته ، حريصا على مواجهة المصاعب ، حازما فى اتخاذ القرارات والسرعة فى تنفيذها وكان الامير منضبطا فى حياته العسكرية ، كما كان صارما فى تنفيذ الاوامر ، ويراقب استعدادات جنده قبل القتال ، ويتفقد أحوالهم ويحل مشاكلهم ، ثم يحارب معهم فى خندق واحد ، ويشرف على تحركاتهم فى ساحة القتال حتى اذا شعر بأن المعركة خاسره ، وانسحب منها متحملا بمفرده المسئوليات (٣) .

وحشد الامير عبد القادر كل امكانياته فى المعارك حيث استشهد الكثير من رجاله دفاعا عن أوطانهم وأرضهم وكرامتهم ، فحاربوا الفرنسيين

---

(١) اديب حرب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٠ .
(٢) تشرشل ، العقيد هنرى شارل ، حياة الامير عبد القادر ترجمة أبو القاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر ، تونس فى عام ١٩٧٤ . وأيضا أبو القاسم سعد الله ، محاضرات فى تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٧ .
(٣) اديب حرب ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨ .

باخلاص واندفاع لابعادهم عن الجزائر ، وكان الامير حريصا على تثبيت دعائم الامارة حرصة على اختيار ميدان القتال ، وكان يفرض على عدوه أرضا عرفها ، وأدرك صعوبة مماتها واستفاد من طبيعتها للمناورة العسكرية . وطبق الامير عنصر المباغته فى معظم معاركه حتى أنه دوخ القواد الفرنسيين أمثال تريزول ودارلنج وبيجو ، وحقق النصر فى غالبية المعارك التى خاضها والتى وصلت الى عشرين معركة .

لقد كان الامير عبد القادر مجددا متسامحا ، استعان بالاجانب لتطوير بلاده فى النواحى التى شعر بأن امكانياته لا تمده بما يريد كاستغلال المعادن ، وضرب السكة ، وصناعة الاسلحة ، والنسيج وتدريب الجيش ، ورغم شدة تدينه فانه لم يكن متعصبا ، بل على العكس كان متسامحا مع من خالفه فى الدين ، واشتهر الامير عبد القادر بحسن معاملة الاسرى .

لقد ظل الامير عبد القادر ثابتا على مبادئه حتى بعد أسره أو حتى بعد ذهابه الى الشام ، ولم يغير رأيه ، ولم يحقد على أحد ، وظل متساميا كريما سمحا نحو كل أعدائه السابقين ، وظل وفيا لمبادىء دينه ، فكان يقوم الليل ويعلم أبناءه على طريقة أبناء وطنه ، وكان مثالا لكل من زاره فى سجنه حيث كان الناس يخرجون وقد انبهروا بشخصيته ، معجبين بعلمه وسماحته وتسامحه .

وبعد أن أدى الامير عبد القادر دوره البطولى فى الجهاد ، واضطر الى الاستسلام فى النهاية عاد الى القلم وازداد حبا فى القراء والاطلاع حيث كان الجانب العقلى عنده هاما ، فألف بعد خروجه من الجزائر عدة أعمال تاريخية ودينية وفلسفية فلقد كان كتابة « المواقف » مثالا لكتب الفلسفة الاسلامية العميقة والتى لازالت آراؤه فيه تحتاج الى دراسات وتعلقيقات ، كما أن كتابه « ذكرى العاقل وتنبيه الغافل » يضم عدة آراء فلسفية ودينية ، وهناك أيضا كتابه « المقراض الحاد تقطع لسان الطاعن فى دين الاسلام من أجل الباطل والالحاد » وهو عبارة عن رسالة مطولة كتبها فى المنفى داخل فرنسا يرد فيها على الطاعنين فى الاسلام وقوانينه . كما كان الامير عبد القادر أول عربى جزائرى ينظم الشعر الذى عبر فيه عن عواطفه بتعبير قوى مؤثر ، كما كان شعرب مماسيا يهدف الى وصف المعارك الحربية بالاضافة الى الحديث عن الفخر الذى يظهر فى بعض قصائده :

لنـا فى كـل مكرمة مجـال ومن فوق السحاب لنا رجـال
رفعنا ثوبنـا عن كـل لـؤم وأقـوالى تصـدقها الفعـال
فكم لى فيهم من يـوم حـرب بـه أفتخر الزمـان ولايـزال

وكان من الممكن أن يصبح الامير عبد القادر من بين المصلحين القلائل فى العالم العربى والاسـلامى فى العصر الحديث لو أتيحت له الظروف الملائمة ، وكانت رسائله تدل على باع طويل فى العلم والمعرفة ، وعلى قدرة فائقة فى تبصر ومهما مكثوا فيها فانهم عابرى سبيل ، ولو مكثوا ثلاثمائة عام مثل الاتراك فسينتهى الامر بخروجهم منها (١) •

ولقد صدقت نبؤة هذا المجاهد المسلم عندما استلهم الشعب الجزائرى منـه روح النضال والكفاح فأعلن الثورة على الفرنسيين فى عام ١٩٥٤ ولم ينته عام ١٩٦٢ الا وقد حقق الجزائريون الاستقلال وأجبروا الفرنسيين على الرحيل من أرضهم •

---

(١) صلاح العقاد ، المغرب العربى ، ص ١٢٢ •

اولا : الوثـــائق :

١ ـ وثيقة رقم (١)

بيان من الجنرال (دانريمون) حاكم بلاد شمال افريقيا ، يوضح فيه بان فرنسا لن تتخلى عن الجزائر وبانه بعد سبع سنوات من المعارك حان الوقت لجني الفائدة من احتلال الجزائر .

المصـــدر :

أرشيف قسنطينة .

٢ ـ وثيقة رقم (٢)

مكتوبة بخط يد الامير الى الجنرال (بيجو) يطلب منه الالتزام بتنفيذ الصلح الذى وقع بينهم ووافق عليه سلطان الفرنصيص وتعهد لـه بالوفاء بما تم الاتفاق عليه فى ٢٥ ربيع أول عام ١٢٥٤هـ .

المصـــدر :

أرشيف ولاية قسنطينة ـ الجزائر .

٢ ـ وثيقة رقم (٣) :

الغزو الفرنسى للجزائر فى وثيقة امريكية معاصرة منشورة فى حوليات كلية الاداب جامعة الكويت (الكويت ١٩٨٨م) .

ثانيا : المراجع العربية والمعربة :

١ ـ ابو القاسم سعد الله (دكتور) :
ابحاث وآراء فى تاريخ الجزائر . ج ١ ، الجزائر ١٩٨١ .

٢ ـ ابو القاسم سعد الله (دكتور) :
الحركة الوطنية الجزائرية . ج ٢ ، (١٩٧٧) .

٣ ـ ابو القاسم سعد الله (دكتور) :
محاضرات فى تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال . (القاهرة١٩٧٦).

٤ ـ ابو العباس احمد بن خالد الناصرى :
الاستقصاء . ج ٩ ، (الدار البيضاء ، ١٩٥٦) .

٥ ـ اديب حـرب :
التاريخ العسكرى والادارى للامير عبد القادر (١٨٠٨ ـ ١٨٤٧).

٦ ـ تشرشل : العقيد هنرى شارل :
حياة الامير عبد القادر ، ترجمة ابو القاسم سعد الله (تونس، ١٩٧٤).

٧ ـ جلال يحيى (دكتور) :
السياسة الفرنسية بالجزائر ، ١٨٣٠ ـ ١٩٦٠ (القاهرة ١٩٥٩).

٨ ـ جـلال يحيى (دكتور) :
المغرب العربى الحديث والمعاصر (الاسكندرية ١٩٦٣) .

٩ ـ شـوقى الجمـل :
المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث (القاهرة ١٩٧٦) .

١٠ـ صلاح العقاد (دكتور) :
المغرب العربى (القاهرة ١٩٦٠) .

١١ـ محمد خير فارس (دكتور) :
تاريخ الجزائر الحديث (د.ت) .

١٢ـ محمد عبد القادر الجزائرى :
تحفة الزائر فى تاريخ الجزائر والامير عبد القادر ، (بيروت ١٩٦٤) .

ثالثا : دوريـــات :

« الامير عبد القادر الجزائرى » .

* سلسلة ابطال العرب ـ العدد ١٣ ـ بيروت ١٩٧٥ .

رابعا : مراجع اجنبية :

1 — Arnaud, L. : Siege d'Madhi, (Paris 1864).

2 — Churchil, C. H. : The life of Abdul. Kader, 1867.

3 — Julien Ch. A. histaire de l'A lgerie Contemporoine, (Paris, 1964).

4 — Hardi, G. : Histaire des colones Francaise, (Paris, 1929).;

5 — Revie d'Histore moderne et contemporaine, (Paris, 1967) .

6 — Sholer William. Sketches of Algiers, Boston, 1826.

7 — Martin B. G. Moolem Brotherhoods in 19th century Africa, London, 1936.

8 — Lucas, Dubrelon : Bugeaud, Le Soldat, le depute, le Colonisateur, (Paris, 1931).

9 — Valee to Min Sec. d'Etat au dep de la Guerre, 17 Aug., 1839 in ANP. F. 80. 16730 (Archives Nationales des Paris).

الكهرباء فى اقليم غرب افريقيا

د. سلطان فولى حسن
المدرس بقسم الجغرافيا بالمعهد

مقدمـــــة :

تعتبر الطـاقة الكهربائية انتاجا واسـتهلاكا احدى دعائم التنميـة الاقتصادية والاجتماعية فى معظم دول العالم ومن بينها دول القارة الافريقية بما فيها دول اقليم غرب افريقيا ، وهناك علاقة وثيقة بين معدل زيادة الدخل القومى ومعدل زيادة استهلاك الكهرباء بحيث اصبح من الممكن قياس تقدم الدول المختلفة بما يستهلكه الفرد من الكهرباء .

وتلعب الكهرباء دورا حيويا فى مجالات النشاط الاقتصادى المختلفة ، ففى قطاع الصناعة تعتبر الكهرباء هى المحرك الرئيسى لأدوات الانتاج ، بل هناك بعض الصناعات التى تعتمد على الكهرباء كمادة خام كالصناعات الكهرو معدنية مثل تكرير الالومنيوم والنحاس والاسـمدة الكيماوية والحديد والصلب وغيرها . وفى قطاع الزراعة تستخدم الكهرباء فى ادارة طلمبات الرى والصرف لرى الاراضى المنخفضة ، وبالتالى تسهم الكهرباء بشكل غير مباشر فى زيادة الانتاج الزراعى وتوفير الغذاء لمواجهة الزيادة السكانية الكبيرة فى دول العالم المختلفة .

وفى قطاع النقل والمواصلات تستخدم الكهرباء فى الجر الكهربائى كالقطارات الكهربائية وخطوط المترو والترام ، وكذلك فى تشـغيل جميع وسائل الاتصال .

والكهرباء طاقة ثانوية يتم انتاجها من المصادر الاولية كالفحم والبترول والغـاز الطبيعى والوقود النووى والقـوى المـائية والرياح والطـاقة الشمسية وغيرها مع ملاحظة ان الكهرباء تختلف عن مصادر الطاقة الاخرى فى انها غير قابلة للتخزين .

وسنحاول فى هـذا البحث التعرف على انتاج واسـتهلاك الطاقة الكهربائية بأنواعها المختلفة فى واحد من أقاليم القارة الافريقية وهو اقليم

غرب افريقيا متناولين فى ذلك التعرف على مصادر الطاقة فى القارة الافريقية من حيث الانتاج والاستهلاك ، ثم التعرف على انتاج واستهلاك الكهرباء فى القارة الافريقية بايجاز ، وايضا التعرف على انتاج الكهرباء فى غرب افريقيا اجمالا وبنوعيها ثم انتاج الكهرباء على مستوى دول الاقليم ، كذلك التعرف على استهلاك الكهرباء فى الاقليم •

ومع صعوبة الحصول على البيانات الاحصائية التفصيلية على مستوى دول الاقليم ، فقد حاولت قدر المستطاع جمع البيانات التى تخدم فى اعطاء صورة واضحة وجلية لانتاج واستهلاك الكهرباء فى الاقليم •

تحديد الاقليم :

يعد أقليم غرب افريقيا من الاقاليم الجغرافية الرئيسية فى القارة الافريقية يحده من الجنوب والغرب المحيط الاطلنطى ، ومن الشرق الكمرون ومرتفعات ادماوا والتى تفصل ما بين غرب افريقيا وافريقيا الاستوائية • وحد الاقليم الشمالى أقل وضوحا من الحدود الاخرى • ومن ثم اعتمد البعض على خط المطر المتساوى ٢٥٠ مم كحد شمالى للاقليم ، وهذا الخط بصفة عامة يمكن القول بأنه يسير مع دائرة عرض ١٥°ش • ومن ثم فانه يدخل الاجزاء الجنوبية من كل من موريتانيا ومالى والنيجر ومن ثم فان هذا الخط لا يتمشى مع الدراسة اذ ان البيانات الاحصائية تأتى على مستوى الوحدات السياسية • ومن ثم فاننا سنعتبر ان الحد الشمالى للاقليم يسير مع الحد الشمالى لكل من موريتانيا ومالى والنيجر •

وتقدر المساحة الاجمالية للاقليم بنحو ٦٫٢ مليون كم٢ ، أو ما يعادل نحو ثلثى مساحة الولايات المتحدة الامريكية • ويقدر عدد السكان بنحو ١٩٥ مليون نسمة فى سنة ١٩٩١ ــ وتندرج كميات المطر فى الاقليم من الاقاليم الاستوائية حيث تزيد كميات المطر السنوى عن ٢٠٠٠ مم سنويا بما يسمح بنمو الغابات الاستوائية والتى تأخذ فى التدريج والتباعد مع انخفاض كميات الامطار حتى تصل الى حدود الصحراء بكميات الامطار المحدودة التى تقل عن ٢٥٠ مم من المطر السنوى وما بين الاثنين يوجد نطاق السافانا بأنواعه المختلفة •

ويضم اقليم غرب افريقيا سياسيا الستة عشر دولة الاعضاء فى المجموعة الاقتصادية لغرب افريقيا « الاكواس »
Economic Community of West African States «E.C.O.W.A.S.»

وهذه الدول هى :

كوت ديفوار — مالى — موريتانيا — النيجر — السنغال — بوركينا فاسو — بنين — راس فرد — جامبيا — غانا — غينيا — غينيا بيساو — نيجريا — توجو — ليبريا — سيراليون •

الطاقة فى افريقيا :

تساهم القارة الافريقية بنحو ٤٩٥ر١ مليون طن مترى معادل بترول (١) سنة ١٩٩٢ ، وهو ما يشكل نحو ٦ر٥٪ من اجمالى انتاج الطاقة فى العالم بمصادرها المختلفة وهى بذلك تحتل المركز الرابع بين قارات العالم فى انتاج الطاقة اذ تأتى بعد كل من آسيا وامريكا الشمالية واوربا ويليها كل من امريكا الجنوبية واستراليا •

ويعد البترول هو المصدر الاساسى للطاقة فى القارة الافريقية اذ يشارك بمفرده بنحو ثلثى اجمالى الطاقة المنتجة بالقارة (٦٦٪) على حين يحتل الفحم المركز الثانى بنصيب يقدر بنحو خمس اجمالى الطاقة المنتجة فى افريقيا ، بينما يساهم الغاز الطبيعى بنحو ١٣٪ ، بينما لا يزيد نصيب الكهرباء عن ١٪ فقط من اجمالى الطاقة المنتجة فى القارة الافريقية فى عام ١٩٩٠ وبمعنى آخر يمكن القول ان البترول والغاز الطبيعى يساهمان معا بنحو $\frac{4}{5}$ انتاج الطاقة فى القارة الافريقية ، بينما يساهم الفحم والكهرباء بنوعيها بالخمس الباقى •

وعلى الرغم من أن القارة الافريقية تشارك بنحو ٦ر٥٪ من اجمالى انتاج الطاقة فى العالم الا انه يلاحظ ان القارة الافريقية لا يزيد نصيبها من الطاقة المستهلكة فى العالم عن ٢ر٧٪ فى سنة ١٩٩٠ اذ قدر حجم استهلاكها بنحو ١٩٢ر٣ مليون طن مترى معادل بترول موزعة على مصادر الطاقة المختلفة حيث يساهم الفحم بنحو ٣٦ر٧٠٪ من الطاقة المستهلكة فى القارة

(١) U.N. Energy Statistics Year Book, New York, 1992, p. 56.

بينما يساهم البترول والغاز الطبيعي بنحو ـ ر٦١٪ على حين تساهم الكهرباء بنحو ٣ر٢٪ ٠

وعلى الرغم من ضآلة نصيب القارة الافريقية فى انتاج الطاقة بمصادرها المختلفة الا ان القارة تساهم بنحو ٢ر١٣٪ من اجمالى صادرات الطاقة ممثله على وجه الخصوص فى صادرات البترول والغاز الطبيعى ٠ بما يجعلها تحتل المركز الثالث بين قارات العالم فى تصدير الطاقة بعد كل من آسياوأوربا ٠ ويعد هذا مؤشرا على التخلف الصناعى فى القارة اذ أنه من المعلوم ان هناك علاقة وثيقة بين استهلاك الطاقة وبين النمو الاقتصادى ٠ ومن ناحية أخرى فقد تبين ان القارة الافريقية لا تشارك فى واردات الطاقة الا بنسبة محدودة لا تزيد عن ٢٪ من اجمالى الواردات وهذه تتمثل على وجه الخصوص فى المنتجات البترولية (**) ٠

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول ان القارة الافريقية تتميز بأنخفاض نصيبها فى انتاج الطاقة بمصادرها المختلفة ، وعلى الرغم من هذا فان القارة لاتستهلك ما تنتجه كنتيجة طبيعية للتخلف الاقتصادى والاجتماعى حيث لايزال الاعتماد على الخامات الاولية الزراعية والتعدينية وحداثة القارة فى المجال الصناعى ، ومن ثم فان الصناعة ـ مع ملاحظة ان الصناعة هى القطاع الرئيسى فى استهلاك الطاقة بمصادرها المختلفة ـ لاتزال فى مراحلها الاولى فى جل الدول الافريقية ـ وأن أغلب الصناعات القائمة ممثلة فى الأساس فى صناعات اعداد الخامات الزراعية والمعدنية وهى صناعات قليلة الاستهلاك من الطاقة ٠

ويفسر لنا ما سبق ضآلة نصيب الفرد فى القارة الافريقية من الطاقة ، فعلى حين يصل متوسط نصيب الفرد من الطاقة على مستوى العالم نحو ١٣٥٢ كيلو جرام معادل بترول فى ١٩٩٠ ، نجد ان متوسط نصيب الفرد من الطاقة فى القارة الافريقية لا يزيد عن خمس المتوسط العالمى (٢٩٩ كجرام معادل بترول) ٠

(**) تجدر الاشارة الى ان ما يقرب من ربع دول القارة الافريقية لا يملك معامل تكرير البترول ويعتمد فى سد احتياجاته من المنتجات البترولية على الواردات من الخارج ٠

الكهرباء فى افريقيــا :

يبلغ انتاج قارة افريقيا من الكهرباء نحو ٣٢٥ مليار ك•و•س سنة ١٩٩١ وهو ما يعادل نحو ٢ر٩٪ من اجمالى انتاج الكهرباء فى العالم ، وهذا القدر يعد ضئيل للغاية اذ قورن بامكانيات القارة الافريقية الهائلة الممكن توليد الكهرباء منها لا سيما الطاقة الكهرومائية حيث يتوفر العديد من المساقط المائية المناسبة لانشاء السدود وتوليد الكهرباء •

لكننا نجد الصورة على العكس تماما اذا نظرنا الى تركيب الكهرباء فى القارة الافريقية نلاحظ ان اكثر من ٤/٥ الطاقة الكهربائية المولدة تأتى من المحطات الحرارية على حين تساهم الكهرباء المائية بأقل من خمس الكهرباء المنتجة بالقارة ، وتساهم المصادر الاخرى كالمحطات النووية أو الحرارية الارضية بالنسبة الضئيلة الباقية •

بلغت القدرة المركبة (*) لانتاج الكهرباء فى القارة الافريقية بنحو ٧٢ر٧ مليون م•و وهو ما يعادل نحو ٢ر٧٪ من القدرة المركبة لانتاج الكهرباء فى العالم وهى بهذا تأتى فى المركز قبل الاخير بين قارات العالم قبل استراليا وتوزع هذه القدرة على المصادر المختلفة ، اذ تشارك الكهرباء الحرارية بنحو ٧٢٪ من اجمالى القدرة المركبة فى القارة الافريقية بينما يصل نصيب الكهرباء المائية الى نحو ٢٦ر٦٪ من اجمالى القدرة المركبة فى القارة الافريقية فى سنة ١٩٩٠ وتتوزع النسبة الباقية على الكهرباء النووية والحرارية الارضية (**) •

وقد شهدت القارة الافريقية أكبر معدلات نمو فى انتاج الكهرباء خلال فترة ما بعد الاستقلال اذا ركزت معظم الدول الافريقية فى وضع خطط التنمية الاقتصادية لاسيما الاتجاه نحو التصنيع اذ ادركت اهمية تصدير منتجاتها فى صورة مصنوعة أو على الاقل نصف مصنوعة فقامت فيها العديد من المشروعات الخاصة باعداد الخامات الزراعية وتجهيز الصادرات المعدنية وقد تطلب هذا بالضرورة توفر الطاقة الكهربائية ، ومن ثم فقد احتوت

(*) القدرة المركبة هى طاقة المولدات الكهربائية ومقاس بالكليو وات والميجاوات وهى تعطى فكرة عن حجم المحطة .

(**) يقتصر وجود المحطات النووية على جمهورية جنوب افريقيا على حين يقتصر وجود المحطات الحرارية الارضية على كينيا فقط وهى محطة ذات قدرة محدودة .

خطط التنمية الاقتصادية على العديد من مشروعات توليد الكهـرباء سواء انشـاء محطات حرارية أو مشروعات سـدود لتوليد الكهرباء المائيـة هذا بالاضافة الى قيام الدول الافريقيـة باقامة مشروعات لكهربة الريف وتوصيل الكهرباء الى المناطق الريفيـة من اجل العمل على تطوير هذه المناطق وللمساعدة فى الحد من هجرة سكان الريف الى المدن • وقد ترتب على هذا زيادة ونمو انتاج الكهرباء فى القارة الافريقية وعلى سبيل المثـال فقـد قدر انتاج الكهرباء فى سـنة ١٩٥٠ بنحو ١٤ر٧ ك•و•س• كانت الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٩٢٪ منها على حين كانت الكهرباء المـائية تشكل النسبة الباقية زاد الانتاج سنة ١٩٦٠ الى نحو ٣٦ مليار ك•و•س• ثم الى نحو ٨٧ر٤ مليار ك•و•س فى سنة ١٩٧٠ كانت الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٧١٪ منها بينما كانت الكهرباء المائية تساهم بالنسبة البـاقية مما يدل على التوسع الكبير خلال هذه الفترة فى انشاء السدود وبالتـالى توليد الطاقةالكهرومائية•يلاحظ نمو انتاج القارة منالطاقة الكهرومائيةمن ٢ر١ مليار ك•و•س• سنة ١٩٥٠ الى نحو ٢٥ مليار ك•و•س فى سنة١٩٧٠ اى (١) تضاعف نحو ٢٠ مرة •

وقد قدر اجمالى انتاج القارة الافريقية من الكهرباء بنوعيها فى سنة١٩٨٠ بنحو ١٨٦ مليار ك•و•س ثم أخذت فى النمو التدريجى المستمر حتى بلـغ اجمالى انتاج الكهرباء نحو ٣٢٥ مليار ك•و•س فى سنـة ١٩٩١م وكانت الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٨٢ر٢٪ منها وتشارك المصادر الاخرى بالنسبة الباقية •

ويمكن ان نتبين ذلك من الجدول التالى :

انتاج الكهرباء فى افريقيا حسب النوع

١٩٨٠ ـــ ١٩٩١ مليار ك•و•س(٢)

النـــوع	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
حـــرارية	١٢٤ر٩	١٤٠ر٦	١٤٦ر٨	١٦٢ر١	١٧٣ر٨	١٩٤ر٥
	٢٢٤ر٩	٢٣٥ر٧	٢٤٨	٢٥٧ر٤	٢٦١ر٢	٢٦٧ر١
مائيـــة	٦١ر١	٥٣ر٤	٥٣ر٥	٥١ر٢	٤٦ر٢	٤٥ر٧
	٤٦ر٨	٤٦ر٧	٤٦ر٩	٤٧ر٨	٤٩ر٦	٥٣ر٣
اجمـــالى	١٨٦	١٩٤	٢٠٠ر٣	٢١٣ر٣	٢٢٠ر	٢٤٠ر٢
	٢٧١ر٧	٢٨٢ر٤	٢٩٤ر٩	٣٠٥ر٢	٣١٠ر٨	٣٢٠ر٤

(١) U.N. Statistical Yearbook, New york 1975, p. 575. —

(٢) سنوات مختلفة من

ويلاحظ من الجدول السابق ان الكهرباء الحرارية اخذت فى النمو المستمر خلال الفترة من ١٩٨٠ حتى سنة ١٩٩١ بينما يلاحظ ان الكهرباء المائية حققت اعلى معدلات انتاجها فى سنة ١٩٨٠ ثم انخفضت وحققت أقل حجم انتاج لها فى سنة ١٩٨٥ ويمكن ارجاع ذلك فى الاساس الى حدوث الجفاف خلال الفترة من ١٩٨١ ـ ١٩٨٥م مما ترتب عليه حدوث عجز فى المياه اللازمة لتوليد الكهرباء •

انتاج الكهرباء فى غرب افريقيا :

١ ـ القدرة المركبة :

يصل اجمالى القدرة المركبة لانتاج الكهرباء فى افريقيا الى نحو ٧٢ر٦ مليون م•م وتشكل الكهرباء الحرارية نحو ٧٢٪ من اجمالى القدرة المركبة لتوليد الكهرباء فى افريقيا على حين تشكل الكهرباء المائية نحو ٢٦ر٥٪ من اجمالى القدرة المركبة بالقارة ، وتشكل الكهرباء النووية والحرارية الارضية النسبة الباقية (١) •

ويتباين توزيع قدرات توليد الكهرباء من اقليم الى آخر بين اقاليم القارة اذ يأتى أقليم جنوب افريقيا فى المركز الاول بين اقاليم القارة اذ يمتلك ما يقدر بنحو ٤٦ر٢٪ من قدرات توليد الكهرباء فى القارة الافريقية مع ملاحظة ان الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٧٩٪ من هذه القدرات •

ويأتى اقليم شمال افريقيا فى المركز الثانى بين اقاليم القارة الافريقية من حيث قدرات توليد الكهرباء اذ يمتلك نحو ٣٥٪ من قدرات توليد الكهرباء فى افريقيا مع ملاحظة ان الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٨٥٪ من قدرات توليد الكهرباء فى الاقليم • ويحتل اقليم غرب افريقيا المركز الثالث بين اقاليم القارة بقدرة تصل الى نحو ١٠ر٦٪ من اجمالى قدرات التوليد فى القارة مع ملاحظة ان الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٤٦ر٣٪ من قدرات توليد الكهرباء فى الاقليم وتشكل الكهرباء المائية ٥٣ر٧٪ •

---

(١) الارقام من U.N. Energy Etatistics Year book, op. cit. p. 760. والنسب من حساب الباحث •

وتحتل نيجيريا المركز الاول بين دول اقليم غرب افريقيا من حيث القدرة المركبة لتوليد الكهرباء اذ تمتلك بمفردها أكثر من نصف القدرة المركبة لتوليد الكهرباء فى الاقليم ، وتأتى غانا فى المركز الثانى اذ يصل نصيبها الى نحو ١٥ر٥٪ وتأتى كوت ديفوار فى المركز الثالث بنصبب يصل الى نحو ١٥٪ وبذلك يصل نصيب الدول الثلاث الى ما يقرب من ٨٤٪ من اجمالى القدرة المركبة فى الاقليم .

٢ ـ الانتاج :

يختلف توزيع الانتاج الفعلى للكهرباء على مستوى الاقاليم الافريقية عن القدرة المركبة ويحتل اقليم جنوب افريقيا المركز الاول بين اقاليم القارة من حيث انتاج الكهرباء فى سنة ١٩٩٠ فقد قدر نصيب الاقليم من انتاج الكهرباء فى افريقيا بنحو ٥٩٪ من اجمالى الانتاج مع ملاحظة ان انتاج الكهرباء بالاقليم يتركز بصفة اساسية فى الكهرباء الحرارية ويرجع ذلك لقلة المجارى المائية الدائمة الجريان التى تمكن من قيام مشروعات كبيرة لتوليد الكهرباء ومن ثم فان الكهرباء الحرارية تعد هى عماد الكهرباء المولدة فى الاقليم اذ تساهم بنحو ٩١٪ بينما لا تساهم الكهرباء المائية الا بنحو ٧ر٥٪ فى عام ١٩٩٠ وتشارك الكهرباء النووية بالنسبة الباقية ..

ويحتل اقليم شمال افريقيا المركز الثانى بين اقاليم القارة الافريقية فى انتاج الكهرباء حيث بلغ نصيبه فى عام ١٩٩٠ نحو ٢٩٪ من اجمالى انتاج القارة الافريقية ، وتشارك الكهرباء الحرارية ايضا بالنصيب الاكبر من انتاج الكهرباء اذ تساهم بنحو ٨٩٪ وهذا راجع فى الاساس الى قلة المجارى المائية الدائمة الجريان وان وجدت فهى قصيرة قليلة الصرف كما هو الحال فى المملكة المغربية .

ويحتل اقليم غرب افريقيا المركز الثالث بين اقاليم القارة الافريقيه اذ يقدر نصيب الاقليم بنحو ٦ر٥٪ فقط من انتاج القارة الافريقية من الكهرباء وهذا نصيب قليل بالقياس لعدد الوحدات السياسية للاقليم ومساحته وعدد سكانه . وتشكل الكهرباء الحرارية نحو ٥٣٪ من اجمالى الكهرباء المنتجة بالاقليم على حين تشكل الكهرباء المائية النسبة الباقية .

ويتركز الانتاج بصفة أساسية فى نيجيريا التى تساهم بنحو ٤٨ر٧٪ من اجمالى انتاج الاقليم ، ثم تأتى غانا فى المركز الثانى بنصيب يصل الى ربع انتاج الاقليم من الكهرباء • وتأتى كوت ديفوار فى المركز الثالث وتساهم الدول الثلاث المذكورة بنحو ٨٦ر٢٪ من اجمالى انتاج أقليم غرب افريقيا من الكهرباء •

وتجدر الاشارة الى ان نيجيريا تساهم بنحو ثلاثة أرباع انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية على حين تساهم غانا بنحو ٥٥٪ من انتاج الاقليم من الكهرباء المائية •

الكهرباء الحرارية فى غرب افريقيا

Thermal Electricity in West Africa

بلغ انتاج الكهرباء الحرارية فى الاقليم نحو ١٠ر٩ مليار ك•و•س سنة ١٩٩١(١) وهى بذلك تشكل نحو ٥١٪ من اجمالى انتاج الاقليم من الكهرباء • وقد شهدت الكهرباء الحرارية تطورا كبيرا فى السنوات الاخيرة وعلى سبيل المثال زاد الانتاج من ٦ مليار ك•و•س سنة ١٩٨٠ الى ١٠ر٢ مليار ك•و•س فى سنة ١٩٨٣ واستمرت فى النمو حتى حققت اعلى معدلات الانتاج فى سنة ١٩٨٧ حيث بلغ الانتاج نحو ١١ر٢ مليار ك•و•س وهو أكبر حجم انتاج خلال الفترة من ٨٠ — ١٩٩١ •

ويمكن ان نلاحظ على الكهرباء الحرارية فى الاقليم ما يلى :

فى سنة ١٩٨٠ كانت الكهرباء الحرارية فى الاقاليم مركزة بصفة اساسية فى كل من نيجيريا والتى كانت تساهم بمفردها بنحو ٥٥٪ من اجمالى انتاج الكهرباء الحرارية (بلغ انتاجها من الكهرباء الحرارية نحو ٣٣ر مليار ك•و•س فى هذا العام) بينما كانت ليبريا فى المركز الثانى اذ بلغ انتاجها من الكهرباء الحرارية بنحو ١٠٪ من اجمالى انتاج الكهرباء الحرارية فى الاقليم ثم السنغال فى المركز الثالث بنصيب يصل الى نحو ٩٢ر٪ • وبذلك تساهم الدول الثلاث المذكورة بنحو ثلاثة أرباع انتاج الكهرباء الحرارية فى الاقليم •

فى سنة ١٩٨٥ بلغ اجمالى انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية نحو ١٠ر٧ مليار ك•و•س وبذلك كانت الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٥٨ر٢٪

(١) Ibid, p. 475.

من اجمالى انتاج الكهرباء فى الاقليم • وكانت نيجيريا ايضا تحتل المركز الاول بين دول الاقليم فى انتاج الكهرباء الحرارية اذ بلغ انتاجها نحو ٧٢٪ من اجمالى انتاج الاقليم وكانت السنغال فى المركز الثانى بنصيب يصل الى نحو ٧٪ من اجمالى انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية ثم كوت ديفوار فى المركز الثالث بنصيب يصل الى نحو ٦ر٢٪ من اجمالى انتاج الكهرباء الحرارية فى الاقليم •

فى سنة ١٩٩١ شكلت الكهرباء الحرارية المولدة فى الاقليم نحو ٥١٪ من اجمالى الكهرباء المولدة فكانت نيجيريا تحتل المركز الاول بنسبة ٧١٪ من اجمالى انتاج الاقليم على حين احتلت كوت ديفوار المركز الثانى بنسبة ٧ر٢٪ من اجمالى انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية وجاءت السنغال فى المركز الثالث بنسبة ٩ر٦٪ وبذلك يصل نصيب الدول الثلاث المذكورة الى نحو ٨٥٪ من اجمالى انتاج الكهرباء الحرارية فى الاقليم ويمكن ان يتبين ذلك من الجدول لتالى :

انتاج الكهرباء الحرارية فى غرب افريقيا (مليون ك•و•س)(١)

السنة	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
الانتاج	٦٠٣٩	٦١٨٢	٦٣٠١	١٠٢٣٤	١٠٣٧١	١٠٧٢٥
السنة	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
الانتاج	١٠٩٥٧	١١٢١٢	١١٠٦٤	١٠٨٥٠	١٠٧٦٥	١٠٩٢٠

الكهرباء المائية فى غرب افريقيا :

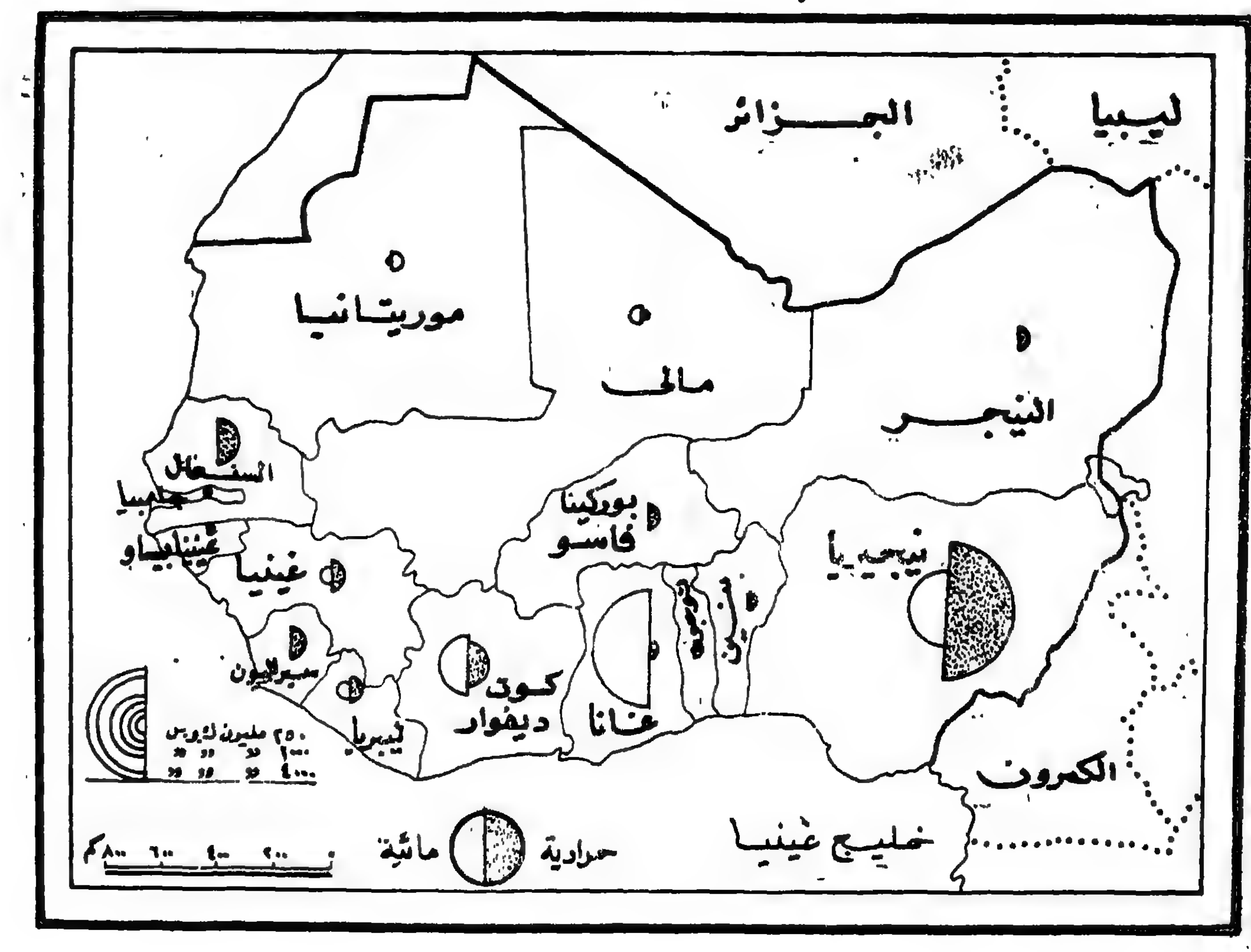
شهد انتاج الكهرباء المائية فى اقليم غرب افريقيا تذبذبا ملحوظا وذلك راجع فى الاساس الى الذبذبات المناخية التى شهدتها المنطقة ولاسيما ظروف الجفاف التى شهدها الاقليم خلال الاعوام ١٩٨٣ — ١٩٨٥

ويجدر الاشارة الى أن الاقليم حقق اعلى المعدلات فى انتاج الكهرباء المائية فى عام ١٩٨١ (٣١ر١١ مليار ك•و•س) بينما حقق أقل المعدلات خلال عام ١٩٨٤ (٦ر٥ مليار ك•و•س) وبذلك لم يمثل انتاج السنة الاخيرة الا أقل من نصف انتاج عام ١٩٨١ — وهو ما يمكن ملاحظته من الجدول التالى :

---

(١) U.N. Statistical Year book, op. cit. p. 783.

انتاج الكهرباء حسب النوع فى دول غرب افريقيا ١٩٩٠



انتاج الكهرباء المائية فى غرب افريقيا (مليون ك.و.س)
١٩٨٠ — ١٩٩١

السنة :	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦
الانتاج :	١٠٦٤٤	١١٣٣٤	١١١١٩	٦٢٩٣	٥٥٥٧	٧٦٣٢	٨٤٩١
السنة :	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١		
الانتاج :	٨٦١١	٩٠٠٢	٩٧١٤	٩٦٦٢	١٠٤٧٤		

ومن الجدول يمكن أن نلاحظ الاتى :

بلغ اجمالى انتاج الكهرباء المائية نحو ١٠٫٦٪ مليار ك.و.س فى سنة ١٩٨٠ وهو ما يعادل نحو ٦٣٫٥٪ من اجمالى انتاج الكهرباء فى غرب افريقيا فى هذا العام . وكانت غانا تأتى على رأس دول الاقليم فى انتاج الكهرباء المائية اذ بلغ انتاجها نحو ٥٫٣ مليار ك.و.س وهو ما يعادل نحو نصف انتاج الاقليم . وكانت نيجيريا تحتل المركز الثانى بحجم انتاج قدر نحو ٣٫٦ مليار ك.و.س أى نحو ثلث انتاج الاقليم من الكهرباء المائية واحتلت كوت ديفوار المركز الثالث بحجم انتاج ١٫٤ مليار ك.و.س وهو ما يعادل ١٣٫٢٪ من اجمالى انتاج الاقليم من الكهرباء المائية ، وبذلك تساهم الدول الثلاث المذكورة بنحو ٩٦٪ من انتاج الاقليم من الكهرباء المائية فى هذا العام .

* بلغ انتاج الاقليم ٧٫٦ مليار ك.و.س فى سنة ١٩٨٥ وهو ما يعادل نحو ٤٢٪ من انتاج الكهرباء فى الاقليم وكانت غانا فى المركز الاول بحجم انتاج قدر بنحو ٣ مليار ك.و.س بنسبة تصل ٣٩٫٥٪ من انتاج الاقليم ، ونيجيريا فى المركز الثانى بنسبة ٢٨٫٦٪ وكوت ديفوار فى المركز الثالث بحجم انتاج قدر بنحو ١٫٩ مليار ك.و.س أى مايعادل ربع انتاج الاقليم وبذلك ساهمت الدول الثلاث المذكورة بنحو ٩٢٫٢٪ من انتاج الاقليم من الكهرباء المائية (١) .

* فى سنة ١٩٩١ حدث زيادة فى انتاج الاقليم من الكهرباء المائية بالمقارنة بسنة ١٩٨٥ ، حيث بلغ انتاج الاقليم نحو ١٠٫٥ مليار ك.و.س وهو ما يعادل نحو ٤٩٪ من انتاج الاقليم من الكهرباء فى هذا العام

(١) Ibid, p. 475.

وقد تركز الانتاج فى الدول الثلاث المذكورة سابقا وجاءت غانا فى المركز الاول بحيث بلغ انتاجها نحو ٦ر١ مليار ك•و•س أى ما يعادل ٥٩٪ من انتاج الاقليم من الكهرباء المائية بينما احتلت نيجيريا المركز الثانى بحجم انتاج قدر بنحو ٢ر٢ مليار ك•و•س وهو ما يعادل أقل قليلا من خمس انتاج الاقليم وجاءت كوت ديفوار فى المركز الثالث بين دول الاقليم اذ بلغ انتاجها نحو ٦ر١ مليار ك•و•س اى ما يعادل نحو ٤ر١٥٪ من انتاج الكهرباء المائية فى غرب افريقيا وبذلك تساهم الدول الثلاث المذكورة بنسبة ٩٥٪ من انتاج غرب افريقيا من الكهرباء المائية •

توزيع انتاج الكهرباء فى دول الاقليم :

يمكن تقسيم دول غرب افريقيا الى عدة فئات حسب حجم الانتاج فى عام ١٩٩١ وهذه المجموعات هى :

أولا ـ الدول التى يزيد حجم انتاجها عن مليار ك•و•س سنويا :

وتضم هذه المجموعات ثلاث دول هى نيجيريا ، وغانا وكوت ديفوار وتساهم الدول الثلاث بنحو ٤ر٨٦٪ من اجمالى انتاج الكهرباء فى الاقليم وتتميز هذه المجموعة بتنوع الكهرباء بها ما بين كهرباء مائية اذ تساهم بما يقرب من ٩٥٪ من اجمالى انتاج الاقليم منها بينما تساهم باكثر من ثلاثة ارباع انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية •

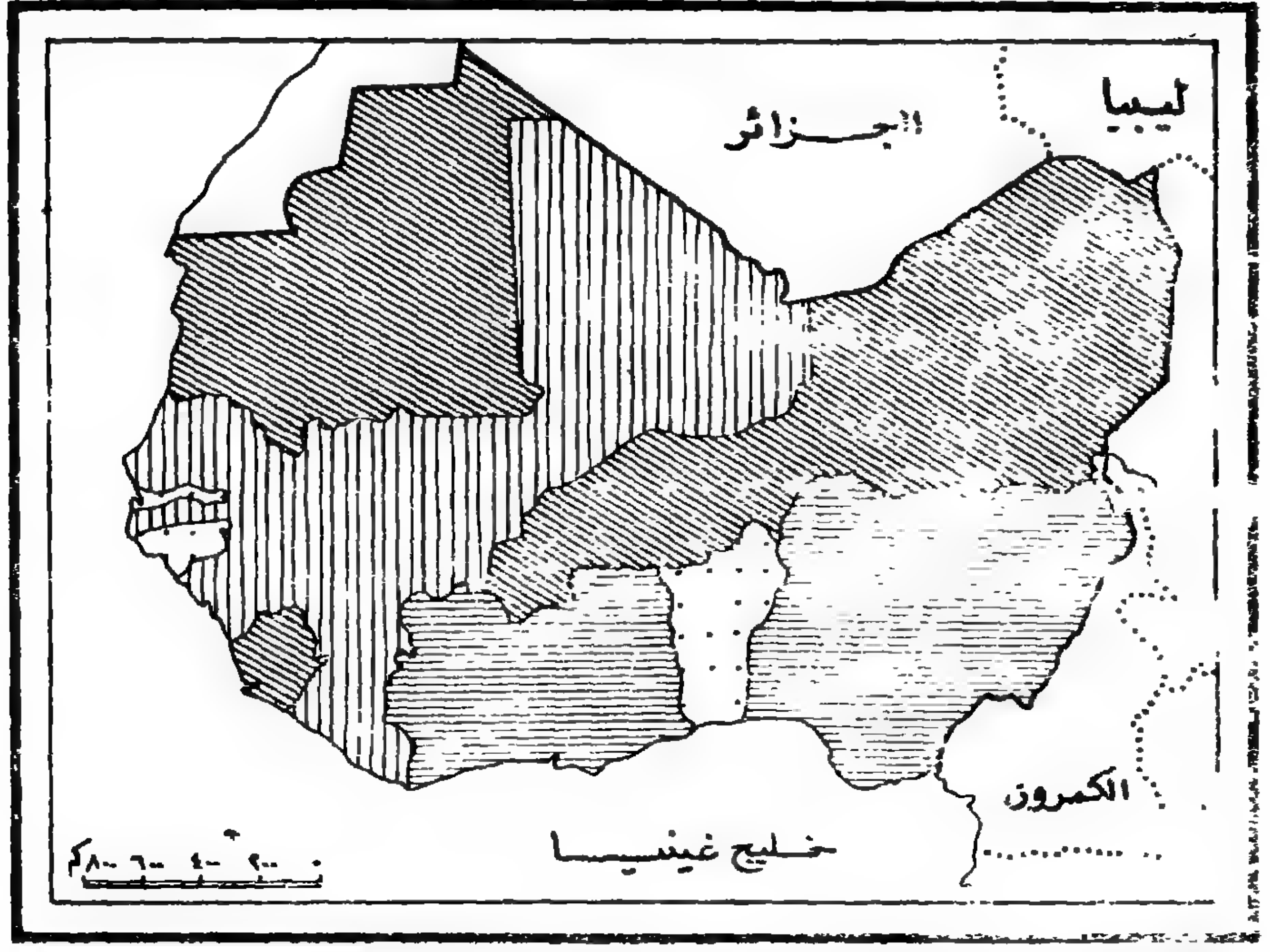
(ا) نيجيريا :

بلغ انتاج الكهرباء فى نيجيريا فى سنة ١٩٩١ نحو ٩٩٥٥ مليون ك•و•س وهو ما يعادل حوالى ٤٧٪ من اجمالى انتاج اقليم غرب افريقيا من الكهرباء وتشارك الكهرباء الحرارية باكثر من ٣/٤ انتاج نيجيريا من الكهرباء وبالرغم من ذلك فان انتاج الكهرباء فى نيجيريا لا يكفيها وفى حاجة شديدة لزيادة انتاجها من الكهرباء اذ أصبح من الاشياء المألوفة انقطاع الكهرباء يوميا فى معظم الولايات(١) •

ونظرا لتوفر الغاز الطبيعى والبترول فان المحطات الحرارية التى تعمل بالغاز الطبيعى هى المنتج الاول للكهرباء فى نيجيريا فقد قدر انتاج الغاز

(1) Europa publications, Africa South of the Sahara, 19th edit., London 1990, p. 781.

تصنيف دول غرب أفريقيا الى فئات حسب إنتاج الكهرباء ١٩٩٠



< من مليار ك.و.س/سنويا
> ١٠٠ مليون ك.و.س/سنويا

الطبيعي فى سنة ١٩٨٠ بـ١ر٧٦٨ بليون قدم٣ لا يستغل منها سوى نحو ٨ر٦ مليون قدم٣ فقط ويتم حرق الباقى دون الاستفادة منه • ويقدر ان المحطات الحرارية تستهلك نحو ٩٠٪ من اجمالى الغاز الطبيعى المستهلك فى البلاد خلال تلك الفترة ويتم استهلاكها عن طريق هيئة الكهرباء النيجيرية : Nigerian Electric Power authority

بينما يستهلك الجزء الباقى عن طريق مستهلكين صغار لاسيما فى الأنشطة الصناعية مثل مصانع البيرة والاسمنت والزجاج وخصوصا تلك الصناعات التى تتوطن بالقرب من حقوق البترول والغاز فى منطقة دلتا النيجر •

وقد زاد استهلاك الغاز الطبيعى الى ما يعادل ١٥٪ من اجمالى الغاز المنتج فى سنة ١٩٨٥ وهذه الزيادة يمكن ارجاعها فى الاساس الى زيادة استهلاك الكهرباء الحرارية المولدة من محطات تعمل بالغاز للعمل على سد الطلب المتزايد من الكهرباء •

ومن المتوقع ان يستمر قطاع الكهرباء فى احتلال المـركز الاول فى استهلاك الغاز الطبيعى فى نيجيريا حتى نهاية هذا القرن ويمكن ان يتبين ذلك من الشكل والجدول التاليين :

استهلاك الغاز الطبيعى فى توليد الكهرباء فى نيجيريا
١٩٨٠ — ٢٠١٠(١)

السـنة	كميات الغاز المستهلكة (مليون طن معادل بترول)	٪من اجمالى الاستهلاك المحلـى
١٩٨٠	١١٠	٥١ر٤٪
١٩٨٥	١٢٤٧	٤٥ر٥
١٩٩٠	٤٣٤٧	٤٨ر٩
١٩٩٥	٧١٥٨	٤٩ر٥
٢٠٠٠	٧٤٣٢	٤١ر٢
٢٠٠٥	٨٤٢٤	٣٥ر٤
٢٠١٠	٨٩٣٥	٢٨ر٨

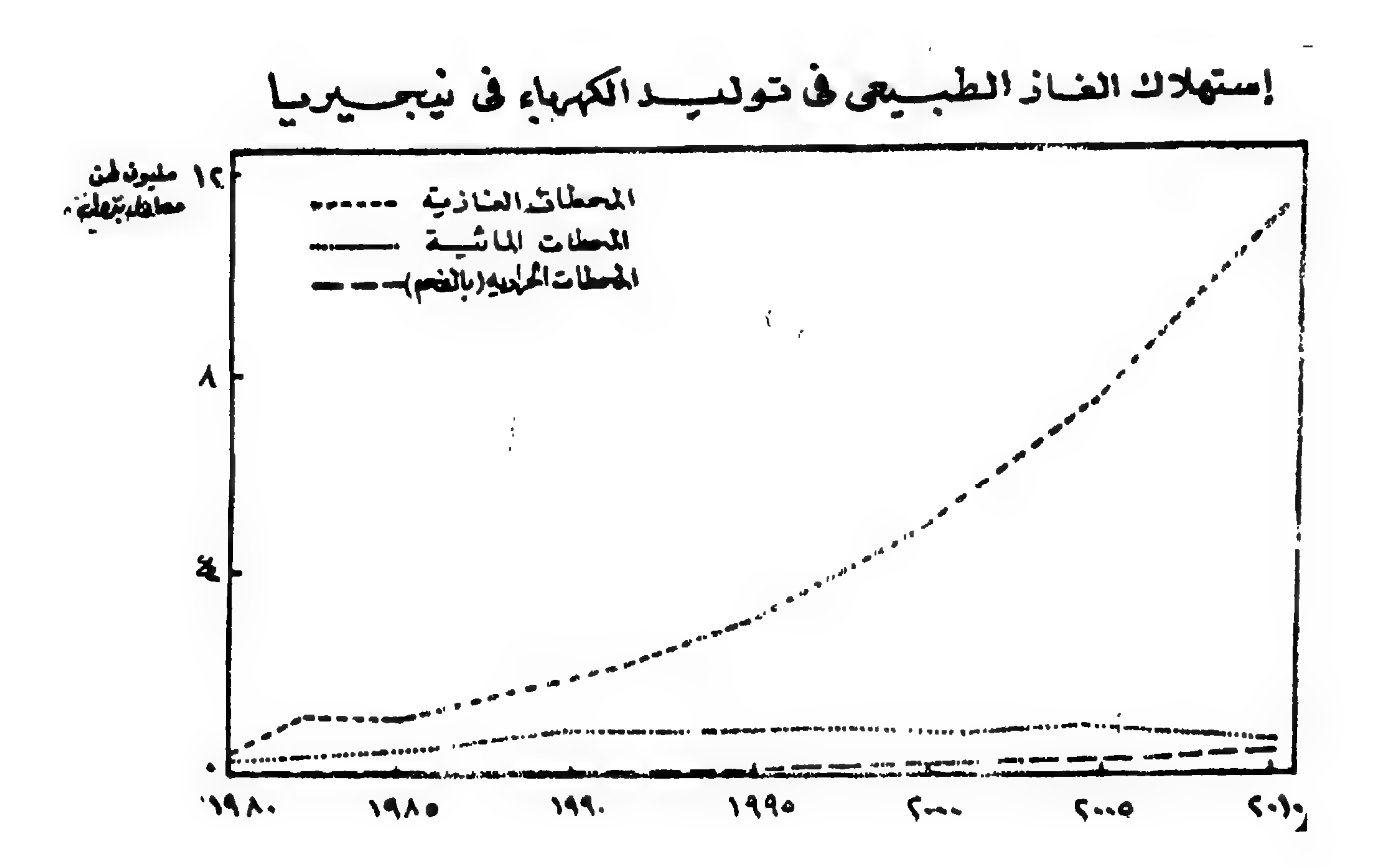
ومن المتوقع ان يستمر قطاع الكهرباء فى استهلاك الجزء الاكبر من انتاج الغاز الطبيعى فى نيجيريا حتى نهاية هذا القرن كما هو موضـح فى الشكل ، وربما يشجع استهلاك المحطات الحرارية التى تعمل بالغـاز على مد شبكات نقل الغاز الطبيعى الى مناطق جديدة وبعيدة عن حقول الانتاج •

وقد أكدت بعض الدراسات ان نيجيريا ستصبح فى حاجة الى زيادة القدرة المركبة لتوليد الكهرباء باضافة نحو ٥٠٠م•و جديدة وعند عقـد مقارنة بين تكاليف اضافة هذه القدرة من خلال محطات حرارية تعمل بالغاز فان تكاليف سـعر ك • و • س تقـدر بنحو ٣ سنت امريكى ونحـو ٨ سنت فى حالة انشاء محطات حرارية تعمل بالفحم المستخرج من المناجم السطحية المكشوفة : Open pit coal ونحو ٨ سنت فى حالة محطات حرارية تعمل بالفحم المعدل من الاعماق Under ground mines

وبناء على ما سبق فمن المتوقع ان يكون المستقبل فى توليد الكهرباء معتمدا على الغاز الطبيعى اذ من المقدر ان يزيد استهـلاك المحطـات الحرارية التى تعمل بالغاز من ١٥٥ مليون قدم٣/ى فى سنة ١٩٨٥ الى نحو ٧٥٣ مليون قدم ٣/ى فى سنة ٢٠١٠ وذلك مع التوسع فى مد شبكات

Felix, b. Dayo & Anthony, O., Utilization of Nigerian Natural Gas Resources Energy Policy, April 1988, p. 125.

إستهلاك الغاز الطبيعي في توليد الكهرباء في نيجيريا



نقل الغاز للمحطات الحرارية البعيدة • من أوضح الامثلة على ذلك خط الانابيب الذى يتم من خلاله تغذية محطة Igbin بالقرب من لاجوس (١) •

ومن أهم المحطات الحرارية التى تعمل بالغاز محطة AFAN والتى تقدر قدرتها المركبة بنحو ٧٤٢م٠و ومحطة Saple ٦٩٦ م٠ر واصغرها محطة لاجوس القديمة ٦٠ م٠و ومحطة Igbin وهى أكبرها من حيث القدرة اذ تصل قدرتها المركبة الى نحو ١٣٢٠م٠و ويتم تغذيتها بالغاز الطبيعى من حقل Escravos وهناك محطة حرارية تعمل بالفحم وتصل قدرتها المركبة الى نحو ١٥٠ م٠و وتوجد على نهر Oji وهناك مجموعة أخرى من المحطات الحرارية الاصغر حجما •

اما عن الكهرباء المائية فقد بدأ العمل فى انشاء محطات توليد كهرومائية منذ ١٩٢٠ حيث افتتحت أول محطة فى منطقة هضبة جوس وخلال هذه الفترة كانت الكهرباء المائية هى أساس انتاج الكهرباء فى نيجيريا على الرغم من التوسع فى انتاج الكهرباء الحرارية لتلبية الطلب المتزايدة على الكهرباء •

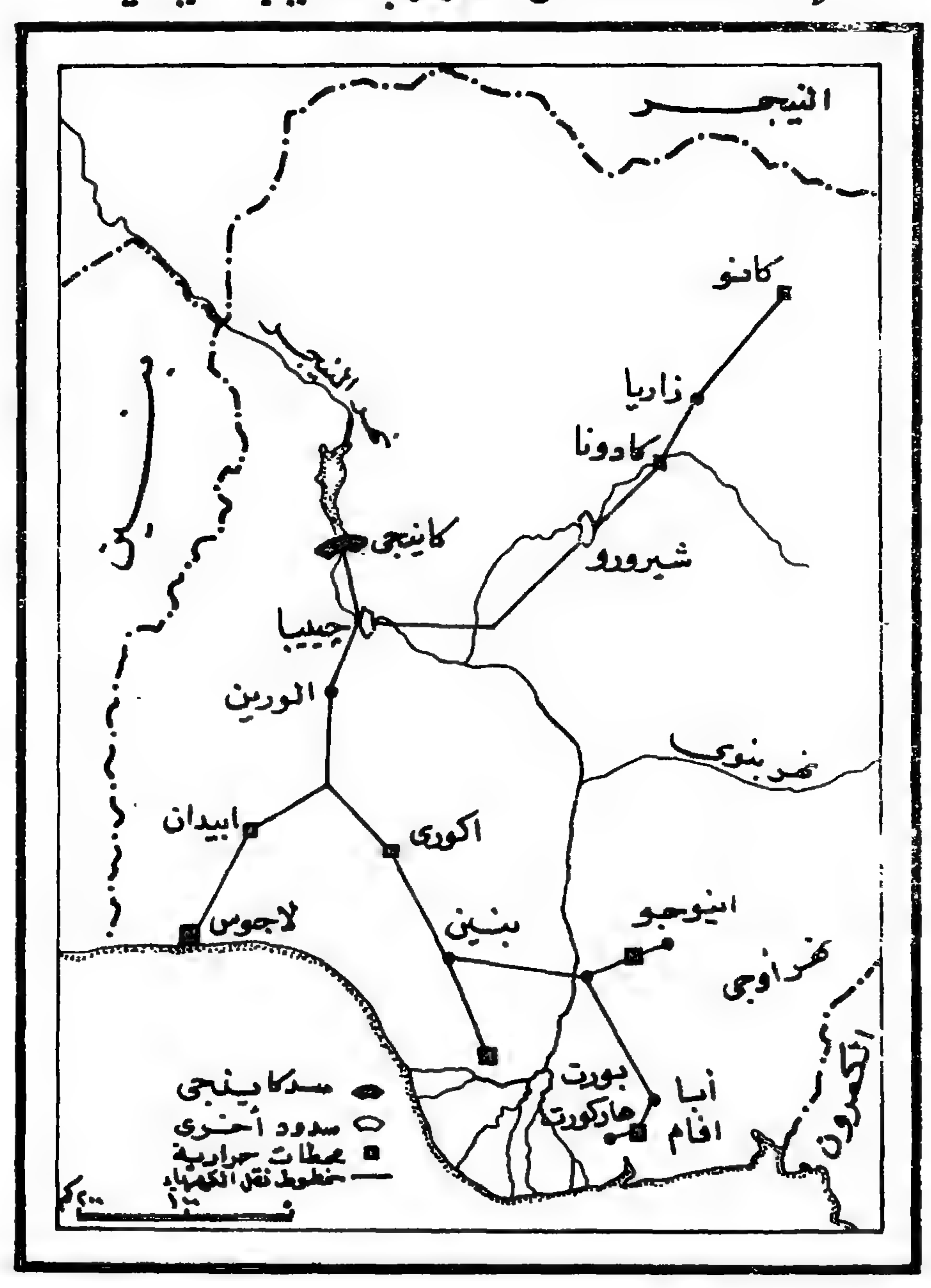
وفى سنة ١٩٥٣ انشأت الحكومة النيجيرية الهيئة الهندسية الاستشارية لدراسة ظروف توليد الطاقة الكهرومائية من كل من نهرى النيجر وبنوى وخلال سنة ١٩٥٨ كانت الحكومة النيجيرية قد انتهت بمساعدة الخبرة البريطانية من اعداد الدراسات اللازمة لتوليد الكهرباء من النهرين ولكن يلاحظ انه خلال هذه الفترة تم اكتشاف البترول والغاز الطبيعى مما دفع الحكومة الى التوسع فى انشاء المحطات الحرارية المعتمدة على البترول والغاز الطبيعى المحلى (٢) •

وقد ترتب على ذلك انخفاض نصيب الكهرباء المائية من اجمالى انتاج الكهرباء حتى أصبحت لاتشكل سوى نحو ١٣٫٥٪ من اجمالى البلاد من الكهرباء فقد استمرت نسبة مساهمة الكهرباء المائية فى الانخفاض حتى تم افتتاح اول مشروعات سدود نهر النيجر والمتمثل فى سد كاينجى حيث ارتفعت نسبة مساهمة الكهرباء المائية من ١١٫٤٪ من

(١) Ibid. p. 125.

(٢) سلطان فولى حسن — مصادر الطاقة فى نيجيريا ، رسالة ماجستير غير منشورة — معهد البحوث والدراسات الافريقية — جامعة القاهرة ١٩٨٨ •

إنتاج ونقل الكهرباء في نيجيريا



اجمالى انتاج الكهرباء فى البلاد سنة ١٩٦٨ الى نحو ٧١٪ فى سنة١٩٦٩ وهى السنة التى تم فيها افتتاح المشروع فقد ارتفع انتاج الكهرباء المائية من ١٢٦ مليون ك٠و٠س فى السنة الاولى الى نحو ٩٢٨ مليون ك٠و٠س فى السنة الاخيرة ٠

وقد اخذت نسبة الكهرباء المائية بالنسبة لاجمالى انتاج الكهرباء فى نيجيريا فى الانخفاض مرة ثانية بعد سنة ١٩٧٧ ولا يمكن ارجاع ذلك الى انخفاض الانتاج وانما يمكن ارجاعه الى التوسع الكبير فى انتاج الكهرباء الحرارية اعتمادا على البترول والغاز الطبيعى المحلى ويتضح ذلك من مقارنة انتاج الكهرباء الحرارية ما بين عامى ٧٧ ــ ١٩٨٤ حيث ارتفع الانتاج من ١ر١ مليار ك٠و٠س فى السنة الاولى بنسبة ١ر٢٧ من اجمالى انتاج الكهرباء الى نحو ٧ر٦ مليار ك٠و٠س فى السنة الاخيرة بنسبة تصل الى نحو ٣ر٧٦٪ من اجمالى انتاج الكهرباء (١) ٠

ويمكن القول ان اهم محطات توليد الكهرباء المائية فى نيجيريا تتمثل فى الآتى :

سد كاينجى تم الانتهاء من انشائه فى سنة ١٩٦٨ ويولد نحو ٩٦٠ م٠و

سد جيبا تم الانتهاء من انشائه فى سنة ١٩٨٢ ويولد نحو ٥٠٠ م٠و

سد شيرورو تم الانتهاء من انشائه فى سنة ١٩٨٦ ويولد نحو ٤٨٠ م٠و

هذا بالاضافة الى بعض المحطات الاخرى الصغيرة الحجم ٠

غانا :

قدر اجمالى انتاج الكهرباء فى غانا فى سنة ١٩٩١ بنحو ٦١٥٢ مليون ك٠و٠س وهو ما يعادل نحو ٢٩٪ من اجمالى انتاج غرب افريقيا من الكهرباء وتشكل الكهرباء المائية اكثر من ٩٩٪ من اجمالى الكهرباء المولدة بها وبمعنى آخر يمكن القول ان محطة سد اكسمبو هى اساس توليد الكهرباء فى غانا ٠

---

(١) المرجع السابق : ص ١٤٤ ٠

ويعتبر مشروع الفولتا من اكبر مشروعات توليد الطاقة الكهرومائية فى غرب افريقيا ضمن اكبر هذه المشروعات فى افريقيا المدارية كما ان تنفيذه يعد اكبر خطوة خطتها غانا فى ميدان التنمية الاقتصادية عامة والتنمية الصناعية خاصة (١) .

وقد بدأ انشاء السد فى عام ١٩٦٢ وتم الانتهاء منه فى اواخر ١٩٦٥ وتم فى البداية تشغيل ٤ تربينات بلغت قدرتها نحو ٥٨٩ الف ك.و واما الطاقة النهائية فقد بلغت نحو ٨٣٣ م.و وبعد تشغيل وحدتين اخريتين ، والى الامام من السد تتكون بحيرة طولها ٣٥٠ ميلا وبمساحة تبلغ ٣٢٧٥ ميلا٢ وهذه تخدم تلافى التذبذبات الفصلية فى التصرفات لضمان وجود الماء اللازم لتوليد الكهرباء على مدار السنة .

وكان الهدف الاساسى من المشروع هو توفير الكهرباء اللازمة لسد حاجة مصهر البوكيسيت والذى يستهلك بمفرده ما يقرب من نصف الكهرباء المولدة من السد .

وتجدر الاشارة الى ان هناك مجموعة من المحطات الحرارية الصغيرة ويعد اكثرها اهمية تلك المحطات المتوطنة فى كل من اكرا وتيما والتى كانت اساس توليد الكهرباء قبل انشاء السد وتعد هاتين المحطتين ذات انتاج ضئيل الآن بالمقارنة بما يتم انتاجه من محطة اوكسمبو (٢) .

فى اوائل الثمانينيات مع حدوث الجفاف وانخفاض منسوب المياه فى نهر الفولتا تم تشكيل هيئة نهر الفولتا Volta River Authority والتى تتولى ادارة وتوليد الكهرباء من بحيرة الفولتا والتى تم تشكيلها بعد سنوات الجفاف الذى اثر بشكل كبير على توليد الكهرباء المائية نتيجة لنقص التصرف المائى والذى ترتبت عليه انخفاض حجم المولد من الكهرباء ويمكن ملاحظة ذلك من الجدول التالى (٣) :

---

(١) محمد عبد الغنى سعودى : سد الفولتا أو (سد أكسمبو) . مجلد معهد البحوث والدراسات الافريقية ــ العدد الثانى ١٩٧٣ ص ٤ .

(٢) A.M., O'Conner, The Geog. Of Tropical African dev. 2ed. New York 1878, p. 126.

U.N. Energy Statistics Yearbook, op. cit., 1980-1992.

انتاج الكهرباء فى غانا

١٩٨٠ — ١٩٩١

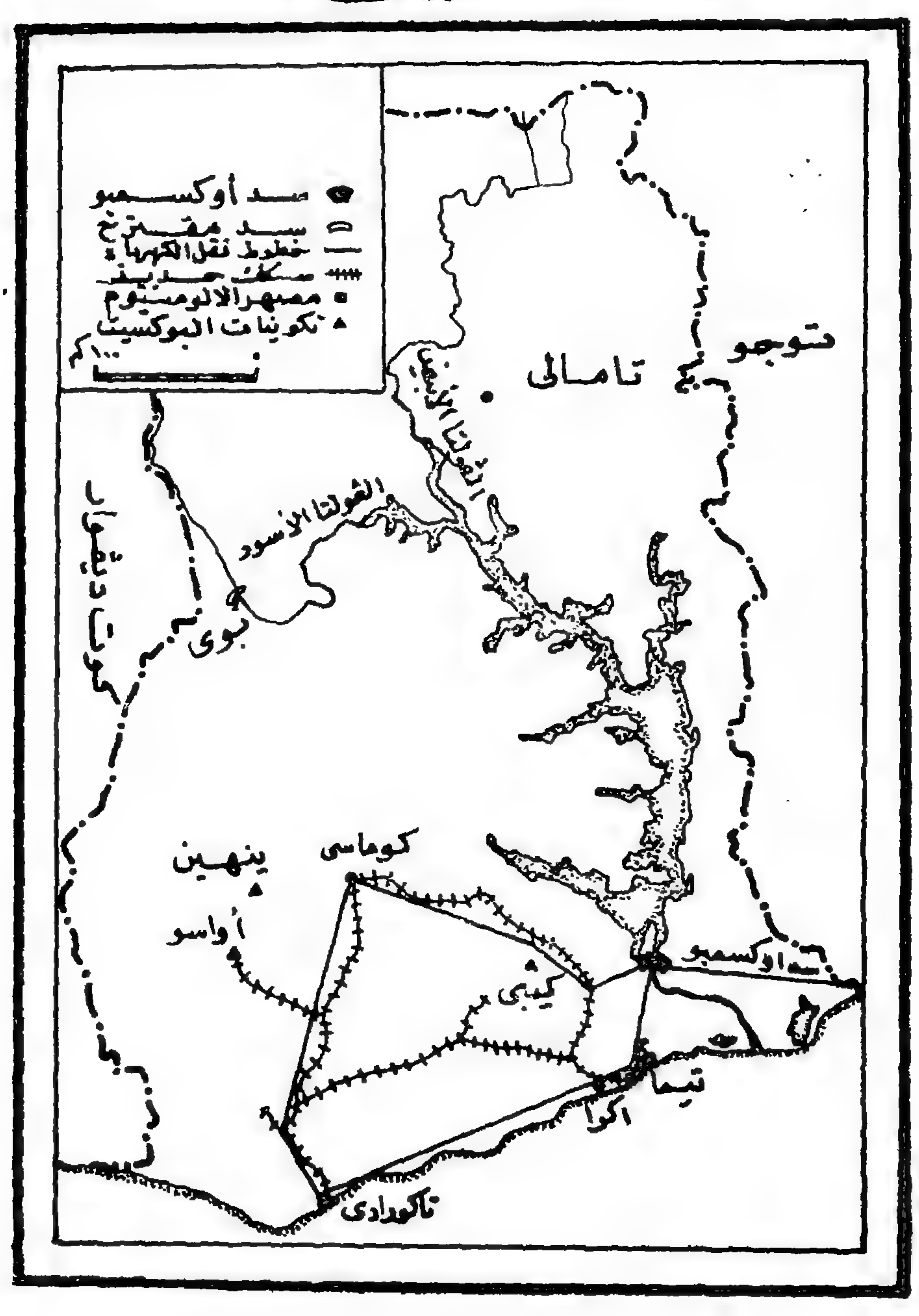
السنة	المائية	الحراريــة	(مليون ك.و.س) الاجمالـــى
١٩٨٠	٥٢٧٦	٤١	٥٣١٧
١٩٨١	٥٣٤١	٤٠	٥٣٨١
١٩٨٢	٤٩٤١	٤٠	٤٩٨١
١٩٨٣	٢٥٤٨	٤٠	٢٥٨٨
١٩٨٤	١٧٩٠	٤٠	١٨٣٠
١٩٨٥	٢٩٩٦	٨١	٣٠٧٧
١٩٨٦	٤٤٣٥	٧٩	٤٥١٤
١٩٨٧	٤٦٧٦	٥٩	٤٧٣٥
١٩٨٨	٤٨٦٠	٥٥	٤٩١٥
١٩٨٩	٥٢٣١	٤٨	٥٢٧٩
١٩٩٠	٥٢٣٥	٥٣	٥٢٨٨
١٩٩١	٦١٠٨	٤٤	٦١٥٢

ومن الجدول يتبين أثر الجفاف ونقص التصرفات على توليد الكهرباء فقد انخفض الانتاج من ٩ر٤ مليار ك.و.س فى سنة ١٩٨٢ الى نحـو ٦ر٢ مليار ك.و.س فى العام التالى ثم الى نحو ٨ر١ مليار ك.و.س فى سنة ١٩٨٤ وهو أقل معـدل انتاج لكهرباء المائية خـلال الفترة المذكورة ومع تحسن الامطار منذ عـام ١٩٨٤ ثم العودة الى معدلات الانتاج العالية وقد عملت الحكومة على زراعة نحو ٢/١ مليون شجرة حول بحر الفولتا من اجل العمل على خفض الفاقد عن طريق البخر .

وهناك مشروع من أجل توصيل الكهرباء المائية الى الاجزاء الشمالية لا سيما الى الاقاليم Upper West, Upper East لخفض الضغط على محطات الديزل الصغيرة التى تعمل فى الشمال .

وهناك أيضا مجموعة من المشروعات من اهمها ربط شبكة توزيع الكهرباء فى غانا مع شبكة توزيع الكهرباء فى كوت ديفوار للعمل على زيادة تصدير الكهرباء الى الاخيرة ، وهناك ايضا خط لنقـل الكهرباء من غانا الى بنين وتوجو وقد افتتح فى سنة ١٩٧٢ بعد تنفيذ انشـاء محطة كهرومائية بقدرة ٤٥٠م.و فى منطقة bui على نهر الفولتا الاسود

مشروعات السدود في غانا



والتى سيخصص انتاجها للتصدير وان كانت هناك صعوبات فى التمويل (١) .

٣ ـ كوت ديفوار :

بلغ انتاجها من الكهرباء فى سنة ١٩٩١ نحو ٢٣٧٦ مليون ك.و.س وهو ما يعادل نحو ١١٪ من اجمالى انتاج الكهرباء فى اقليم غرب افريقيا وتشكل الكهرباء المائية نحو ٢/٣ الكهرباء المولدة بينما تساهم الكهرباء الحرارية بالثلث الباقى .

وقد ساعد النمو الاقتصادى السريع فى كوت ديفوار على زيادة انتاج الكهرباء سواء الحرارية أو المائية ومن اوضح الامثلة على ذلك زيادة اجمالى انتاج الكهرباء من ١٧٤٣ مليون ك.و.س فى سنة ١٩٨٠ الى نحو ٢٣٧٦ مليون ك.و.س فى سنة ١٩٩١ .

وتعد محطة ابيدجان والتى تم انشاؤها فى سنة ٦٣/١٩٦٤ اكبر المحطات الحرارية فى البلاد والتى تم زيادة قدرتها بمقدار ١٥٠ م.و جديدة فى عام ١٩٧٦ وتعتمد المحطة على الوقود المستورد من الخارج (٢) .

وهناك مشروعات جديدة لانشاء محطة تعمل بالغاز الطبيعى تصل قدرتها الى نحو ١٠٠ م.و فى منطقة Vridi

اما عن المحطات الكهرومائية فتعد محطة ايامى Ayame على نهر بيو bio اقدمها حيث تم افتتاحها فى سنة ١٩٦٥ وتبعها انشاء محطة اخرى على نهر بنداما bandama فى منطقة كوسو Kossow بقدرة ١٧٤ م.و. والتى افتتحت فى سنة ١٩٧٣ وقد تكلفت حوالى ٩٠ مليون دولار وكونت بحيرة تقدر مساحتها نحو ١٧٥٠ كم٢ هذا بالاضافة الى محطة اخرى على نهر تابو Taabo واخرى على نهر سسندار Sassandra (٣).

---

(١) Europa Publication, Africa South of the Sahara, op. cit. p. 520.

(٢) A' Conner, op. cit. p. 127.

(٣) Europa Publication, Africa South of the Sahara, op. cit. p. 414.

ثانيا : الدول التى يتراوح انتاجها بين ٣/٤ مليار الى ١/٤ مليـــار ك.و.س سنويا .

وتضم هذه المجموعــة اربع دول هى : الســنغال وغينيا وليبيريا ومالى . وتساهم هذه المجموعة بنحو ٩٫٤٪ من اجمالى انتاج الاقليم ونحو ١٣٫٦٪ من اجمالى انتاج الكهرباء الحرارية فى غرب افريقيا ونحو ٥٪ من اجمالى انتاج الكهرباء المائية بالاقليم .

١ ـ الســنغال :

بلغ اجمالى انتاج الكهرباء فى السنغال نحو ٧٥٦ مليون ك.و.س فى سنة ١٩٩١ وهو ما يعادل نحو ٣٫٥٪ من اجمالى انتاج الكهرباء فى غرب افريقيا وتأتى كلها من الكهرباء الحرارية التى تعتمد فى توليدها على الوقود المستورد من الخارج وتعتبر محطة Capdesbishes احدثها والتى تصل قدرتها المركبة الى نحو ٤٠م.و ولكنها تعمل بنصف قدرتها الآن . وقد افتتحت فى سنة ١٩٨٨ . وقد بدأ العمل منذ سنة ١٩٨٢ فى انشاء محطة كهرومائية فى Manatali على نهر السنغال ، كمشروع مشترك بين كل من السنغال ومالى وموريتانيا وتم الانتهاء منه سنة ١٩٨٨ وكان من المخطط ان تســاهم المحطة بنحو ٨٠٠ مليون ك.و.س فى اوائل سنة ١٩٩٠ والمشروع قائم على عدة مراحل تتمثل المرحلة الأولى فى انشاء سد عند Djowa مصب نهر السنغال ولكن لم يتم التنفيذ حتى الآن خوفا من التأثير على الزراعة التقليدية التى تقوم اعتمادا على الفيضانات الموسمية .

٢ ـ غينيـــا :

بلغ اجمالى انتاجها من الكهرباء فى سنة ١٩٩١ نحو ٥٢١ مليون ك.و.س أى ما يعادل نحو ٢٫٤٪ من اجمالى الاقليم وتساهم الكهرباء الحرارية بنحو ٢/٣ انتاج الكهرباء بينما تساهم الكهرباء المـائية بالثلث البـاقى .

ويمكن ارجاع النمو الكبير فى انتاج غينيا من الكهرباء الى تطور انتاج الالومينا اذ تستهلك فى صناعة تحويل البوكسيت الى الومينا نحو ٢/٣ الكهرباء المنتجة فى البلاد . وتشارك شركات التعدين فى انتاج ما يقرب

من ثلث الكهرباء المولدة فى البلاد وهناك مشروعات عديدة من أجل توليد الكهرباء المائية منها مشروع على نهر Konkoure بقدرة ٧٥٠م٠و٠ من اجل خدمة مصاهر البوكسيت القريبة من المنطقة ولكن هناك مشاكل فى التمويل ٠

٣ ـ ليبيريا :

بلغ اجمالى انتاج الكهرباء فى ليبيريا نحو ٤٥٠ مليون ك٠و٠س وهو ما يعادل نحو ٢٪ من اجمالى انتاج الكهرباء فى الاقليم ٠ وتساهم الكهرباء الحرارية بنحو ثلثى الانتاج بينما تساهم الكهرباء المائية بالباقى ٠ ويلاحظ ان الكهرباء المولدة فى سنة ١٩٩١ لا تمثل سوى نصف انتاج ليبيريا من الكهرباء فى سنة ١٩٨٠ ويرجع الانخفاض فى الانتاج الى انخفاض انتاج محطة منروفيا أكبر المحطات الحرارية فى البلاد مما ادى الى ضرورة تجديد المحطة حيث تم اعتماد مبلغ ٢ر٥ مليون دولار من أجل تطويرها بقطع الغيار اللازمة[١] ٠

وتعد محطة Mt. Coffeeplant هى اساس توليد الكهرباء المائية فى البلاد وان كان قد اصابتها بعض الاعطال فى الاعوام الاخيرة لا سيما بعد سنوات الجفاف ومن أوضح الأمثلة على ذلك انخفاض انتاج الكهرباء المائية من ٦٠٠ سنة ١٩٨٠ الى ٢٦٢ مليون ك٠و٠س سنة ١٩٨٥ (٢) ٠

٤ ـ مالى :

بلغ اجمالى انتاج الكهرباء فى مالى نحو ٢٧٦ مليون ك٠و٠س وهو ما يعادل ٣ر١٪ من اجمالى انتاج الكهرباء فى اقليم غرب افريقيا وتساهم الكهرباء المائية بنحو ٢/٣ انتاج الكهرباء والباقى من المحطات الحرارية ٠

وقد قدر عدد المحطات المائية بنحو محطتين تعد محطة Selingue اكبرها حجما وقد اقيمت فى سنة ١٩٨٢ وساهمت فى خفض واردات الكهرباء فى سنة ١٩٨٨ تم افتتاح محطة manatali التى تمت بالاشتراك

(١) Europa Publication, Africa South of the Sahara, op. cit., p. 580.

(٢) Energy Statistics Yearbook 1980-1992.

بين كل من مالى ومـوريتانيا حيث تسـتخدم مالى ما يقرب من نصف انتاجها بالاضافة الى ذلك هناك نحو ١٠ محطات حرارية •

ثالثا ـ الدول التى يقل انتاجها عن ١/٤ مليار حتى ١٠٠ مليون ك•و•س/ سـنويا :

وتضم هذه المجموعة اربع دول هى سيراليون والنيجر وبوركينا فاسو وموريتانيا وتساهم هذه المجموعة بنحو ٣ر٣٪ من اجمالى انتاج اقليم غرب افريقيا من الكهرباء ونحو ٢ر٦٪ من انتاج الأقليم من الكهرباء الحرارية ونحو ٢٪ من اجمالى انتاج الاقليم من الكهرباء المائية •

وتساهم سيراليون بنحو ٢٣٠ مليون ك•و•س من الكهرباء سنويا كلها من محطات حرارية وان كان من المخطط انشاء سد فى منطقة Gunce من اجل توليد طاقة كهرومائية على حين قدر انتاج النيجر فى سنة ١٩٩١ م بنحو ١٦٨ مليون ك•و•س تأتى ايضا من الكهرباء الحرارية والتى يتم توليدها اعتمادا على الفحم المنتج محليا وتعد محطة Arlit and Akouta التم تم افتتاحها فى سنة ١٩٨١ م بقدر ١٦م•و سنويا تم زيادتها الى نحو ٣٨م•و فى سنة ١٩٨٢ م وهى المحطة الرئيسـية فى انتاج الكهرباء فى النيجر • وتعتمد النيجر فى سد جزء كبير من حاجتها من الكهرباء على واردات الكهرباء من نيجيريا اذ ان هناك خط نقل كهرباء من نيجيريا الى النيجر (١) • وقد تم العمل على اضافة خط جديد لنقل الكهرباء لزيادة حصة النيجر وقد بدأ العمل به منذ سنة ١٩٨٨ م •

وتعمل النيجر الآن على انشاء محطة كهرومائية تصل قدرتها الى نحو ١٢٥ م• وفى منطقة Kandadji وان كانت العقبة الرئيسـية فى تنفيذ المشروع تتمثل فى التمويل • ومما تجدر الاشارة اليه ان شركات اليورانيوم تعد المستهلك الأول للكهرباء فى النيجر مما أدى الى الاستيراد من الخارج اذ ان الانتاج المحلى لا يغطى سوى نصف الطلب (٢) •

تحتل النيجر المركز الثالث بين دول القـارة الافريقية فى انتـاج اليورانيوم بعد الجابون وناميبيا وبلغ انتاجها فى سنة ١٩٩١ نحو ٣ مليون

---

(1) Europa pulication, Africa South, of the Sahara, op. cit., p. 750.

(٢) سلطان فولى ـ مصادر الطاقة بنجريا ، مرجع سبق ذكره ص١٨٨

طن مترى وهو ما يعادل نحو ١٠٫٣٪ من الانتاج العالمى وبالاضافة الى ذلك تأتى فى المركز الثانى بعد جمهورية جنوب افريقيا فى حجم الاحتياطى (١) •

ويصل انتاج بوركينا فاسو الى نحو ١٥٧ مليون ك•و•س من الكهرباء سنويا تأتى كلها ايضا من محطات حرارية وان كانت نية واتجاه نحو انشاء محطة كهرومائية تصل قدرتها الى نحو ١٥ م•و على نهر Kompiega فى شرق البلاد وقد بدأ التنفيذ بالفعل فى عام ١٩٨٩ بتكاليف قدرت بنحو ٩٠ مليون دولار تم تمويلها عن طريق بنك التنمية الآفريقية والمانيا وفرنسا وكندا والسعودية ، كما بدأ العمل بالفعل فى محطة كهرومائية اخرى فى منطقة Norkabe على نهر الفولتا الابيض بقدرة صغيرة تصل الى نحو ٧٫٥ م•و وكذلك مشروع آخر لمحطة كهرومائية على نهر الفولتا الاسود •

وهناك ايضا اتفاق بين بوركينا فاسو وكوت ديفوار لانشاء خط نقل يصل طوله الى نحو ٢٢٥ كم ، كما تم زيادة قدرة خطوط نقل الكهرباء الآتية من غانا الى واجادوجو اذ ان انتاج بوركينا فاسو لا يكفيها وتستورد من غانا •

وتساهم موريتانيا بنحو ١٤٣ مليون ك•و•س من الكهرباء فى سنة ١٩٩١ ، تساهم الكهرباء الحرارية باكثر من اربعة اخماسها ويأتى الباقى من الكهرباء المائية ومن المتوقع زيادة الانتاج مع افتتاح المحطة الحرارية الجديدة ذات القدرة ٢٨ م•و والتى تم الانتهاء من انشائها فى نواكشوط وقد تم تدبير المبالغ اللازمة لها عن طريقة بنك التنمية الافريقية وفرنسا وبعض الدول العربية •

وتأتى الكهرباء المائية من محطة وحيدة توجد على نهر السنغال تحت اشراف مالى وموريتانيا وقد تم انشاء شبكة نقل وتوزيع الكهرباء المولدة من هذه المحطة حتى تتمكن موريتانيا من الحصول على حصتها من الكهرباء المولدة •

---

(١) U.N. Statistical Yearbook, op. cit., p. 482.

رابعا : مجموعة الدول محدودة الانتاج (انتاج كل منها اقل من ١٠٠ مليـون ك٠و٠س / سنويا) :

وتشمل هذه المجموعة خمس دول هى : جامبيا ـ توجو ـ غينيا بساو ـ راس فرد ، بنين وتساهم هذه المجموعة مجتمعة بأقل من ١٪ من اجمالى انتاج الكهرباء فى اقليم غرب افريقيا ونحو ١ر٨٪ من اجمالى انتاج الكهرباء الحرارية فى الاقليم ونحـو ١ر٠٪ من الكهرباء المائية المنتجة فى غرب افريقيا فى سنة ١٩٩١ ٠

ومن اهم خصائص هذه المجموعـة اعتمادها التام عـلى الكهرباء المائية باستثناء توجو التى تسـاهم الكهرباء المائية بنحـو ١٠٪ من انتاجها ٠

استهلاك الكهرباء فى غرب افريقيا :

يعتبر اقليم غرب افريقيا من افقر اقاليم القارة الافريقية ويدل على ذلك انخفاض نصيب الفرد من الناتج المحلى الاجمـالى (٤٠٤ دولار امريكى سنويا) وهو من اقل المتوسطات على مستوى القارة الافريقية التى تتميز هى الاخرى بانخفاض نصيب الفرد من الدخل السـنوى بالمقارنة بقارات العالم المختلفة ٠

وتعد كوت ديفوار اعلى دول اقليم غرب افريقيا فى نصيب الفرد من الدخل القومى الذى قدر فى سنة ١٩٩٠ بنحو ٨٤٩ دولار امريكى/سنويا ، بينما تعـد نيجيريا أقل دول الاقليم من حيث متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى فى نفس العام والذى قدر بنحو ١٩٧ دولار امريكى وهو مستوى لم يتحقق فى نيجيريا منذ الستينات ٠

ويمكن ان نتبين ذلك من الجدول التالى :

الدولة	نصيب الفرد من الناتج المحلى (دولار أمريكى) (١)	نصيب الفرد من الكهرباء ك.و.س (٢)	الكهرباء المستهلكة مليون ك.و.س ١٩٩٠ (٣)
بنين	٣٥٥	٤٣	٢٠٠
بوركينا فاسو	٢٢٣	١٧	١٥٥
راس فرد	٨١٣	٩٧	٣٦
كوت ديفوار	٨٤٩	١٩٧	٢٣٦٥
جامبيا	٣٣٤	٧٨	٦٧
غانا	٣٥٣	٣٣٣	٥٠٠٣
غينيا	٤٣٢	٩٠	٥١٨
غينيا بياو	١٧٩	١٨	١٧
ليبيريا	٤٩٧	٢١٩	٥٦٥
مالى	٢٣٦	٢٣	٢١٤
موريتانيا	٤٥٤	٦٩	١٤٠

U.N. Trends in International distribution of Gross world Product, Special Issue, National account Statistics, New York, 1993.

U.N. Energy Statistics, Yearbook, Newyork. 1992.

U.N. Energy Statistics Yearbook New York 1990.

الدولة	نصيب الفرد من الناتج المحلى (دولار امريكى)	نصيب الفرد من الكهرباء ك.و.س	الكهرباء المستهلكة مليون ك.و.س ١٩٩٠
النيجـــــر	٢٦٦	٤٥	٣٥٠
نيجيريـــا	١٥٧	٩١	٩٨٤٥
الســــــنغال	٦٩٠	٩٣	٦٨٤
ســـيراليون	٢٥١	٥٤	٢٢٤
توجــــــو	٣٨١	٩٣	٣٣٠
متوســــــط	٤٠٤	٩٧٫٥	

نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي والكهرباء في دول غرب أفريقيا ١٩٩٠

ك.و.س

٣٥٠ ٣٢٥ ٣٠٠ ٢٧٥ ٢٥٠ ٢٢٥ ٢٠٠ ١٧٥ ١٥٠ ١٢٥ ١٠٠ ٧٥ ٥٠ ٢٥

غانا
ليبيريا
كوت ديفوار
نيجيريا
غينيا
السنغال
رأس فرد
جامبيا
توجو
موريتانيا
النيجر
سيراليون
بنين
بوركينا فاسو
مالي
غينيا بيساو

٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ ٣٠٠ ٣٥٠ ٤٠٠ ٤٥٠ ٥٠٠ ٥٥٠ ٦٠٠ ٦٥٠ ٧٠٠ ٧٥٠ ٨٠٠ ٨٥٠

دولار

وتجدر الاشارة الى ان نيجيريا شهدت منذ سنة ١٩٧٠ ارتفاعا ملحوظا فى متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى واستمر هذا النمو فى الارتفاع حتى سنة ١٩٨٠ ثم اخذ فى الانخفاض بعد ذلك حتى حقق أقل معدلاته فى سنة ١٩٩٠ ٠ وقد قدر متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الاجمالى فى ١٩٧٠ بنحو ١٧٥ واستمر فى النمو والزيادة حتى بلغ نحو ١١٥٥ فى سنة ١٩٨٠ ويمكن ارجاع ذلك الى زيادة وارتفاع اسعار البترول منذ ما بعد ١٩٧٣ ٠ ولكن أخذ متوسط نصيب الفرد فى الانخفاض بعد ذلك منذ عام ١٩٨٧ مع الانخفاض الكبير فى اسعار البترول حيث انخفض نصيب الفرد فى نيجيريا من ٧٣٦ دولار امريكى فى سنة ١٩٨٦ ليصل الى نحو ٣٦٧ دولار امريكى فى سنة ١٩٨٧ ثم واصل الانخفاض حتى بلغ نحو ١٥٧ دولار امريكى فى سنة ١٩٩٠ (١) ٠ وربما ساعد على ذلك ضخامة عدد السكان حيث قدر عدد سكان نيجيريا فى سنة ١٩٩١ بنحو ١١٢٫٢ مليون نسمة محتلة المركز الاول بين دول القارة (٢) ٠ اما فيما يتعلق بنصيب الفرد من الكهرباء فقد قدر متوسط نصيب الفرد فى العالم بنحو ٢٢٠٧ ك٠و٠س / سنويا وينخفض نصيب الفرد عن ذلك بكثير فى القارة الافريقية حيث قدر متوسط نصيب الفرد من الكهرباء فى افريقيا فى سنة ١٩٩٠ بنحو ٨٤٦ أى أقل من خمس متوسط نصيب الفرد فى العالم وعلى الجانب الاخر نلاحظ ان نصيب الفرد من الكهرباء فى اقليم غرب افريقيا لا يزيد عن ٩٨ ك٠و٠س وهو أقل اقاليم القارة الافريقية من حيث نصيب الفرد من الكهرباء ويمكن ان يتبين ذلك من الجدول السابق ومن الشكل البيانى ٠

ومن الجدول والشكل البيانى نلاحظ ان غانا تحتل المركز الاول بين دول غرب افريقيا من حيث متوسط نصيب الفرد من الكهرباء اذ قدر نصيب الفرد بها بنحو ٣٣٣ ك٠و٠س/سنويا وتأتى فى المركز الثانى ليبيريا بمتوسط قدره ٢١٩ ك٠و٠س/سنويا وفى المركز الثالث تأتى كوت ديفوار بنصيب ١٩٧ ك٠و٠س ٠

وتحتل كل من بوركينا فاسو وغينيا بساو ومالى المراكز الثلاثة الاخيرة بين دول الاقليم من حيث متوسط نصيب الفرد من استهلاك

(١) U.N. Trends in International distribution of Gross World Product, Special Issue, op. cit., p. 340.

(٢) U.N. Demographie Year book New York, 1992.

الكهرباء بمتوسط قدره ١٧ ـ ١٨ ـ ٢٣ ك٠و٠س/سنويا فى عام ١٩٩٠ على الترتيب وهى بذلك تعد اقل دول القارة الافريقية والعالم من حيث متوسط نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء •

الخلاصـــة :

يعد اقليم غرب افريقيا من افقر اقاليم القارة الافريقية فى انتـــاج الكهرباء ، فعلى الرغم من ان الاقليم يضم نحو ١٦ وحدة سياسية أى ما يقل قليلا عن ثلث عدد الوحدات السياسية فى القارة الا ان نصيبه من انتاج الكهرباء لا يعادل سوى نحو ٦ر٥٪ من اجمالى انتـاج القـارة الافريقية من الكهرباء سنة ١٩٩٠ •

على الرغم من وقوع الاقليم فى اغلبه عدا الاجـزاء الشـمالية فى المنطقة الاسـتوائية والمدارية وبالتالى وفرة موارد المياه التى يمكن اسـتغلالها فى توليد طاقة كهرومائية رخيصـة الا أن الكهرباء المائية لا تشـكل سوى ٣ر٤٧٪ بينما تسـاهم الكهرباء الحرارية بالنسـبة الباقيـة •

ان اقليم غرب افريقيا يضم ما يقرب من ٢٠٠ مليون نسـمة أى حوالى ثلث سكان القارة الافريقية بل انه يضم اكبر دول القارة سكانا وهى نيجيريا وقـد انعكس انخفاض انتاج الاقليم من الكهرباء عـلى نصيب الفرد الذى يعـد من أقل اقاليم القارة اذ يقدر متوسط نصيب الفرد من الكهرباء فى الاقليم بنحو ٩٨ ك٠و٠س نصيبا وعلى مستوى القارة ٤٨٦ والعالم ٢٢٠٧ ك٠و٠س •

وعلى الرغم من هذا القدر المتواضـع من الكهرباء المولدة بالاقليم الا ان الاستهلاك الاساسى لها ممثل فى الاستهلاك الصناعى لا سـيما صناعة اعداد الخامات ، بل ان الصناعة كانت هى اساس التوسع فى انتاج الكهرباء كما هو الحال فى غانا والنيجر ونيجيريا وغيرها ، وقد انعكس هذا على الاوضـاع الاجتماعية فى كافة دول الاقليم اذ تبين ان هناك مناطق عديدة فى معظم دول الاقليم لم تصلها الكهرباء بعد ولا سيما فى المناطق الريفية وان كنا نستطيع القول ان معظم دول الاقليم بـدأت فى التخطيط لمشروعـات مد الكهرباء الى المنـاطق الريفية وهى المعروفة بمشروعات كهرباء الريف •

من الافضـل لدول الاقليم اقامة مشروعـات توليد كهرومائية أو حرارية مشتركة ضخمة حتى يمكن التغلب على مشكلات التمويل من جانب بالاضافة الى انخفاض تكاليف الوحدة المنتجة وقد تم الاتجاه الى هذا مؤخرا كما هو الحال فى المشروع المشترك بين مـالى وموريتانيا والسنغال هذا مما يساعد ايضـا على التغلب على السـوق المحدوده بالاضافة الى امكانية انشاء شبكة موحدة لنقل وتوزيع الكهرباء بين عدة دول •

وربما تساعد الاكتشافات الجديدة للبترول ايضـا وتعطى مجالا للتوسع فى انشاء محطات حرارية اعتمادا على منتجات البترول أو الغاز الطبيعى وبالتالى فمن المتوقع زيادة نصيب الكهرباء الحرارية من اجمالى الكهرباء المولفة فى الاقليم •

المراجع العـــربية :

١ ــ ســـعيد احمـــد عبـــده :

الطاقة الكهربائية فى الوطن العربى مع التطبيق على مصر ــ جزان ــ مركز بحوث الشرق الاوسط جامعة عين شمس ــ ١٩٨٣ .

٢ــ. . . . . :

جغرافية الطاقة الكهربائية فى جنوبى ــ المملكة العربية السعودية ــ مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ــ العدد ١٦ ــ ١٩٨٨ .

٣ــ. . . . . :

انتاج واستهلاك الطاقة الكهرومائية فى دولة الامارات العربية المتحدة ١٩٧٢ ــ ١٩٨٣ ــ دراسة فى جغرافية الطاقة ــ معهد البحـــوث والدراسات العربية ــ سلسلة الدراسات الخاصة رقم ٢٣ ، ١٩٨٧.

٤ ــ سلطان فولى حســـــن :

مصادر الطاقة فى نيجيريا ــ رسالة ماجستير غير منشورة ــ معهـــد البحوث والدراسات الافريقية ــ جامعة القاهرة ــ ١٩٨٨ .

٥ــ. . . . . :

سد اوين فى اوغندا دراسة فى الجغرافيا الاقتصادية ــ رســــــالة دكتوراه معهد البحوث والدراسات الافريقية ــ جامعة القاهرة ١٩٩٢.

٦ ــ محمد عبد الغنى سعودى :

سد الفولتا (سد اوكسمبو) مجلة معهد البحوث والدراسات الافريقية ــ جامعة القاهرة ــ العدد الثانى ١٩٧٣ .

المراجع الاجنبية :

1. Europa Publications, Africa South of the Sahara 19th edition, London, 1990.
2. Felix B. Dayo and Anthony O. A deybulugbe, Utilization of Nigerian Natural Gas Resourses-Energy Policy-April 1988.
3. Iwayemi, Ikin, Energy in West Africa, Issues and Policy Sept., 1982.
4. O'conner A. M. The Geog. Of Tropical African devel. Approches, Energy Policy 2ed edition, New, York 1978.
5. Reuben K. Udo, Acomperhensive Geog. of West Africa Ibadan, 1978.
6. U.N. Demographic year book New York, 1992.
7. U.N. Energy Statistics Yearbook 1982-1992.
8. U.N. Industrial Statistics Yearbook New York 1992.
9. U.N. Statistical Year book New York 1992.
10. U.N. Trends in International distribution of Gross World product, special Issue National Accaunt Statistics New York 1993.
11. Wagland P.J., Kingi and the Niger dam Project, Geog. 1969.
12. Warren W.M. & Rubin W., «Dams in Africa» Descplinary Study of man made lakes in Africa, London, 1968.

ELECTRICITY IN WEST AFRICA

The production and consumption of electrical energy is considered the main stand for both social and economic development in the majority of the world, among which, the countries of the Africa continent including the west African region. There has been found a relevant relationship between the increase of national income rate and the rate of electricity consumption thus it has become possible to measure the progress of the various countries including the consumption of electricity by individuals.

This research is an attempt to identify the production and consumption of electrical energy in its different shapes in West Africa region. It deals with the identification of energy resources in Africa from the view point of production and consumption. In addition, the production and consumption of electricity in the continent will be investigated briefly, Besides, the recognition of electricity production in west Africa will be investigated for both proudction total and type.

This study will principally focus on the west africa countries for the above mentioned criteria.

Dr. SULTAN FOLY

عرض لـكتاب : العـالم الثـالث : تحديد مبدئى فى الجغرافيا

بقلم ا.د. السعيد ابراهيم البدوى

عميد المعهد

The Thirld conceptual framwork in Geography

Second edition 1992

تـأليف : Micheal Barke & Greghare.

الاول يعمل فى قسم البيئة فى نيوكاسل والثانى فى قسم الجغرافيا بكلية تربية دربيشير .

الناشـــر :

وقد نشر الكتاب أول مرة عام ١٩٨٤م ويحتوى الكتاب على أحد عشرة فصلا عدد صفحاتها ٣٠٣ صفحة بالاضافة الى مقدمتى الطبعتين الاولى والثانية وقائمة بالمراجع والفهرس فى نهاية الكتاب .

الهدف من الكتاب :

جاء فى مقدمة الطبعة الاولى سنة ١٩٨٤ أن الهدف من الكتاب هو ابراز التنوع فى دول العالم الثالث أو الدول التى يطلق عليها أنهـا أقل تقدما less developed countries وتركيز الضوء على التنافس الواضح بين العالم الثالث الاقل تقدما والعالم المتقدم .

وفى نفس الوقت ابراز التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتغيرات البيئية والسياسية التى حدثت فى العالم الثالث فى الفترة الاخيرة مع وجود الخلفية الاستمرارية للفقر .

ويشير المؤلفان الى أن كلا من العالم الثالث والعالم المتقدم لا يؤثران فقط كل منهما فى الآخر ولكنهما يعتمدان على بعضهما بشكل قـوى وفقا لمبدأ الاعتماد المتبادل interdependence المتزايد فى العالم الآن .

ويعترف المؤلفان بأن هناك الكثير من المشكلات التى جابهتهما منها قلة الاحصاءات الدقيقة بالاضافة الى تنوع الاتجاهات والأوضاع فى العالم الثالث .

ويعترفان بأن النتيجة التى ترتبت على هذه المشكلات هى المعالجة العامة وان كان هناك انتقاء لبعض النتائج من داخل دول العالم الثالث ..

ورغم هذا فقد حفل الكتاب بمجموعة ممتازة من الخرائط تعبر عما جاء فى الكتاب من أفكار . أما فى مقدمة الطبعة الثانية فيذكر المؤلفان أنه قد حدثت خلال عقد الثمانينات فى العالم الثالث مشكلات كثيرة وكبيرة منها الحروب والمجاعات والديون والكوارث .

ورغم ذلك يؤكد المؤلفان أن الصورة توحى بالتفاؤل لأن هناك تقدما بطيئا ولكنه محسوس فى بعض المناطق فى العالم الثالث .

ويستدرك المؤلفان بأنه رغم التعميم الذى لا يمكن تفاديه الا أن هذه الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢م قد اشتملت على « دراسات حالة »
Case Studies فيها تعميق لبعض الموضوعات .

وسوف أحاول فى عجالة القاء الضوء على كل فصل من فصول الكتاب وابرز أهم الأفكار الواردة فيه .

ففى الفصل الاول عن تحديد وسمات العالم الثالث يشير المؤلفان الى أن عدد سكان العالم الثالث (أفريقيا + آسيا النامية + أمريكا اللاتينية) حوالى ٣٧٥٠ مليون نسمة ومع ذلك فان هذا العدد الضخم لا ينتج الا خمس ثروة العالم الآن الامر الذى يؤدى الى انخفاض مستوى المعيشة والفقر بين هؤلاء السكان .

ويبرز المؤلفان أن اللمحة المكانية للعالم الثالث تتضمن ثلاث أفكار رئيسية هى :

١ — على الرغم من الاطار العام للخلفية المستمرة للفقر والتخلف يوجد تنوع معقول فى الظروف الطبيعية والبشرية وينطبع على هذه الظروف .

٢ ــ التغير الذى يحدث فى بعض الاحيان يكون بدرجة مذهلة حيث يغير الماضى ويكون الحاضر ويشجع على المستقبل ٠

٣ ــ الارتباط المتزايد بين الدول المتخلفة L.D.C. والدول الاكثر تقدما M.D.C. وفقا للمشاركة العالمية أو ما يمكن أن يطلق عليه التبعية المتبادلة iterdependence

أما الفصل الثانى وهو بعنوان الموارد الطبيعية والتنمية فان المؤلفان يقرران منذ البداية أن الموارد الطبيعية والبشرية لا تتوزعان بعدل بين دول العالم لثالث ٠

ويؤكدان على أنه ليس من اليسير معالجة تأثير الموارد على التنمية بسبب صعوبة قياس وتقدير هذه الموارد وان كانا يعترفان بأن تأثير الموارد الطبيعية فى عملية التنمية Development process يكون واضحا فى مرحلة البداية وان كان هذا التأثير يقل فى المراحل التالية فى توجيه ودرجة التنمية بعد ذلك ٠

ويختتم المؤلفان هذا الفصل بأبراز الموارد المناخية وموارد التربة والنبات ويلقيان الضوء على الكوارث البيئة Environmental Hazards مثل التصحر واحتثاث الغابات والزراعة الجائرة Over cultivation الرعى الجائر Over grazing ويشيران الى « اقليم الساحل » فى افريقيا باعتباره المثل البارز على ذلك (خريطة الكوارث الطبيعية أو خريطة درجات التصحر) ٠

أما الفصل الثالث فقد تناول أثر العوامل البشرية على التنمية حيث يذكر المؤلفان أنه ليس من السهل الجزم بتحديد اسباب وظروف التخلف فى العالم الثالث ، وان كان من المعقول الربط بين هذه الظروف البشرية وهذا التخلف حيث ان تأثيرها أكبر من الظروف الطبيعية وان كان من الصعوبة بمكان تحديد أثر العامل الفردى البشرى ٠

كما أن هناك أراء أيضا حول العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الداخلية وكذلك الخارجية والعلاقة بين دول العالم الثالث المتخلف ودول العالم المتقدم •

ومع ذلك فان العوامل البشرية لم تكن فى الغالب معوقة أو محددة للتنمية ويشير الى ذلك تحسن التعليم والصحة بين سكان دول العالم الثالث يمكن ان تؤهل هذه الدول على الاقل نظريا لمواصلة التقدم والتنمية (انظر شكل ٣ ــ ١ ــ دائرة الفقر ص ٤٣) •

وفى الفصل الرابع يعالج الكتاب نظم الزراعة Agricultural Systems حيث يذكر المؤلفان أن تنوع نظم الزراعة فى العالم الثالث يرجع الى تأثير الظروف الطبيعية وخصوصا المناخ والتربة وكذلك العوامل البشرية وبالتخصيص الملكية الزراعية والأسواق ، وقد حدث تغير فى الزراعة متمثلا فى زيادة الكثافة الزراعية وتحولها نحو المحصولات التجارية وكذلك الاتجاه نحو القطاع الخاص والمزارع الصغيرة وقد أقدم الزراع على زراعة المحصولات التجارية من أجل زيادة انتاج المحصول وبالتالى زيادة الدخل ، ولكن تذبذب أسعار هذه المحصولات أدت الى مشكلات كثيرة سواء للزراع أو التجار ويوضح المؤلفان أن هناك عوامل عديدة تؤثر على تطوير وتنمية المحصولات التجارية منها التجارة الدولية وسهولة النقل والمواصلات واتساع الاسواق المحلية بالاضافة الى سياسات الحكومات الوطنية • وقد أوضحت الدراسة أن الزراعة المتنقلة توجد حيثما توجد كثافة منخفضة فى السكان ، أما المناطق الاعلى كثافة سكانية فانها تؤدى أيضا الى تكثيف الزراعة واختصار فترة راحة الارض • وأهم محصولات الزراعة الكثيفة هو محصول الارز • أما من ناحية الملكية الزراعية فهى عموما صغيرة وان كانت توجد ملكيات زراعية واسعة فى أمريكا اللاتينية ويلاحظ أن المناطق الكثيفة زراعيا الملكية فيها محدودة كما أن نسبة كبيرة من المزارعين ليس لهم أرض ويعملون اجراء •

ويعالج الفصل الخامس مسألة هامة وهى الانتاج الزراعى والاصلاح الزراعى ويبرز المؤلفان أنه على الرغم من التوسع فى الانتاج الزراعى فى العالم الثالث الا ان نقص الغذاء مازال شائعا • وعلى الرغم من أن الثورة الخضراء Green revolution قد زادت الانتاج الزراعى مثلا فى الهند واندونيسيا الا أن مناطق أخرى فى العالم مثل افريقيا جنوب الصحراء نجد أن معدل زيادة الغذاء فيها أقل من معدل تزايد السكان ، ولذا كان السؤال الملح :

هل الارض المستغلة تستغل كما يجب ؟ مثال ذلك أن ١٤٪ من مساحة العالم الثالث تستخدم لزراعة المحصولات التجارية من أجل الحصول على سلع مستوردة بدلا من زراعة المحصولات الغذائية التى هم فى أشد الحاجة اليها والتى ينبغى أن تزرع على نطاق واسع والحاجة ملحة الآن لتغطية الامن الغذائى الذى لا يتأتى الا باتباع أنماط جديدة للانتاج الزراعى • وأنه لابد من استراتيجية زراعية جديدة تقتضى الآتى :

١ ــ الانتقال من نظام زراعة المحصولات التجارية الى المحصولات الغذائية •

٢ ــ الانتقال من نظام المزارع الواسعة الى المزارع الصغيرة •

٣ ــ اتباع تكنولوجيا زراعية تتلاءم مع البيئة •

٤ ــ توزيع أفضل للملكيات الزراعية •

أما بالنسبة لموضوع الاصلاح الزراعى فان المؤلفان يقدمان وجهات النظر المختلفة فى هذا المجال حيث يذكر البعض أن الثورة الخضراء أدت الى سد الفجوة الغذائية فى العالم الثالث مثل تايوان ، كوريا الجنوبية ، الهند ، باكستان ، المكسيك • فى حين ينتقد البعض الآخر ذلك على أساس أن زيادة الانتاج الزراعى قد تجمدت خلال الثمانينات وأن الجفاف والقحط وجرف التربة قد ساعد على زيادة حد المشكلة حيث

تناقص نصيب الفرد من الغذاء فى افريقيا فى خلال السبعينات والثمانينات. أما فى امريكا اللاتينية فالنسبة متكافئة . كذلك هناك ادعاء بأن الثورة الخضراء قد أطلقت الكثير من الآثار الايكلوجية والاجتماعية والاقتصادية من عقالها مثل تركيز الملكية الزراعية وايجاد البطالة والاجراء الذين لا أرض لهم Landlessness وبالتالى زيادة الفجوة بين الاغنياء والفقراء، وبدلا من معالجة الفقر نجد أن الثورة الخضراء قد أوجدته فعلا .

(انظر خريطة انواع الزراعة فى العالم الثالث ص ٧٢ من الكتاب).

وفى الفصل السادس : يعالج المؤلفان فى عجالة سريعة الموارد المعدنية والصناعة التحويلية فى العالم الثالث ويتضح من خلال العرض والمناقشة أن تنمية الصناعة فى العالم الثالث تعانى من مشكلات عديدة ويمكن تلخيص بعض من هذه المشكلات فى الاتى :

اولا : مشكلات مرتبطة بالناس (السكان) :

(أ) مشكلة التدريب والتجهيز والايدى العاملة الملائمة ، اذ ينبغى توجيه استثمارات كبيرة للتدريب والتعليم ، وهذا يستدعى وقتا قد يطول كما أنه يمكن أن يؤدى الى مشكلات خاصة بالتغيير والتلاؤم الاجتماعى Social change مثال ذلك صعوبة التأقلم السريع من جانب القادمين من الريف للعمل فى المصانع .

(ب) نقص المقاولين ، وهم الذين لديهم استعداد للمخاطرة واستحداث وسائل تنمية حديثة ومع ذلك يوجد مثال هونج كونج التى قفزت فى الصناعة التحويلية ، ولكن هذه التجربة لم تدرس جيدا ، حيث أن الاعتقاد السائد فى دول العالم الثالث أن ملكية الارض وما تدره من أموال يمكن الحصول بها على وسائل الرفاهية المستورده دون تجشم مسقة الاستثمار الصناعى المحلى .

(جـ) نقص القوة الشرائية وسيادة الفقر وعدم سيادة العدالة وهذا يعنى أن معظم الثروة مركزه فى أيدى نسبة محدودة من السكان ، هذا فى حين أن الاغلبية فقيرة ، وبالتالى فان سوق السلع الصناعية محدود رغم ضخامة عدد السكان .

ثانيا : مشكلات مرتبطة براس المـــال :

(أ) يوجد نقص فى رأس المال رغم أن الصناعات الحديثة تحتـــاج الى استثمار أعلى فى رأس المال بالنسبة للفرد عما كان سائدا فى المـــاضى وربما بالنسبة للعامل فى العالم الثالث أكثر منه فى العالم المتقدم نجد أن رأس المال محدود ، كما أنه خاضع للمضاربة ٠

(ب) يمكن تشجيع رأس المال الخارجى اذا كان هناك قليل من رأس المال الداخلى ،ولكن دول العالم الثالث لا تساعد على رأس المال الخارجى ، رغم ان هذه الاستثمـــارات هـــامة فى العمليـــات الاوليـــة Priming «actions» خصوصا فى مجالات البنية الاساسية الهامة مثل السكك الحديدية والطرق وتطوير الموانىء والمطارات ، اذ أن هـــذه الاعمال ذات أهمية كبيرة فى تطوير القطاعات الاقتصادية المختلفة ٠

ثالثا : مشكلات مرتبطة بالاقتصاد العالمى :

(أ) فى القرن الثالث عشر لم تكن هناك منافسه أمام الدول الصناعية فى كثير من المنتجات ، ولذلك كانت تجرى التجارب بحريه ، أما الآن فان الدول الحديثة التى تطور صناعاتها تجد منافسه شديده من الدول المماثلة لها وكذلك من الدول المتقدمة صناعيا ٠

(ب) وبسبب هذا ، وكذلك نظرا لضيق السوق المتمثل فى الاحتياجات المحلية فقـــد بذلت محاولات كثيرة لتوسيع الســـوق عن طريق تكوين أسواق أكبر مثل السوق الحره فى أمريكا اللاتينية Latin American Free Trade Assoc. والسوق المشترك لدول شرق افريقيا E.A. Common Market ولكن هذه التجمعات فى الغالب تنهار أما بسبب حماية الصناعات الوطنية أو عدم الاستقرار السياسى كما حدث فى شرق افريقيا ٠

(جـ) تعتمد معظم مكونات الصناعة Assets فى العالم الثالث على المنتجات الأولية ، ولكن هذه المنتجات ــ للمقارنة بالماضى ــ وباستثناء البترول ، لم تعد لها أهمية كبيرة فى التصنيع فقد اتجه العالم العربى نحو

المنتجات الصناعية (التركيبية) Synthetic products وقلل بقدر واضح من استخدام المنتجات الخام .

(د) كذلك فان الاتجاه نحو الميكنة الالية Automation فى العالم وحتى فى دول العالم الثالث — أصبح يهدد استخدام القوى العاملة على نطاق واسع نتيجة لاستخدام التقنيه العالية ، على الرغم من أن النسبة المستخدمة من الأيدى العاملة فى الصناعة محدوده أصلا مثال ذلك صناعة البترول فى فنزويلا حيث انخفضت العمالة المستخدمة فى الاقليم الغربى (مراكيبو) ولذلك لجأت الحكومة الى بناء مدينة جديدة هى التبلازا EL Tablaza وذلك من أجل تنويع الصناعة واستيعاب المزيد من الأيدى العــاملة .

رابعا : حلقة الفقــر : The circle of poverty

معظم دول العالم الثالث أصبحت أسيره لدائرة الفقر الجهنمية ولم يستطع أن يكسر هذه الحلقه الا عدد محدود من الدول مثل هونج كونج، تايوان ، هنا نجد أن الفائض محدود وبالتالى فان نسبة التراكم اللازمة كرأس مال للتصنيع محدودة جدا . ومن أجل هذا استمر تشغيل العمالة الكثيفة labour - intensive occupation رغم ضــآلة الانتاجيــة وانخفاض الدخل ، وتحاول دول محدودة للغاية من العالم الثالث الافلات من هذه العملية الدائرية circular process

(انظر شكل حلقة الفقر ص ٤٣ من الكتاب ، وكذلك خريطة القيمة المضافة للفرد بالنسبة للصناعة التحويلية ص ٣٢) .

وفى الفصل السابع يعالج المؤلفان موضوع النقل والسياحة فى العالم الثالث ويؤكدان منذ البداية على أهمية النقل لدول العالم الثالث وأنه ينبغى أن يكون الهدف الأساسى لهذه الدول هو التكامل فى نظم النقل فيها وفيما بينهما Complementarity in their transport system

حيث أن هذا غير موجود أو منقوص على الأقل فى عديد من الحالات ومن أمثلة ذلك ما حدث فى كولومبيا من عدم التكامل بين المواصلات النهرية والبرية والبحرية •

ويلاحظ المؤلفان ان الاستثمار فى دول العالم الثالث غالبا ما يكون على نطاق كبير أو كتلى massive scale وربما تشمل انشاء مشروعات ذات أهمية كبيرة ، كذلك فان المؤسسات أو المنظمات الدولية ــ مثل البنك الدولى ــ تساهم فى استثمارات النقل ، ولكن بينما نجد اسهامات وانجازات بارزة فى استثمارات النقل ورسم سياسة وتخطيط فى الدول العالم الثالث فان الدوافع وراء ذلك غالبا ما تكون موضع تساؤل ، مثلا كان وراء برنامج انشاء الطريق البرازيلى الضخم الرغبة السياسية فى اقامة نوع من التكامل الاقتصادى الفعلى بين أنحاء القطر •

كذلك فان الحكومة الماليزية كان دافعها لتطوير ميناء بورت كيلانج port kilang (سويت هام سابقا Swetham) أساسا هو الدافع السياسى ، والآن بعد استقلال سنغافورة فانهم يرغبون فى تحدى تفوقها بتطوير مينائهم الدولى الخاص بماليزيا •

أما بالنسبة للسياحة فان المؤلفين يناقشان الفوائد ومشاكل السياحة على الرغم من أن هناك شكا فى أن السياحة يمكن أن تقدم اضافة كبيرة الى اقتصاديات عديد من دول العالم الثالث ، ويعلق المؤلفان على ذلك بقولهما أن التركيز على مشكلات السياحة يناقض الحماس الجارف للسياحة من جانب حكومات العالم الثالث التى تحبذها وتشجعهما •

وفى بعض الحالات نجد أن عدد السياح يفوق السكان الاصليين ومثال لذلك جزر برمودا وبهاما حيث تصل نسبة السياح ٨ الى ١ بالنسبة لعدد السكان ، وينعكس هذا على حياة هؤلاء السكان الأصليين وطرق معيشتهم التى تصاب بالدمار نتيجة لهذه العملية •

وهناك رأى لبعض الباحثين يحذر مما أطلقوا عليه « تأثير المظاهر » demonstration effect حيث أن حياة البذخ التى يعيشها السياح واستهلاك السلع المستوردة لها تأثيرها الاجتماعى على السكان الوطنيين الذين يحاولون ويرغبون فى المشاركة فى استهلاك هذه السلع الكمالية .

ويذكر هذا الرأى ان هذه الرغبات الاستهلاكية Consumption desires سواء أكانت مفروضة أو مقتبسة من الغنى العابر فان هذا يعتبر عائقا امام التنمية الاساسية التى تعتمد على الذات : وتتعارض مع نجاح التنمية ذات المدى الطويل فى البرامج ، بل ان بعض الكتاب يتمادون فى ذلك لدرجة أنهم يطلقون على هذا الاتجاه السياحى بأنه شكل من أشكال الأستعمار (انظر خريطة كثافة الطرق ص ١٥٦ وكذلك خريطة السياحة ص ١٧٧) .

وقد خص المؤلفان الفصل الثامن للسكان فى العالم الثالث حيث يشيران الى أنه رغم أن معدل النمو السكانى فى العالم الثالث ينخفض على ما يبدو فى بعض أجزاء منه، الا أن مستوى التزايد السكانى مازال فى حالة خطره ، ومازالت الجهود مستمرة من أجل زيادة مصادر الغذاء والسيطرة على هذا النمو السكانى عن طريق تنظيم الأسره ويرى بعض الباحثين أن زيادة معدلات النمو الاقتصادى والتنمية فى العالم الثالث وكذلك ازدياد انتشار « النمط الغربى » فى المعيشة والاستهلاك يمكن أن يشجع السكان على تكوين أسر محدودة العدد ، كذلك فان انتشار الخدمات الصحية (الطبية) يمكن أن يقلل من الحاجة الى الأسر الكبيرة العدد .

وفى هذه الحال فان عملية التنمية نفسها هى التى سوف تؤدى الى تنظيم وضبط النمو السكانى وذلك على أساس أن هذا ما تم فى العالم المتقدم وأن نفس النظام سوف ينتقل الى العالم الثالث .

وهناك امكانية أن مثل هذه العملية يمكن أن تحدث فعلا ، ومع هذا ينبغى أن نقرر (المؤلفان) أنه فى عديد من أجزاء العالم الثالث فان احتمالات مجرد انجاز نمو اقتصادى وتنمية لشكل متواضع يبدو بعيد المنال .

ويؤكد المؤلفان على أن هناك حقيقة واضحة وهى أن وجود عدد ضخم من الاطفال فى العالم الثالث يعتبر ورطة فعلية اذ أن وجود هذا العدد

الضخم من الاطفال يعنى ارتفاع معدل الاعالة High dependency ratio على الرغم من أن هؤلاء الاطفال سوف يصبحون أيدي عاملة وفيرة فى المستقبل •

كذلك فان وجود نسبة مرتفعة من البطالة تؤدي الى ايجاد مشكلات فى جميع الخدمات الاخري ورغم أن الباحثة بوسرب Boserup تشير الى أن نمو السكان سوف يحفز الى التنمية الا أن النقطة الاساسية فى حجتها هى أن السكان ينبغى أن يكون معدل النمو لديهم بطىء ، ومن هنا نجد أن المشكلة فى العالم الثالث أن نمو السكان يزداد بسرعة وأن نسبة الاعالة مرتفعة وهذا فى حد ذاته يقف عقبة امام التنمية •

ويختتم المؤلفان هذا الفصل بأن هناك فجوة بين معدلات نمو السكان فى دول العالم الثالث وبين الموارد ، ولا تملك هذه الدول من الموارد ما يحفظ للسكان مستوى معيشى معقول •

وتبدو أعراض هذا الموقف فى المجاعات الدورية التى تهز كيان عديد من دول العالم الثالث من وقت لآخر ، يضاف الى ذلك انخفاض القيمة الغذائية للعديد من السكان وبالتالى سوء التغذية ونقص المناعة للامراض•

ويبدو عدم التوازن بين معدل نمو السكان والغذاء فى هجرة السكان سواء للبحث عن أرض جديدة للزراعة أو للحصول على عمل فى المدينة •

وتكون النتيجة ظهور البطالة فى المدن التى تشير بدورها الى عدم وجود التوازن المشار اليه وأخيرا فان الديون التى تثقل كاهل دول العالم الثالث تعتبر نتاجا للسجوة بين معدل نمو السكان وموارد الغذاء والنتيجة العامة التى يمكن الوصول اليها لسكان العالم الثالث غالبا ما تكون ذات صبغة متشائمة •

ومن هنا فان أفضل ما يؤمل هو أن يظل الوضع ثابتا ، وأن أى تحسن ملحوظ فى فرص الحياة لمعظم سكان العالم الثالث يظل أملا بعيد المنال•

وفى الفصل التاسع الخاص بالتنمية الحضرية فان المؤلفان يوضحان النقاط الاساسية التالية :

اولا : اتجاهات سكان الحضر :

اذ يذكر المؤلفان أن أعلى معدل لسكنى الحضر تتمركز فى الدول الاكثر تقدما فى حين ان اغلبية سكان العالم الثالث سكان ريف ، ولكن رغم ذلك يوجد زيادة ضخمة فى سكان مدن العالم الثالث فى الفترة الأخيرة كما يوجد تنوع واختلاف فى نسبة سكان الحضر داخل دول العالم الثالث ويرجع السبب فى هذا التنوع الى الانماط التاريخية للتطور والتنمية ويشير المؤلفان الى أنه رغم أن المدن الكبرى فى العالم الثالث تستحوذ على نسبة كبيرة من زيادة سكان الحضر الا ان المدن الصغرى ايضا تستحوذ على نسبة ملحوظة جدا .

وليس هناك اتفاق واضح عما اذا كان ذلك يرجع الى التأثير النسبى للهجرة من الريف الى الحضر أم أن ذلك بسبب الزيادة الطبيعية لسكان الحضر انفسهم ام للتأثيرين معا .

وتشير المعلومات المتاحة الى أهمية الزيادة الطبيعية لسكان الحضر عن الهجرة من الريف فى معظم الاقاليم ، ماعدا تلك التى مازالت فى المراحل المبكرة للنمو الحضرى .

ثانيا : النظم الحضرية :

يشير التأثير المتبادل بين الحضر والأقاليم المجاورة (الظهير) الى أنها تكون جزءا من نظام عام له تركيبة معينة حديها المتطرفين هما النمط الاولى Primate pattern و نمط أخر يتطابق مع قاعدة الرتبة الحجم Rank size rule

ويرى الباحثان لأنه لا يمكن تفسير طبيعة النظام الحضرى فى أى دولة بواسطة المعايير البسيطة للتنمية الاقتصادية الجارية .

وأن تنمية نظام حضرى متوازن Balanced urban system (قاعدة الحجم الرتبة) يعتمد على درجة التكامل والمشاركة interdependence داخل القطر، ودرجة كثافة الاحتكاك بالخارج ، وأنه لا يوجد تفوق primacy وتوزيع حجم رتبة تبادلى بشكل مطلق لنظام حضرى وطنى . وتوضح الاتجاهات الخاصة بالتغير فى توزيع الرتبة الحجم فى عدد من الاقطار منذ عام ١٩٥٠م أن نموا قد حدث فى عدد من المدن ذات الاحجام المتوسطة .

ثالثا : النظام فى محك العمل : The system in action

يؤثر حجم المدن فى النظام الحضرى القائم فى الدولة على درجة الهجرة ، وهنا يفرق المؤلفان بين الهجرة المرحلية step migration والهجرة المباشرة direct وهى شائعة أيضا فى دول العالم الثالث ويشيران الى أن الهجرة المرحلية تساعد على الانتقال التدريجى فى حين ان الهجرة المباشرة تجعل المهاجرين الريفيين يحملون عاداتهم وقيمهم الريفية معهم مباشرة الى المدينة •

ويرتبط التدفق flow الخاص بالسلع والمعلومات بتركيبة النظام الحضرى ، ولهذا فان المناطق الحضرية الاضخم هى التى تسيطر على حساب المناطق الحضرية الاصغر •

ومع ذلك فانه فى بعض دول العالم الثالث نجد أن طبيعة النظام الحضرى يمكن أن يكون له معنى فقط لبعض الجماعات مثال ذلك هؤلاء الذين يشتركون فى القطاع الاقتصادى « الحديث » ولهذا يمكن أن نلاحظ فى دول العالم الثالث نمطين اقتصاديين (ثنائية) أحدهما حديث والآخر تقليدى •

حيث يتركز النمط الحديث فى العواصم والمدن الكبرى ، فى حين يوجد النمط التقليدى فى المدن الصغرى والريف • ولكن رغم أن النمط التقليدى ينظر اليه على أنه نمط متخلف من الناحية الاقتصادية الا أنه يقوم بوظائف اجتماعية عديدة وايجابية بالمعنى الاجتماعى ، كما أنه يمكن أن يلائم نفسه مع التطورات الحديثة •

رابعا : مدن العالم الثالث هل هى ولودة ام طفيلية : generative or parasitic

يؤكد المؤلفان على أن الاماكن الحضرية ذات وظائف هامة فى عملية التنمية ، وقد أظهرت الدراسات فى عام ١٩٦٠ ان العمالة محدودة فى المجال الصناعى فى مدن العالم الثالث ، فى حين أن البعض الآخر يرى أن هؤلاء المهاجرين من الريف قاسوا الامرين من مشكلة الاسكان المخيفة وكذلك من الظروف الاجتماعية الصعبة فى المدن التى هاجروا اليها ، ولذا فهناك من يرى أن العديد من مدن العالم الثالث قد أصبحت مكتظة

بسكانها over - urbanised ولهذه الاسباب وغيرها فان فكرة مساهمة المدن فى التنمية فى دول العالم الثالث قد أصبحت قابلة للنقاش والجدل .

وفى نفس الوقت هناك دراسات حديثة تحمل وجهة نظر ايجابية ظهرت مرة أخرى تعتمد على دراسات تفصيلية لما يطلق عليه مدن الاكواخ shanty - towns

ومن ثم فان الكثير من الانتقادات الموجهة الى الحضرية فى العالم الثالث انتقادات لها وزنها (انظر خريطة ص ٢١٨ عن نسبة سكان الحضر فى العالم سنة ١٩٨٥م) .

وفى الفصل العاشر يعالج المؤلفان موضوع أشكال العمران forms of settlement فى دول العالم الثالث .

يركز المؤلفان فى هذا الفصل على قضية رئيسية وهى : هل هناك تقارب أو التقاء بين اشكال العمران فى العالم الغربى المتقدم أم تباعد وتنافر ؟ ويخلصان فى النهاية الى ان المؤشرات تدل بوضوح على وجود التقاء أو تقارب ، ولكن رغم أن القوى الراسمالية الغربية قد اثرت بشكل واضح فى مدن العالم الثالث الا ان الدليل يشير ايضا الى ان هذه المدن تتشكل وفقا للخطوط العربية ، بل على العكس من ذلك فان مثل هذه القوى الرأسمالية قد تعدلت وفقا للمفهوم السائد فى العالم الثالث ، ويرجع هذا الى اربعة اسباب اساسية :

١ ـ اتساع وتنوع الاسكان منخفض التكاليف ، وهذا فى حد ذاته يعتبر شكلا حضريا رئيسيا لا يوجد نظير مباشر له فى العالم الغربى حيث ان اتساع مجال هذا النوع من الاسكان بشكل واضح ، وكذلك تنوع الاستجابات لمشكلة الاسكان وما يحيط بها فى العالم الثالث ، يؤدى هذا الى ان الالتقاء الحضرى بين مدن العالمين الثالث والغربى غير متوقع .

٢ ـ العلاقة بين التحضر والتغير الاجتماعى :

حيث ان المدينة فى الغرب تعتبر بمثابة منتج للتغير فى العلاقات الاجتماعية ، حيث أن الاسرة « النووية » الصغيرة وطريقة الحياة الاكثر « خصوصية » تحل محل الاسرة الكبيرة الممتدة وطريقة الحياة المشتركة

العامة . أما فى مدن العالم الثالث فانه من الصعوبة الاعتراف بهذه العملية، بل فى بعض الحالات نجد أن العلاقات الاجتماعية التى تتميز بها القرى تبدو سائدة ايضا .

٣ ـ حيوية « الدورة الدنيا » vitality of the lower circuit

اذا كان قد حدث تقارب فعلا بين نمطى الحضر فى العالم الثالث والعالم الغربى فان المتوقع أن تحل « الدورة العليا » upper circuit محل «الدورة الدنيا » أى أن يحل القطاع الصناعى والتجارة والخدمات محل القطاع التقليدى الخاص بنظام « المعيشة » والتجارة المتواضعة . ولكن الواقع فعلا هو أن الأخير مازال ينمو ويزدهر وربما يرجع هذا أساسا الى دورة الاجتماعى والحضارى ، وكذلك وظيفته الاقتصادية . بل انها على العكس قد استطاعت الى حد ما أن تتأقلم مع الدوره العليا ، مثال ذلك اصلاح بعض الأجهزة مثل الراديو الترانزستور .

٤ ـ قوة التقاليد وتأثيرها على شكل الحضر :

لوحظ من خلال دراسة مرفولوجية مدن العالم الثالث أن كثيرا من العناصر الوطنية فى النمط الحضرى مازالت تعيش منتعشة مع الاضافات الأكثر حداثة ، مثال ذلك المركزان التوأمان اللذان يخصان رجال الأعمال فى مدينة أبادان twin business centres وفى أماكن اخرى يمكن أن يكون من التقليدى مستوردا مع قدوم الاستعمار الغربى ، ومثال ذلك امريكا اللاتينية والهند ، ولكن مختلف العناصر مازالت قائمة وتبدو قيمتها . مثل هذه الملامح تعتبر مكونات أساسية لشكل الحضر ، ولم يحل محلها بصفة كلية الشكل المضاد ، وهو النموذج الغربى ومثاله وظيفة bid - rent « المزايدات والمناقصات » ولهذا فان الخلاصة تتمثل فى أنه رغم التغير السريع فى مدن العالم الثالث الا أنها لم تتغير لكى تصبح تقليدا للمدينة الغربية الصناعية .

تراجع خريطة ص ٢٦٨ عن المدن الصفيح والأكواخ فى العالم الثالث

أما فى الفصل الحادى عشر والأخير فيتناول المؤلفان موضوعا هاما وهو : الاعتماد المتبادل فى التجارة ، المساعدات ، والتقنية .

Interdependence, Trade Aid Technology.

اولا : نمط التجارة الدولية :

تحتل الدول المتخلفة مكانة ضعيفة فى التعامل المالى والدولى ، وتستقطب الدول الغنية الصناعية التى تسيطر على التجارة الدولية تجارة الدول المتخلفة . ويلاحظ المؤلفان أنه يغلب على تجارة دول العالم الثالث ثلاثة أنواع :

(أ) قليل من هذه الدول تصدر سلعا مصنعة .

(ب) يسيطر على تجارة دول الأوبك تصدير البترول .

(جـ) تصدر معظم دول العالم الثالث السلع الغذائية وغير البترولية .

وفى مقابل استيراد السلع المصنعة تصدر دول العالم الثالث المنتجات الأولية الى دول العالم المتقدم التى تستورد منها ، وبالتالى يمكن أن نقول أنه يوجد نوع من المشاركة أو الاعتماد المتبادل .

ومن الملاحظ أيضا أن معظم دول العالم الثالث تعتمد بشدة على عدد محدود من الصادرات الاولية ، كما أنها تتعامل مع عدد محدود من الدول تجاريا . ومن المعروف أن اسعار المواد الخام الاولية ذات اسعار منخفضة وتخضع لتقلبات سعرية واسعة . وهذا فى حين أن اسعار المصنوعات فى ارتفاع مستمر ، وبالتالى حدث تدهور كبير فى الميزان التجارى الخاص بدول العالم الثالث . ولقد حاولت هذهالدول تحسين هذا الميزان عن طريق عقد اتفاقات سلعية مختلفة كما حاولت ازالة العوائق التجارية واجراءات « التحديد » ذات الأنواع المختلفة من أجل اقامة علاقات أفضل من الأسواق العالمية . وبين ناحية أخرى فان هذه الدول حاولت اقامة علاقات تجارية واقتصادية فيما بينها من أجل عدم الاعتماد الكامل على دول العالم المتقدم ، ولكن هذه المحاولات لم تعط الا مردودا محدودا .

ثانيا : المساعدات الدولية :

ينظر الى المساعدات على أنها استراتيجية نقل لموارد الدول الغنية الى الدول الفقيره وهناك مصدران لهذه المساعدات الدولية هما :

(أ) مساعدات حقيقية تشمل المساعدات الرسمية Official development assistane واختصارا ODA وكذلك مساعدات خيرية تطوعية .

(ب) قروض خاصة private loans وتختلف هذه المساعدات تبعا للمبلغ الاجمالى أو للنسبة المئوية من الدخل القومى للدول التى تساعد أو بالنسبة لعدد السكان فى الدول المعطية per capita ، ولكن معظم هذه المساعدات لا تذهب حيث ينبغى أن تكون (الدول الأفقر) كما أن الجزء الاكبر من هذه المساعدات الرسمية يرتبط بشراء سلع وخدمات من الدول الغنيـــة ٠

أما المساعدات الخاصة فانها تخصص للدول التى تستطيع أن تســدد قروض هذه المساعدات فيما بعد ولكن فى الوقت الذى يمكن أن تقوم فيه المساعدات بكسر حلقة الفقر فى دول العالم الثالث فانها أيضا يمكن أن يساء توزيعها ، كما أنها يمكن ان تعوق أو تضر بالتنمية الاقتصادية ــ الاجتماعية فى دول العالم الثالث ٠

ثالثا : ديون العالم الثالث :

تعانى دول العالم الثالث من الديون التى اقترضتها سواء من البنوك أو الحكومات الغربية وتقاس امكانية كل دوله من دول العالم الثالث لدفع الديون وفقا لمعايير مختلفة منها نســبة الدين الى الدخل القومى الكلى debt / G.N.P. ratio أو فوائد الدين الى الصادرات debt / export ratio أو فوائد خدمة الدين debt / service ratio وتعتبر النســبة الأخيرة ذات اهمية كبيرة ٠

ومن الواضح أن أزمة الديون كانت نتيجة للآتى :

(أ) حاجة دول العالم الثالث لتنمية رأس المال ٠

(ب) الامكانية العالية لدول الغرب لاعطاء القروض ٠

(جـ) انخفاض وعدم توازن الميزان التجارى للدول المتخلفة ٠

(د) ارتفاع نسبة فوائد الديون ٠

ومن الملاحظ أنه رغم أن معظم حجم الديون يتركز فى الــدول ذات الدخل المتوسط فى أمريكا اللاتينية مثل البرازيل ، المكسيك ، الأرجنتين ـ

ورغم أن الدول الافريقية تقترض بنسبة أقل من مجموع الديون العالمية الا أنها تعانى ايضا من هذه الديون • ولتخفيف حدة أزمة الديون يقترح المؤلفان ما يأتى :

١ ــ تقليل الانفاق المحلى •

٢ ــ زيادة تدفق المساعدات الرسمية لدول العالم الثالث •

٣ ــ تخفيض فوائد القروض الخاصة •

٤ ــ الغاء بعض الديون طويلة الأجل •

٥ ــ اعــادة جدولة الديــون •

٦ ــ مبادلة الديون فى دول العالم الثالث فى مقابل ضــمان حمايتها للبيئــة •

وقد أورد المؤلفان دراســة حالة بوليفيا باعتبارها من الدول ذات الدخل المنخفض والتى تعانى بشــده من أزمة الديون وكذلك لابراز أن الاجراءات التى اتخذتها الحكومة من اجل تقليل حمل هذه الديون ــ أدت الى زيادة الفقر بين فئات السكان الأكثر فقرا •

رابعا : نقل التكنولوجيا :

يعتبر نقل التكنولوجيا عنصرا هاما من عناصر التجــارة من الدول المتقدمة الى الدول المتخلفة ومن المعروف أن الدول المتقدمة تسيطر على أساليب وسائل التكنولوجيا الحديثة •

كذلك من المعروف أيضا أن التكنولوجيا تزيد من تكثيف رأس المال فى العمل وتقلل من الأيدى العــاملة ، وبالتالى فانهــا ذات فائدة للدول المتقدمة الا أنها على العكس من ذلك قد لا تتلاءم مع ظروف الدول المتخلفة بسبب فائض الأيــدى العاملة بها ، ومن ثم فان التكنولوجيا المتوســطة قد تكون أكثر فائدة لهذه الدول • ولكن التحول من استخدام التكنولوجيا العالية الى المتوسطة تقابلها مشكلات سياسية وتنظيمية متعددة •

خامسا : المشاركة العالميـة :

يمكن أن يكون التعاون (المشاركة) بين الشـمال والجنوب حـلا لمشـاكل العالم ، كما أن التجارة العالمية والتدفق المالى العالمى يمكن أن يساعد على التقريب بين الشمال الغنى المتقدم وبين الجنوب الفقير المتخلف وذلك من أجل المشاركة المتبادلة وان كانت غير متسـاوية أما المشـاركة الحقيقية أو المتوازنة فانها تتطلب تغييرا جذريا فى كل النظام الاقتصـادى العالمى مع مزيد من المساعدات وتجارة أفضل مع دول العالم الثالث ٠

(أنظر خريطة ص ٢٩٢ عن توزيع المساعدات الرسمية فى العالم الثالث سنة ١٩٨٦ ، وكذلك خريطة ص ٢٩٤ عن أهم الدول المدينة فى العـالم الثالث وفقا لمجموع الديون الخارجية العامة والخاصة سنة ١٩٨٧) ٠

والحمد لله أولا وأخيرا ،،،

تم الطبع بمركز جامعة القاهرة
للطبـــاعة والنشر
مدير عام المطبعة
البرنس حدوده حسين
١٩٩٦/٧/١٧

(مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر ١٩٩٤/٢٣٢٢/١٠٠٠)